بالحقيقة أحرار

بقلم: توم مارشال

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة الانجيلية بالعطارين

الاسكندرية

بالحقيقة أحرار

نحو كمال الإنسان

جسداً وروحاً ونفساً

تأليف
تـوم مـارشـال

ترجمة: د. جورج أنسي
مراجعة: د. ممدوح حليم



طبعة أولي أكتوبر ١٩٩٩

بالحقيقة أحرار

English Title: Free Indeed

المؤلف: توم مارشال

Author: Tom Marshall

ترجمة: د. جورج أنسي

Original Publisher: Sovereign World International Book Chichester,. England .

مراجعة: د. ممدوح حليم

الناشر باللغة العربية:

Published in Arabic:

مكتبة المنار

Lighthouse Book Center

١٧ ش مراد الشريعي

سانتا فاتيما – مصر الجديدة

17, Murad El Sherei

Saint Fatima , Heliopolis

Cairo , Egypt.

تليفون: ٢٤٠٣٨٤٨

Tel: (202) 2403848

فاكس: ٥١٩١٠٧٧

Fax: (202) 5191077

رقم الايداع: ١٥٤٠٥ / ٩٩

الترقيم الدولي: 977 - 5674 - 28 - x

E-mail: lighthousebc@link.com.eg

المحتويات

مقدمة المؤلف

في ليلة ما بعد اجتماع بمؤتمر، شاركت بعض أفكار هذا الكتاب مع سيدة محاولاً الإجابة على مشكلاتها. وقد رسمت بقطعة من الطباشير رسوماً توضيحية على السبورة ونحن وقوف في صالة معتمة.

بعد ذلك بعثت السيدة إليّ بخطاب كتبت فيه "إنني أشعر وكأن الله قد رد لي شخصيتي بالكامل وكنت قد اعتقدت إنني فقدتها إلى الأبد".

كان هذا بالنسبة لي معبراً عن الجوهر الحقيقي للخلاص، لأن الخلاص في الكتاب المقدس ليس أقل من استعادة الكمال.

إن الإنسان كيان يُفكر ويشعر ويريد. وهذا يعني أن طبيعته الأساسية تتكون من الإدراك (العقل)، والمشاعر (الانفعالات)، والرغبة (الإرادة). إنهم معاً يكونون الإنسان، نفساً حية. والإنسان أيضاً جسد، يجعله على اتصال بالعالم الخارجي، وهو له روح يمكن من خلالها أن يتواصل مع الوجود الروحي ومع الله. فالإنسان إذن هو كيان ثلاثي، روح ونفس وجسد (١تسالونيكي ٥ : ٢٣).

والله يعتني بالإنسان ككل. وقد يكون من الصعب التركيز على هذه النقطة. فكثير من مشكلاتنا تأتي من الفكرة الخاطئة التي تقول بأن الله

يخلص جزءاً واحداً من الإنسان، روحه، من الفساد العام ويهمل الباقي. ليس هناك أبعد من هذا عن الحقيقة. لقد تعامل الله دائماً مع الإنسان بكامله، فنحن علينا أن نحب الله ربنا من كل قلبنا وكل نفسنا وكل عقلنا وكل قدرتنا. والخطية قد أثرت جذريا على الإنسان كله: ليس فقط روحه ولكن عقله وإرادته وعواطفه. ويصل الخلاص بشكل عجيب فيشفي كل هذه المواضع التي أتلفتها الخطية.

ولأننا لم نفهم هذا بوضوح، لذا لدينا تلك الفكرة، وهي أننا كي "نسلك بالروح" فعلينا أن نتجاهل أو نتجاوز، أو نتحمل تلك الأجزاء الأخرى من شخصيتنا. إنها كالأحمال التي من الأفضل أن نتخلص منها. ولكنها مازالت موجودة حتى وإن حاولنا التظاهر بغير ذلك. ما زالت لنا مشاعر ومازال لنا عقل وهكذا. وإن لم يتم خلاص هذه الجوانب وانفتاحها على الرب، لن يكون هناك غير اتجاه واحد وهو الانفتاح على العالم والجسد والشيطان. وبعد ذلك نتعجب عندما يُصاب المسيحيون بالاكتئاب أو يواجهون أزمات مع الأفكار القهرية أو لا يمكنهم التحرر من العادات القديمة.

لقد كان يسوع يبحث دائماً عن استجابة كاملة من هؤلاء الذين سيكونون تلاميذه. فعندما تقرأ الأناجيل يبدو أحياناً وكأن الرب يختبر الناس في مجال الذهن والمشاعر والإرادة وإن وجد استجابة ناقصة في أحد هذه المجالات، فإنه يبذل جهداً لكي يصلح الأمر.

في إنجيل متى إصحاح ٨ جاء كاتب إلى يسوع قائلاً *"يا معلم أتبعك أينما تمضي"*. وبدلاً من أن يُرحب به يسوع قال له شيئاً غريباً جداً. قال: *"للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه"* (مت ٨: ٢٠). ماذا كان يعني هذا؟ لقد شعر يسوع أن هناك شيئاً ينقص استجابة هذا الرجل. لقد كانت إرادة هذا الرجل وعواطفه موجهة حقاً إلى الرب ولكن يسوع أدرك أن *فهمه* لما تتضمنه التلمذة ليس كافياً فهو لم يكن يُقدّر أبعاد هذا الأمر. لذا أراد يسوع أن يقول له بوضوح شديد جداً "إن تبعتني فهذا سيعني أنك، مثلي، لن يكون لك وسائل محسوسة للعيش. والآن، كيف يبدو لك هذا الأمر؟"

من المدهش في يسوع أنه دائماً *"يتعامل معنا بصورة مباشرة"*. إنه لا يدعونا على أساس شروط غير واضحة. إنه لن يضعنا أبداً في موقف يمكن أن نقول فيه "لو كنت عرفت، لما كنت اشتركت أبداً من البداية" ولهذا، فنحن يمكننا أن نثق فيه بالكامل.

وأثناء حدوث هذا، كان هناك تلميذ مرتقب آخر يقف قريباً وقال: *"يا سيد ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي"* (مت ٨: ٢١) أجاب يسوع على هذا الرجل: *"اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم"* ماذا يعني هذا؟ إن فهم هذا الرجل لما سيتضمنه إتباع يسوع كان واضحاً تماماً، لقد سمع لتوه عن هذا. وإرادته مهيأةٌ للخضوع أيضاً، ولكن *مشاعره* منقسمة، جزء منه

يشتاق إلى الرب وجزء منه متعلق بأبويه لذا كان على الرب أن يوضح له أنه كان يحتاج لإفراز أولوياته الوجدانية.

ونقرأ في إنجيل مرقس إصحاح ١٠ عن الشاب الغني الذي جاء راكضاً إلى يسوع. وفي تدفق حماسي سجد على ركبتيه وسأل الرب عن الطريق إلى الحياة الأبدية. ولقد عرفنا بشكل خاص أن يسوع أحس بالحب تجاه هذا الشاب، وأنا متأكد أن هذا كان متبادلاً. لقد كان فهمه لناموس الله لا ينتقص شيئاً ولكن كان هناك شيء واحد ينقصه ولقد لمسه يسوع في الصميم: قال *"اذهب بع كل ما لك وأعط للفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني"* (مر ١٠ : ٢١). عند نقطة التعهد أخفق الشاب. إنه لم يكن مستعداً *"فاغتم على القول ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة"*.

لقد كان في كل الحالات السابقة هناك شيء ينقص الاستجابة التامة التي طلبها يسوع:

	الفهم (الذهن)	الوجدان (المشاعر)	التعهد (الإرادة)
الكاتب	×	✓	✓
التلميذ الأخر	✓	×	✓
الشاب الغني	✓	✓	×

خلال الصفحات التالية ستستكشف أكثر بعض أبعاد خلاص الإنسان بكامل كيانه.

الجزء الأول

الفصــل الأول

المسيحي وذهنه

إننـا اليـوم نشـعر بالامتنـــان العميــق لأن حركــة مواهــب الــروح القــدس في الكنيسـة تكشـف حقيقـة الاختبـار الروحـي. فمنـذ أجيـال كـان الإنجيـل يُقَـدم، إلى حـد كبـير، كمجموعـة مـن الإرشـادات الفكريـة والأخلاقيـــة. ولكننـــا نـــدرك الآن مـا كـان يعلنـه الكتـاب دائمـاً: إن معرفـة الله تـأتي في المقـام الأول كـــإعلان إلى روح الإنسـان، وليسـت كمعلومـــات إلى عقلـــه.

"... ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطــر علــى بــال إنســان مــا أعــده الله للذيـــن يحبونــه فأعلنــه الله لنــا نحــن بروحــه. لأن الــروح يفحــص كــل شـــيء حتـــى أعمــاق الله ... ولكــن الإنســان الطبيعـــي لا يقبــل مــا لــروح الله لأنــه عنــده جهالــة. ولا يقــدر أن يعرفـــه لأنـــه إنمــا

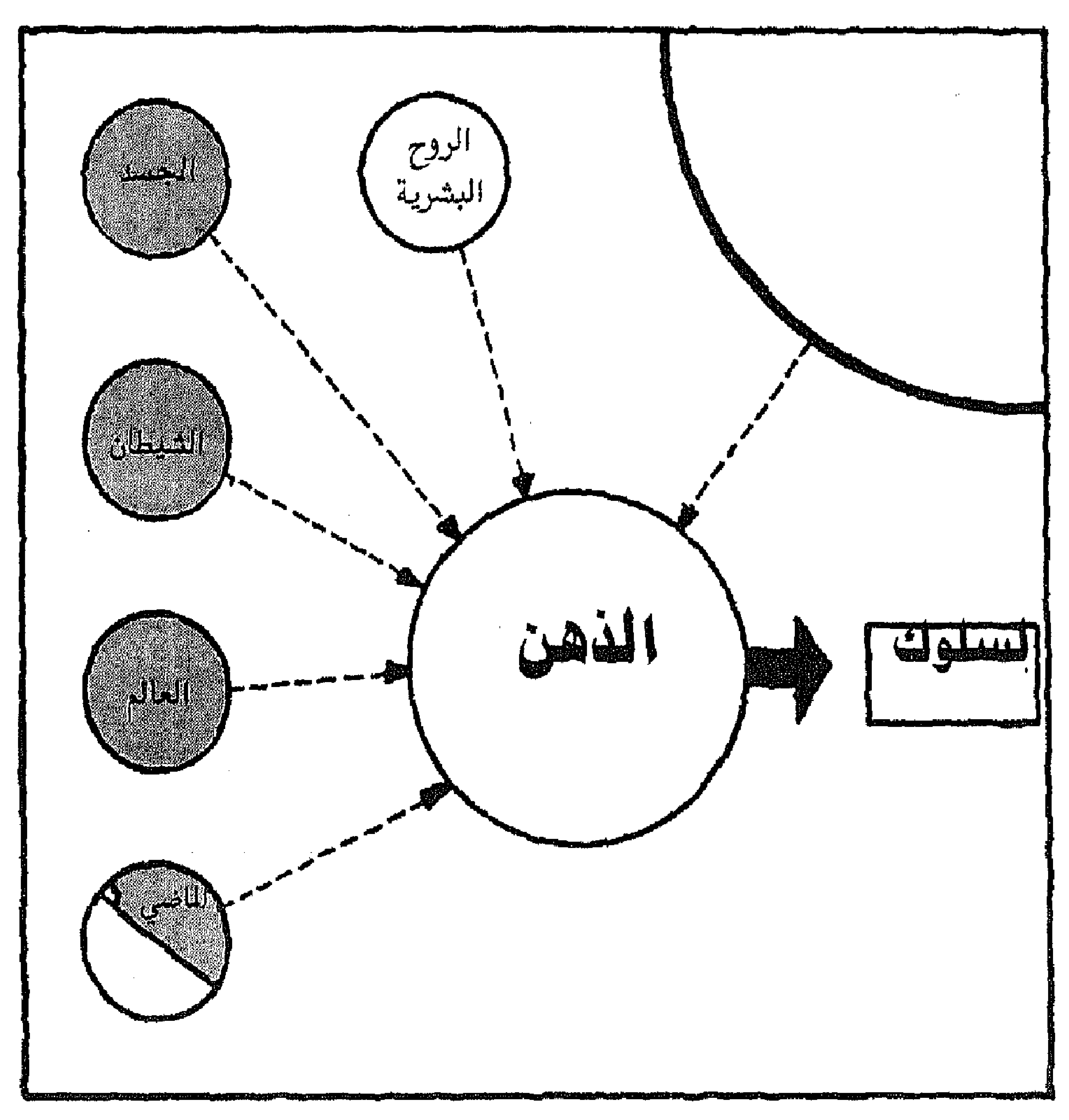
يُحكَم فيه روحياً". (١كو٢: ٩، ١٠، ١٤).

إن هذا له مترتبات بعيدة المدى في كل خبرتنا الروحية. فالإيمان الكتابي، على سبيل المثال، ليس قفزة في الظلام، وليس التصميم على الإيمان بدون برهان بل على العكس يستند على برهان صلب: إنه استجابة إلى استعلان إرادة الله "كما تراها" روحنا بالطريقة التي تكلم عنها بولس في (١كورنثوس ٢).

ولكن معرفة الاستعلان لا يمكن الوصول إليها بالتفكير العقلاني. إن المسيحيين الذين فهمهم للإنجيل يكاد يكون عقلانياً تماماً، يجدون غالباً الإيمان مشكلة كبيرة. لي صديق يصف هؤلاء الناس "بالمسيحيين المعوقين فكرياً". فالفكر غالباً ما يظهر في الطريق ويُعَوق الإيمان.

هناك كثير من الحقيقة في كل هذا، ولكن ليس كل الحقيقة. فنحن يمكننا أن نقع في خطأ كبير إذ نفكر أن كل ما نحتاجه لكي نسير مع الرب هو الروح فقط، وأن ننسى الفكر، فهو لا يسبب إلا المشاكل! عقل كبير يسبب مشاكل كبيرة، وعقل محدود يسبب مشاكل محدودة، وغياب العقل لا يسبب مشاكل على الإطلاق! إن اللاعقلانية التي من هذا النوع يمكن في الحقيقة أن تكون كارثة.

إن عقل (ذهن) الإنسان لم يزل أرض معركة استراتيجية في الكون. إن النضال من أجل السيطرة على الذهن هو النضال من أجل السيطرة على الإنسان نفسه. والمسيحيون اليوم يجب أن يفهموا بوضوح وظيفة العقل الإنساني، والمشاكل التي يواجهها، وأهم من كل ذلك – تدبير الله لخلاصه.



شكل ١ – وظيفة الذهن

وظيفة العقل (الذهن)

إن العقل هو مركز الاتصال الرئيسي للشخصية. وما يجري في عقلنا يحدد بقدر كبير نوعية شخصيتنا. ويقول الكتاب: "*لأنه كما شعر في نفسه هكذا هو*" (أمثال ٢٣ : ٧). فما نفكر فيه يحدد ما نفعله، وما نفعله يحدد ما سنصير إليه.

"*ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم*". (تكوين ٦ : ٥)

وهناك عبر مركز اتصال العقل تفيض، من مصادر مختلفة، كميات كبيرة من المعلومات الداخلة والانطباعات والرسائل. والعقل باستمرار يحلل ويُقَيم ويصدر أحكاماً على تلك المدخلات. والكثير، وربما السواد الأعظم، يُفرَز جانباً أو لاً يُنظَر إليه، بينما يدخل جزء آخر حيز الاعتبار ويُرفَض، والبعض يتم حفظه بعيداً للرجوع إليه مستقبلاً، ولكن المدخلات المختارة يتم عرضها على الإرادة للوصول إلى قرار. فهؤلاء الذين تم قبولهم بشكل نهائي ينتج عنهم سلوك من نوع أو آخر. والشكل التوضيحي رقم ١ يوضح هذه العملية.

مصادر حياتنا الفكرية

إن هذا الشكل التوضيحي، مع هذا، يجذب انتباهنا إلى ظاهرة أخرى بالغة الأهمية في حياتنا الفكرية. فنحن إن كنا نريد أن نفهم المشاكل التي نواجهها في أذهاننا، يجب علينا أن نتتبع فيض الأفكار والانطباعات رجوعا إلى مصادرها. وبعبارة أخرى، أن نسأل أنفسنا: من أين تأتي المادة الأولية لحياتنا الفكرية؟

يقول يسوع، *"لأنه ما من شجرة جيدة تثمر ثمراً رديا. ولا شجرة ردية تثمر ثمراً جيداً. لأن كل شجرة تُعرَف من ثمرها ..."* (لوقا ٦: ٤٣-٤٤).

والآن دعنا نبحث بعض هذه المصادر بتفصيل أكثر.

- *العالم:* تصل المعلومات من البيئة الخارجية إلى العقل من خلال الحواس. وكثير منها غير مرتبط بمعايير الأخلاقيات أو غير مدرج في إطار أخلاقي: على سبيل المثال، حالة الطقس، أو لون ثوب زوجتك أو مذاق الطعام. ومع ذلك، قد يكون هذا مثيراً للاهتمام أو مخيفاً، مبهجاً أو مضحكاً.

ولكن هناك أيضاً العالم الذي قال عنه يسوع أن *"أعماله شريرة"* (يوحنا ٣: ١٩). هذا العالم يحوي الوضع الكلي لصالح الإنسان التي تتمرد على الله وتتغرب عن حياته. إنها تتضمن الثقافة والنظام

الاقتصادي والتكنولوجيا وسياسة الحياة الإنسانية. إننا نتعرض لضغوط هذا العالم وتأثيره كل يوم، لمعايير قيمه، لآرائه وحملاته الدعائية. فمن خلال المذياع والتليفزيون والكتب والأحاديث والموسيقى والصحف تتعرض أذهاننا إلى نظرته وأسلوب رؤيته للأشياء. ويجب أن لا نتوهم شيئاً بالنسبة لشخصية العالم الحقيقية.

"نعلم أننا نحن من الله والعالم كله قد وُضِع في الشرير" (١يو ٥: ١٩).

"... وهذا روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي والآن هو في العالم". (١يو ٤: ٣).

إنني مقتنع بأن المسيحيين لا يتخذون اتجاهاً نقدياً تجاه ما يرون وما يسمعون. وأسلوب الإعلام غالباً ما يكون من الجمال حتى يمكن أن ننبهر به ولا ندرك أبداً محتوى ما يُقدَّم لنا من خلاله. فعقولنا يمكن أن تميل بدون إدراكنا لما يحدث.

إن تركيبة العقل التي من العالم ليست شيئاً نتخلص منه تلقائياً عندما نصبح مسيحيين. إنني مازلت أذكر شاباً كان واقفاً في اجتماع بهولندا ويعترف قائلاً: "لقد كنت مسيحياً لمدة أربعة أعوام، ولكن الرب أظهر لي في هذا الأسبوع أنني كنت أفكر كوثني طوال ذاك الوقت".

➢ *الجسد:* عندما يُستخدم بمعناه الأخلاقي والروحي، لا يعني البدن

الآدمي. وإنما يعني العالم الذي بداخله لا العالم الذي خارجه، البيئة الداخلية لا الخارجية. *"فالجسد"* في العهد الجديد هو مجموع الرغبات والمشتهيات والاحتياجات والدوافع التي تتعلق بإشباع النفس. وخلال السقوط صار أساس خطية الإنسان.

"إذاً أجد الناموس لي حينما أريد أن أفْعل الحُسنى أن الشر حاضر عندي. فإني أُسَر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي". (رومية ٧: ٢١-٢٣)

في التحليل التقليدي للتجربة في رسالة يعقوب إصحاح ١ يُبَين لنا الجسد بوضوح. فالأعداد ١٤، ١٥ تقول:

"ولكن كل واحد يُجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً".

فالجسد يُوضَح هنا ككيان لا يُمكن إصلاحه من حيث عداوته لله.

" ... لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يُرضوا الله". (رومية ٨: ٧-٨).

فحتى يتم إشباع شهوة الجسد يجب أولاً أن يُأسر العقل. فكل

خطية، كما يوضح يسوع في الموعظة على الجبل، هي قبل كل شيء خطية ذهن.

- الشيطان: إن الشيطان يستطيع أن يصل إلى عقل (ذهن) الإنسان. سواءً أحببنا هذا أم لا، إن هذا جزء من الوضع الذي وُلدنا عليه. ولقد سلم بولس بوضوح بأن ذهن المسيحيين أيضاً مُعرض للهجوم من هذا المصدر.

"*ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد **أذهانكم** عن البساطة التي في المسيح*". (٢كورنثوس ١١ : ٣).

إن الشيطان يستخدم هذا المدخل لكي يغرس التجارب في عقولنا. وأحيانا ما ينزعج المسيحيون كثيراً بسبب الأفكار المرعبة الرهيبة التي تأتي إلى عقولهم. إنهم يشعرون بهذا التساؤل، "كيف يمكن أن أكون ابنا لله إذ أفكر في أمور فظيعة مثل هذه؟" وكثيراً ما لا تأتي مثل هذه الأفكار من داخلنا على الإطلاق، مهما كان جسدنا شريراً. إنها تأتي من الشيطان. ولكننا لسنا مسئولين عن الأفكار، لأنها لا تصدر منا، ولكننا مسئولين في حالة تسّترنا عليها، لأن هذا في نطاق قدرتنا.

إن الكتاب المقدس يكشف الاستراتيجية الشيطانية ثلاثية الجوانب لغزو الذهن:

١ . *الإيحاء:* في (مرقس ٨) نقرأ كيف أنه عندما تكلم يسوع بوضوح عن الصليب، أخذه بطرس جانباً وبدأ يستنكر هذا. فعرف يسوع في الحال مصدر تفكير بطرس في هذا الأمر: *"اذهب عني، يا شيطان ..."*.

إن هدف الشيطان هو أن تُوّلد الأفكار المغروسة في العقل الخطية. لذا حين خدع حنانيا جماعة المؤمنين بالنسبة للثمن الذي باع به أرضه، وُضعت خطيته في منظورها الصحيح بواسطة بطرس حين قال *"يا حنانيا، لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس ...؟" (أع ٥).*

٢. *التدخل:* إن الشيطان يسعى دائماً لأن ينتزع من عقل الإنسان كلمة الله. ففي (مرقس ٤ : ١٥) نجد أن الحبة التي سقطت على الطريق تشير إلى هؤلاء الذين زُرعَت الكلمة فيهم: *"... وحينما يسمعون يأتي الشيطان للوقت وينزع الكلمة المزروعة في قلوبهم"*.

٣. *السيطرة:* إنها الهدف الأقصى للشيطان إذ يأخذ العقل أسيراً مغموراً بأفكار قهرية مهيمنة. والناس الذين عندهم تلك المشكلة هم مقيدون في *"فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته"* (٢تيموثاوس ٢ : ٢٦).

➢ *الروح البشرية:* إن العقل مفتوح أيضاً لسيل من الرسائل والانطباعات التي تأتي من الروح البشرية. ومن الأهمية أن نفهم أنه بالرغم من أن الإنسان يوُصَف في (أفسس ٢ : ١) باعتباره *"... ميت في ذنوبه وخطاياه"*، إلا أن روح الإنسان غير المُجددة لم

تتوقف عن الوجود. فالإنسان مازال لديه روح. وفي الكتاب المقدس، تكون الحياة والموت دائماً مسألة صلة. فالحياة تتصل من خلال المسيح بالله، الذي هو مصدر الحياة غير المخلوقة.

وهكذا، فالروح البشرية، بالرغم من أنها في حالة الموت، لم تزل موجودة ولا تزال تعمل. إنها ما زالت قادرة على الاتصال بمجال عالم الروح. ولكن لأن الإنسان في حالة موت، فهو يبلغ فقط تلك الكيانات الروحية التي هي أيضاً في حالة الموت، بمعنى، الأرواح الشريرة. ولهذا السبب يُحّرم الكتاب المقدس كليةً مخاطبة الأرواح والكهانة بكل الصور لأن الإنسان يكون مُعرضاً جداً في تلك الأمور لأن يُستعبَد لعالم الأرواح.

والأشكال الرئيسية التي تأتي بها الرسائل من الروح البشرية إلى العقل هي:

١. *صوت الضمير*: ليس الضمير هو صوت الله، وهو ليس معصوماً من الخطأ. وإنما هو وظيفة الروح البشرية التي تكون قادرة على استيعاب الحقيقة العامة الأخلاقية وتقوم بتطبيقها على مواقف معينة من سلوكنا. إن الضمير يرى ما نحن على وشك فعله، أو ما قد فعلناه، ويقول لنا، "هذا خطأ"، "هذا صواب" (رومية ٢: ١٥).

٢. *الحدس*: وهو الشعور أو الحكم أو الإدراك المباشر الذي يأتي مباشرةً بدون أي خطوات عقلية وسيطة ظاهرة. ويمكن أن يتدرج الحدس بدءاً من

الحث أو الإيعاز غير المحدد حتى ومضات الإدراك المفاجئ والخلاق. تذكر أننا هنا لا نتكلم عن صوت الروح القدس، ولكننا نتكلم فقط عن الطريقة التي تعلم بها الروح البشرية الطبيعية. وهناك بعض الناس أكثر حدساً من غيرهم، فكثير من النساء أكثر حدساً من أغلب الرجال.

- *صوت الله:* إن الإنسان، مع كل خطيته وتمرده، لم يستطع أبداً أن يخرج من دائرة صوت الله. إن هذا هو رجاؤه الوحيد. ففي أي وقت يدعو الله الإنسان يكون الإنسان في مجال صوت الله. إننا نتواصل بالبلوغ بالروح بعضنا بعضاً. والروح القدس هو الله الذي يبلغ إلينا. *"الروح"* يقول يسوع، *"من عند الآب ينبثق"* (يو ١٥ : ٢٦)

يمكننا أن نعرف صوته، أحياناً من الضمير المُستيقَظ بمعاناة مستجيباً لدينونته، وأحياناً بالانطباع الحدسي المباشر. وبالنسبة للمسيحي، تُعتبر معرفة صوت الله والقدرة على فصل وتمييز ذلك من الانطباعات المنافسة في العقل من الأهمية البالغة. *"الخراف" يقول يسوع تتبع الراعي لأنها تعرف صوته، أما الغريب فلا تتبعه، ببساطة، لأنها لا تعرف صوت الغرباء* (يوحنا ١٠ : ٢٧، ٥). إن سماع صوت الله، هو الموضوع المحوري للعقل المجدد.

- *الماضي:* وبالإضافة لكل المصادر المذكورة، يجب أن نذكر بُعد

الزمن. وبعبارة أخرى، إن الذهن لا يتلقى فقط مدخلات من الحاضر، ولكنه يتلقى أيضاً رسائل من الماضي في شكل ذكريات. وبعضها نحاول أن نتذكره والبعض الآخر يأتي من تلقاء نفسه وبدون رغبة منا في قبوله. إن مواقف الفشل في الماضي مازالت تتهمنا. والأحزان القديمة مازالت تؤلمنا. إننا نتألم أيضاً بسبب الفرح الذي فقدناه من زمن طويل أو بسبب هيمنة الأحلام والطموحات، التي لم تتحقق قط.

وبالنسبة للبعض، يكون الماضي أقوى عوامل الجذب على الإطلاق. وهذا لأن الذاكرة تميل للانتقاء. إن ذكريات "الأيام الحلوة" في مصر كانت أكثر المصادر خصوبة للتذمر بين الإسرائيليين في البرية: فلقد تذكروا السمك الذي كانوا يأكلونه في مصر، والخيار والبطيخ والقثاء والبصل والثوم (عدد ١١: ٥). ماذا عن العبودية والطوب الذي كانوا يصنعونه من الطين وقتل رضعانهم؟

الذاكرة هي أيضاً، مؤثر إيجابي. فذكرى بركات الماضي يمكن أن تُسرع من إيمان وطاعة الحاضر. وفي الحقيقة، كان النداء المستمر للأنبياء في أيام ارتداد إسرائيل عن الله *"تذكر ..."*، *"أذكر كيف أخرج الرب آباءك من مصر، تذكر كيف قادهم في البرية، تذكر كيف أتى بهم إلى أرض الموعد"*. وفوق كل هذا تؤكد كلمات يسوع في العشاء الأخير، *"اصنعوا هذا لذكري"*

(لوقا ٢٢ : ١٩)، القوة المباركة للتذكر التي تتمركز حول الله.

وهكذا نجد أن مشكلة الذهن ليست كمية المعلومات التي يجب عليه أن يتعامل معها، ولا مدى تعقيدها. وإنما المشكلة هي ما يجب أن نكتشفه الآن.

الفصل الثاني

الذهن الأعمى

لقد رأينا أن الذهن يواجه مهمة استقبال وتصنيف وتمرير سيل غير محدود من الانطباعات والرسائل والاتصالات. والذهن يقوم بهذا آلاف المرات كل يوم. حتى ونحن نيام، لا تنغلق كل مستويات الذهن. فهناك أقسام منه تعمل ورديات ٢٤ ساعة. وبدون الكتاب المقدس لا يمكننا إدراك أن هناك شيئاً حدث لذهن الإنسان. دعنا نرى ما هي المشكلة الحقيقية. جاء في (رومية ٦: ١٦):

"ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة. أنتم عبيد للذي تطيعونه إما للخطية للموت أو للطاعة للبر"

ويمكن التعبير عن المعنى الجوهري لهذا المبدأ في ثلاث كلمات:

الطاعة تولِّد السلطان.

وبعبارة أخرى، ما نطيع بالتعود سيصبح له سلطان على حياتنا. إن طاعتنا في الحقيقة هي التي تؤسس وتوثق سلطانه علينا.

لقد تعلمت هذا المبدأ لأول مرة عندما كنت أعاون في إدارة كازينو للفتيان والفتيات. وكان يشغل غرفة بالطابق العلوي في مبنى خشبي قديم. ولقد جاء الدرس الذي تعلمته مساء يوم عيد في الوقت الذي كانت فيه الألعاب النارية مجهزة. في تلك الليلة كانت الغرفة مكتظة بالغلمان من سائقي الدراجات البخارية. بدأ أحدهم قذف الصواريخ النارية. أخافني هذا جداً لأنني تصورت أن المكان القديم سيشتعل بالنار وسيحتشد على السلم الضيق المؤدي إلى الشارع أجساد العشرات. وقبل أن أكون واعياً بالفعل لما سوف أفعله، صعدت على سلم المنصة الصغيرة، وأوقفت الموسيقى المُسجلة وأعلنت قائلاً "والآن، هذا يكفي، إن فعلتم هذه الحماقة مرة ثانية سأغلق المكان وستخرجون جميعكم على الفور إلى الشارع!"

ثم نظرت مرة ثانية على حجم بعض هؤلاء الغلمان بالمقارنة لطولي المتواضع! فرجعت إلى المطبخ وصليت باستماتة، "أرجوك، ربي – لا صواريخ مرة ثانية".

اعتقد أن السكون استمر بما فيه الكفاية حتى أشعل "صاحب الصواريخ" القطعة التالية بطرف سيجارته. دوت صرخات الفتيات والصياح والضحكات واستدارت إليّ كثير من الوجوه المتحمسة المتحفزة لترى ماذا سأفعل. في تلك اللحظة وجدت نفسي في قمة الموقف لأنني كنت قد قلت ما سأفعله. فسرت راجعاً إلى المنصة محاولاً الظهور بمظهر

أكثر ثقة بكثير عما كنت أشعر به في داخلي، وأوقفت الموسيقى قائلاً: "هكذا الأمر. لقد انتهينا الليلة. والآن ليخرج الجميع!"

لقد كنت متوقعاً أنهم، سيحطمون المكان ولكن لدهشتي نزل الخمسون أو الستون كلهم متذمرين مشتكين خارجاً إلى شوارع المدينة الباردة فأسرعت بالنزول وراءهم وأوصدت الباب خشية أن يفكروا في الرجوع! صعدت السلم مرة أخرى وأنا أشكر الرب لمارسة سلطانه على هؤلاء الغلمان. لقد بدأ يُبين لي عمل وفاعلية هذا المبدأ الذي أثر جذرياً في حياتي منذ ذلك الوقت.

والذي سيطر على هؤلاء الغلمان كان في الحقيقة هو *السلطان الذي قد أعطوني إياه*. فبدأت أدرك ما كان يعنيه بولس عندما كتب هذه الأعداد في رسالة رومية إصحاح ٦.

هذا ما حدث وقتها. وطوال الفترة التي كنت أذهب فيها إلى الكازينو كانت هناك أشياءً معينة أمنع الغلمان عن عملها. فعلى سبيل المثال، لم أكن أدعهم يضعون أقدامهم على المائدة. ولم أتركهم أيضاً يدقون على مفاتيح البيانو. ولأني اعتقد أنهم عرفوا أنني كنت بحق مهتماً بهم بدأوا يتعودون على تنفيذ ما كنت أقوله لهم وبفعل الطاعة هذا خلقوا فيّ، دون أي وعي بذلك، سلطاناً حقيقياً. وعندما انتهى الأمر كان السلطان الذي خلقوه فيّ بشكل ما أقوى بكثير من أن يعصوه.

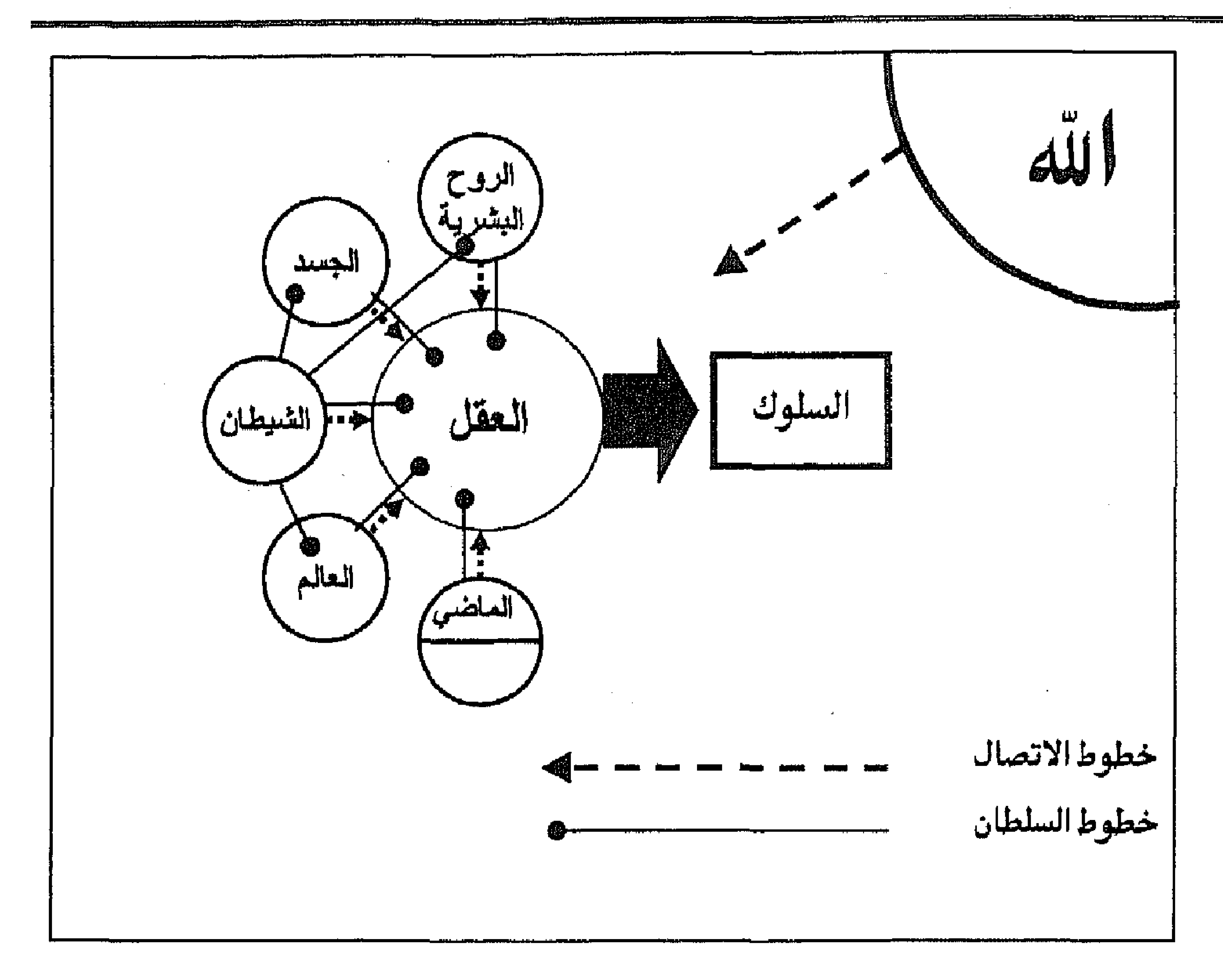
لقد علموني مبدأ كتابياً أساسياً: هو أن السلطة تنشأ بواسطة الطاعة. فما نطيعه بالتعود يكون له سلطان مُلزم على عقولنا. فإن أردنا أن يكون لكلمة الله سلطان على حياتنا، فهناك طريق واحد فقط: أن نطيعها. إن أردنا أن يكون للروح القدس سلطان على حياتنا، فهناك طريق واحد فقط: أن نطيعه. وإن كنا نطيع دائماً مشاعر الخوف أو الشك أو الكراهية، ماذا سيكون له سلطان على عقولنا؟ الخوف والشك والكراهية.

من الذي أمسك بالسلطان؟

هل قد بدأت الآن ترى الطبيعة الحقيقية للمشكلة في عقل الإنسان؟ إنها ليست مجرد التجربة. فالمشكلة الحقيقية هي أن الإنسان، بطاعته لتلك التجارب، قد خلق فيها وفي مصدرها سلطاناً مُلزماً، حتى تمارس حكما وسيطرة على عقله.

وهذه هي السلطات التي أقامها الإنسان في عقله:

- *العالم:* من خلال طاعة الإنسان صار العالم أكثر من مجرد مصدر خارجي للتجربة. فقيمه، معاييره ومعتقداته أصبحت داخلية. والفروض الأساسية التي تهيمن على الأفكار والاتجاهات تجعلنا نعتقد بأن سعادتنا ستعتمد على ما يمكن أن نحصل عليه لأنفسنا، والله ليس له مكان في الخطة العامة للأمور. لقد أصبح تفكيرنا مطابقاً للعالم.



شكل ٢ – العقل غير المولود من جديد (الأعمى)

- *الجسد:* وبنفس الطريقة أُعطيَ الجسد، بتعارضه الغريزي مع طرق الله، السلطان على العقل. فالبحث عن ما للذات أصبح الأساس المعتاد الذي تُتخذ منه كل القرارات والأحكام. وصار العقل، كما يُعَبر بولس في رومية ٨: ٧ مهتما بالجسد ويقف تلقائياً في عداء مع الله.

- *الشيطان:* وأكثر من ذلك، ففي تسليمنا لذواتنا إلى نظام العالم نسلم ذواتنا للشيطان، الذي هو حاكم هذا العالم. والجسد يستجيب بسعادة لفلسفة العالم الباحثة عن ما للذات ويفتح مجالا للشيطان لاستغلاله

وهكذا يكـون وضـع الإنسـان المصيري والمحتـوم. كمـا يظـهر في شـكل ٢.

"وأنتـم إذ كنتـم أمواتـا بـالذنوب والخطايـا، الـتي سـلكتم فيـها قبـلاً حسـب دهـر هـذا العـالم، حسـب رئيـس سـلطان الهـواء الـروح الـذي يعمـل الآن في أبنـاء المعصيـة. الذيـن نحـن أيضـا جميعـاً تصرفنـا قبـلاً بينـهم في شـهوات جسـدنا عـاملين مشـيئات الجسـد والأفكـار". (أف ٢ : ١-٣).

لقـد اسـتغل الشـيطان بفظاعـة السـلطان الـذي أُعطـيّ لـه لكـي يغلـق العقـل الإنسـاني أمـام الله. فـالعقل معمـي أمـام الحـق. والكتـاب المقـدس واضـح جـداً في إعلانه بـأن مشـكلة الإنسـان الأولى مـع الإنجيـل ليسـت هـي أنـه غـير راغـب في الإيمان وإنما في أنـه غـير قـادر علـى الفـهم.

"الذين فيهم إلـه هـذا الدهـر قـد أعمـى أذهـان غـير المؤمنـين لئـلا تضـيء لهم إنـارة إنجيـل مجـد المسيح الـذي هـو صـورة الله". (٢كـو ٤ : ٤).

وغالباً ما سـتدرك هـذا عندمـا تتكلـم مـع أنـاس عـن المسـيح. فإنـهم يسـمعون الكلمـات، ويفـهمون المعنـى النحـوي واللغـوي لمـا تقـول، ولكـن الحقيقـة الـتي توصلـها الكلمـات لا تكـون مسـتوعبة علـى الإطـلاق. إن هـذه التعميـة الـتي ابتدعها الشـيطان لا تقـدر لباقـة وإقنـاع الإنسـان علـى اختراقـها.

وهكـذا فـإن الإنسـان في وضـع ميئـوس منـه. إنـه لا يجـد الله لأن سـلطان الشـيطان في عقلـه قـد تأسـس بشـكل يجعلـه معميـاً أمـام الحقيقـة الإلهيـة. إنـه

لا يقدر على التحرر من أسره العقلي حتى ولو أراد ذلك، لأنه تحت سلطان لن يدعه يفلت منه.

إن الكفاح الذي يبذله الإنسان للتخلص من الأفكار التي يكرهها يمكن أن يوّلد فيه شعورا بالذنب، لأن هذا الصراع يبدو وكأنه تمرد ضد السلطان الشرعي.

التوبة: تغيير الفكر

بالنظر إلى كل هذا، يتضح لنا أن المعنى الجذري لكلمة العهد الجديد للتوبة *metanoia*، هو "تغيير الفكر". فليتمجد الله! إن سيطرة الشيطان على عقل الإنسان ليس لها أية قوة أمام نور العالم. *"والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه"* (يوحنا ١: ٥).

فبالرغم من كل ما يفعله الشيطان، فالروح القدس قادر على اختراق ظلام العقل ودعوة الإنسان للتوبة. إن الإنسان ذاته بلا عون لدرجة إنه حتى التوبة تُوصَف كعطية من الله. والخلاصة التي وضعها الرسل والأخوة في أورشليم، بعد سماع ما قاله بطرس عن حلول الروح القدس على بيت كرنيليوس كانت هكذا: *"إذاً أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة"*. (أع ١١: ١٨).

كان لبولس نفس المفهوم عن موقف الإنسان. فلقد نصح تيموثاوس بأن

يُقوِّم بلطف المعارضين: *"مؤدباً بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق. فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته"*. (٢ تي ٢: ٢٥-٢٦).

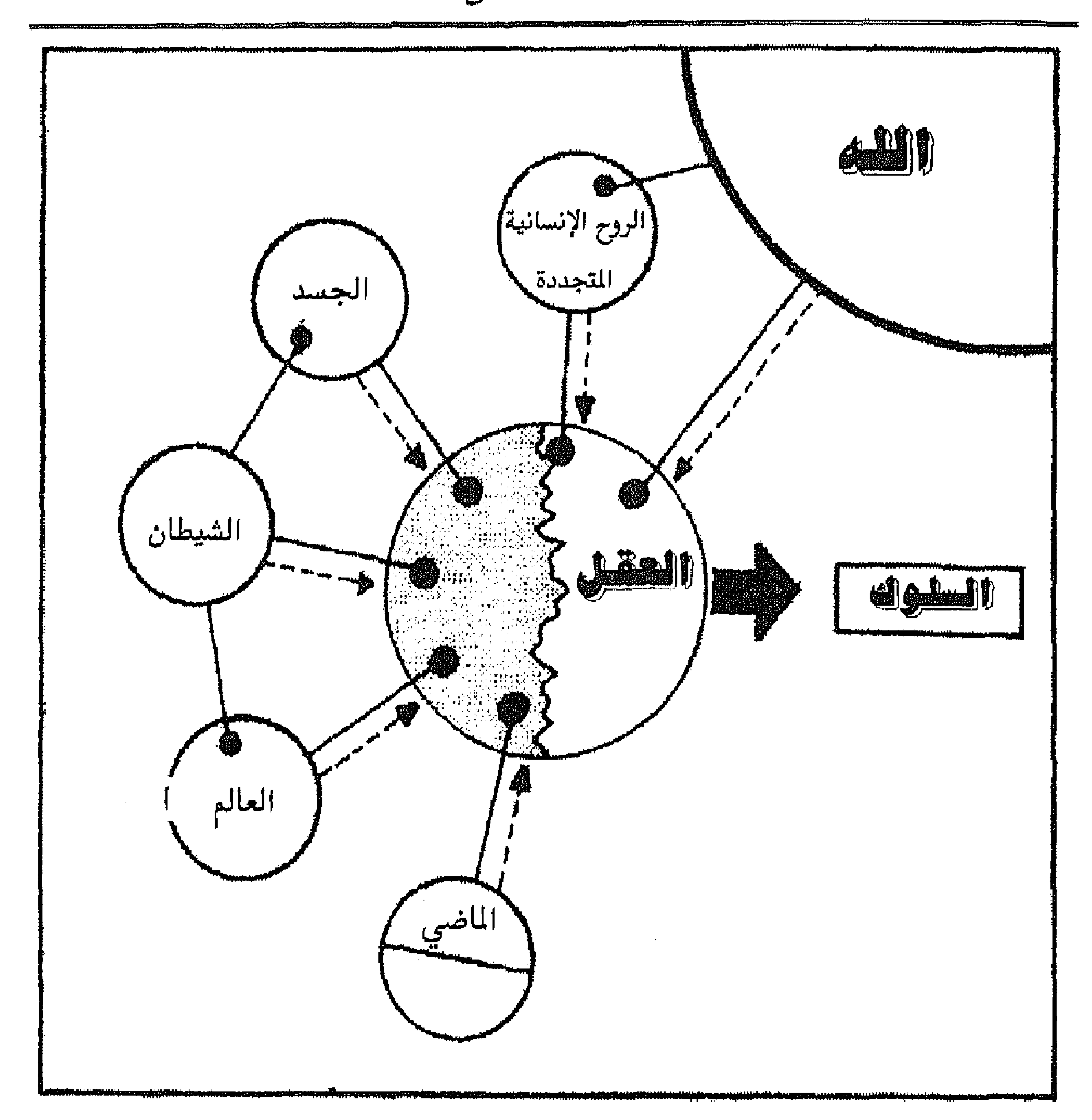
وعندما يتوب الإنسان ويلتزم بالثقة الشخصية في المسيح، سيولد من فوق بقوة الروح القدس. وسينير قلبه وعقله نور حضور الله.

"لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح". (٢كورنثوس ٤: ٦).

إن الروح القدس يسكن الآن في روح المؤمن المخلوقة من جديد. وإذ ينير الروح البشرية، يبدأ الآن الضمير في التعامل مع العقل. إنه يصبح حساساً للخطية وللمعصية. والتوبة والاعتراف يؤديان إلى المغفرة والتطهر. وإذ يُطاع الروح القدس يكتسب سلطاناً في العقل فيفتحه لفهم الكتب المقدسة، وبهذا يستنير العقل.

العقل المستنير المزدوج

غالباً ما يكون للاختبار القوي للنعمة عند التحول تأثيراً قوياً على تخلص العقل من سلطة القوة المهيمنة للعادات الخاطئة، ولكن هذا ليس الحال دائماً. فغالباً ما نكون، مثل لعازر بعد خروجه من القبر، مربوطين بأربطة الكفن.



شكل ٣ – العقل المستنير المزدوج

وفضلا عن هذا، فالجسد والشيطان يكافحان باستمرار لاسترجاع ما قد ضاع منهما. لذا فإن من الخبرات المؤلمة للمسيحيين أن يجدوا، بعد تحولهم بوقت طويل، أن كثيرا من القيود القديمة إما مستمرة في العقل، أو يعاد تأسيسها بنفس مبدأ الطاعة وذلك بسبب الفشل في السلوك في النصرة.

وحالة العقل التي تنتج عن ذلك موضحة في شكل ٣. حيث نجد بعض المناطق مليئة بالنور ومنفتحة إلى الله، بينما الأخرى يسودها الظلام. وبين الاثنين، يُعتبر الخط الفاصل كحدود متغيرة تعكس ديناميكية اختبارنا للحظة نعيشها. إن هناك حرباً في العقل.

وفي هذه الحالة، بالرغم من أن العقل يكون منفتحا على إعلان الحقيقة الإلهية وعمل الروح القدس فهو يكون منفتحاً أيضا على أشياء أخرى. إن أشكال الفكر القديمة أو التجارب تثير استغرابنا لاستمرارها، وتهبط بنا إلى حالة من الهزيمة واليأس. ومناطق العقل التي نكتشف أنها لم تزل تحت تحكم السادة القدامى الذين يبثون سمومهم إلى هذه المناطق. إن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. وأرض المعركة هي العقل (الذهن). ومن يدرك هذا يكسب الحرب لصالح التجربة أو لردعها.

الفصل الثالث

الذهن المتجدد

إن الذهن الذي كنا نصفه كان ذهني أنا منذ أعوام. ولقد سادت فترات النمو والبركة عندما دخل النور وتراجعت الظلمة. لقد كان هناك "أوقات هبوط" روحي عندما كان النور يكاد يخبو بسبب تمرد المشكلات القديمة. وكانت الحدود بين الهبوط والارتفاع هي بالضبط ما وُصف في يعقوب ١، مثل موج البحر الذي يتقدم ويتراجع باستمرار.

"... لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه ... رجل ذو رأيين هو متقلقل في جميع طرقه". (يعقوب ١: ٦، ٨)

لقد كان محقاً. فذهن مثل هذا، كما اكتشفت أنا، يعاني من عدم ثبات متأصل بداخله. كيف يمكنني أن أعرف ما إذا كان فكر حضر إلى ذهني:

- من الروح القدس؟
- من شهواتي الجسدية التي تسعى للإشباع؟
- من الشيطان (ربما كملاك نور) إذ يحاول أن يخدعني؟

يمكن أن يُقال لي "إن كان من الله، فسيأتي بالسلام". وهذا في الحقيقة

لم يساعدني بما يكفي. ففي عقلي كان السلام شيئاً نسبياً ومتغيراً جداً وكذلك كان الفرق بين النور والظلام، والنظام والفوضى.

ولما كنت أقرأ نص من (فيلبي ٢: ٢٥)، *"فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً ..."* كنت أتعجب كيف يمكن بأي حال أن نفعل ذلك. وأكثر من هذا ما في (١كورنثوس ٢: ١٦): *"أما نحن فلنا فكر المسيح"*. فإنني لم أكن أجد سبيلاً يمكن أن يكون به صراعي العقلي وغياب اليقين الذي في ذهني، هو ذهن يسوع فيّ.

لقد كنت في هذه الحالة عندما أتيت مصادفة إلى نصين مألوفين جداً في الكتاب المقدس. ورغم أنني كنت قرأتهما من قبل عدة مرات إلا أنني لم أدرك من قبل معناهما الحقيقي.

كان الأول من (رومية ١٢: ٢): *"ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتغيير أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة"*. هنا رأيت أن بولس يربط الحرية من التوحد مع نظام العالم، ويقين معرفة إرادة الله، بالعقل الذي يتجدد.

هل قد تجدد عقلي؟ كنت أعرف أنه لم يتجدد. هل كنت قادراً على التأكد من إرادة الله في حياتي؟ كلا، لم أقدر.

وكانت العبارة الثانية من (أفسس ٤: ٢٢- ٢٤).

"أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد

بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق".

إن هناك ثلاث مراحل في هذا النص الكتابي:

المرحلة ١. اطرح جانباً الذات القديمة.

المرحلة ٢. تجدد في روح عقلك.

المرحلة ٣. البس الذات الجديدة.

فبدأت أدرك أنني طوال الطريق كنت أحاول أن أقفز من مرحلة ١ إلى مرحلة ٣ بقفزة واحدة، متجاوزاً المرحلة ٢ وإذ كنت أفعل ذلك، تركت عدواً ورائي له قوة قطع خطوط الاتصال مسبباً، في أي وقت شاء، جموداً أكيدا لتقدمي الروحي.

وفي نفس الوقت، ففكرة تجديد ذهني كادت تبدو مثالية جداً أكثر منها واقعية. فهل كان من الممكن أن يلغي الله ويمحو الأشكال المتغلغلة بعمق في عقلي، ويغير عاداتي العقلية؟ فرغم كل شيء العقل بوجه عام هو الذي يصيغ ذات المعلومات التي نتلقاها تبعاً لتلك العادات ذاتها.

دعني أوضح لك ما أعنيه. خذ فنجاناً عادياً من المطبخ واملأه من الجيلي أو الجيلاتين. بعد ذلك صب ملء ملعقة من سائل ساخن على الجيلي. لاحظ أن السائل عندما يتدفق على سطح الجيلي، سيصهر شكلاً مركباً من القنوات الصغيرة. فإذا ما صببت ملعقة أخرى من أي سائل على

سطح الجيلي، فهذا السائل لن ينساب في أي مكان على السطح وإنما سيتدفق في القنوات الموجودة قبلاً.

والعقل يشكل قنوات من المعلومات التي يتلقاها بأسلوب مشابه. فما نتلقاه يتفق مع نفس الأشكال الموجودة مسبقاً في عقولنا. ولو أن مائة شخص يسمعون نفس الكلمات فسيتلقوها بمائة أسلوب مختلف. فنفس الشيء يمكن أن يُفرح شخص، ويضايق آخر، يسر ثالثاً ويثير حساسية رابع. واستجاباتهم المختلفة تعتمد كلية على الطريقة التي تصيغ بها عقولهم تلك المعلومات الواردة إليها. وكنت أتعجب، هل يمكن لأي شيء، أن يقتلع حقاً أشكال الفكر هذه المحفورة بعمق في عقولنا؟

على سبيل المثال، لقد كان عندي خاصية عقلية خاصة محيرة: لقد كانت أحلام اليقظة عادة تلازمني طوال الحياة. وكصبي صغير كنت خجولاً وهياباً. ويبدو أنني كنت دائماً في فصول دراسية بين صبية يكبرونني بسنتين أو ثلاث، مما زاد الأمر سوءاً. وكان لي أيضاً خيالاً خصباً حتى أنني صنعت لنفسي عالماً ذهنياً آمناً لا أخاف فيه من شيء لأنني أنا الذي صنعته بأكمله. ولما كبرت، تخلصت من خجلي واستحيائي ولكنني احتفظت بميل مستعص لأحلام اليقظة ومن وقت لآخر كان هذا يسبب لي بعض الضيق. وكان يبدو أن ليس هناك ما يمكن أن أفعله حيال ذلك. إلا أنني، في النهاية ارتكنت إلى حقيقة أن ذاك كان

مجرد الشكل أو الخلقة الذي كنت عليه. كان مصيري أن أكون من الحالمين في الحياة حتى يوم مماتي.

واليوم لست بحالم يقظة. ولو حاولت أن أكون، فسيكون هذا كما لو قال عقلي لي: "إلى أين تحاول أن تدفعني؟ فأنا لم أعد أعرف كيف أفعل ذلك". وفي كثير من الأمور الأكثر جدية من أحلام اليقظة، وجدت أننا لا نحتاج لأن نتمسك بأشكال أفكارنا القديمة، مهما كانت قد تغلغلت بعمق في عقولنا. لقد اكتشفت من الكتاب المقدس (واختبرت من تجربتي الخاصة أيضاً) أن عقولنا يمكن أن تتجدد حتى تتحرر لتفكر تبعا لذهن المسيح. إنها وصية تكررت مرتين، "*تغيروا بتجديد أذهانكم ...*" (رومية ١٢ : ٢)، "*تجددوا بروح ذهنكم ...*" (أفسس ٤ : ٢٣). لهذا فنحن لا يمكن أن نشك في ذلك بل هذا يعني بالأحرى أن نختبره.

دعني أوضح لك كيف يمكن أن يكون هذا اختبارك أنت أيضاً.

تدبير الله من أجل حاجات الإنسان

إننا نجد دائما تدبير الله في استجابته لكل احتياج للجنس البشري في عملين إلهيين:

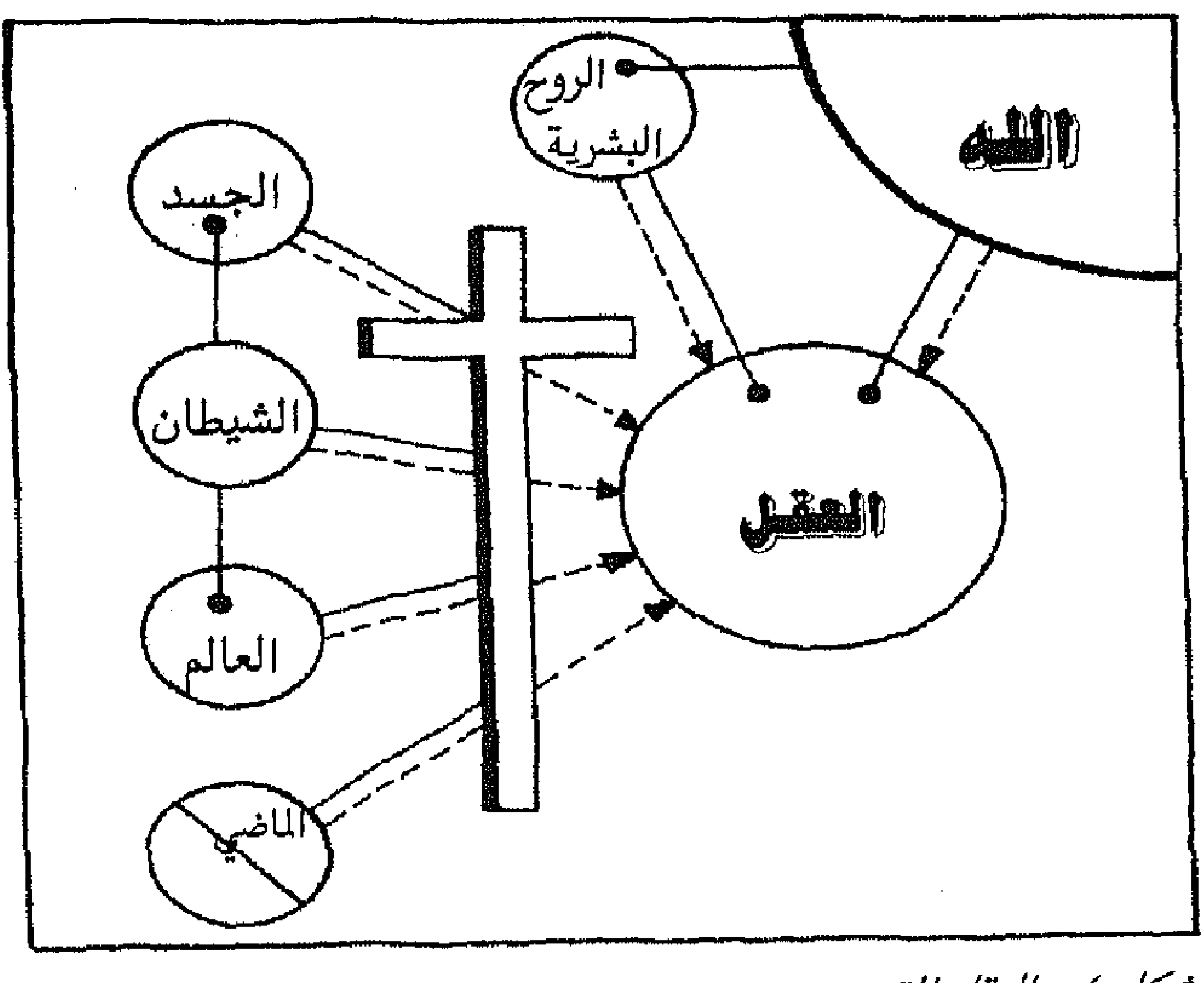
١- عمل الصليب.	٢- عمل الروح.

وكلاهما أساسي وكل منهما يسير مع الآخر. فبدون عمل الصليب، ليس

هناك طريقة يمكن بها أن تصل حياة ومحبة الله إلى إنسان فاسد وتخلصه. وليس هناك أساس يتعامل الروح القدس عليه معنا *"لأن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة أما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله"* (١كو ١: ١٨)

إن أي فهم سيكولوجي أو أسلوب للحصول على الكمال أو الشفاء يتجاوز عمل الجلجثة محكوم عليه بالفشل وينطبق هذا بالمثل على أي نوع من التعاليم التي تتمسك بتطلعات إلى تقديس الحياة بدون أن يكون عمل الصليب مركزيا فيها، كل هذا سوف يؤدي إلى أقصى درجات الإحباط.

ولكن بدون عمل الروح القدس، سيظل عمل الجلجثة العظيم غير مؤثر من حيث الاختبار. فالروح القدس هو الذي يأخذ ما للمسيح ويعلنه لنا. إنه يحقق في داخلنا، بالاختبار، ما مات يسوع ليحرزه لنا.



شكل ٤– العقل التجدد

عمل الصليب

لقد جعلت خطية الإنسان الصليب ضرورة. إننا نفهم هذا جيداً إلا أن ما لا نفهمه، في أغلب الأحيان، هو حجم ما عمله يسوع على الصليب. لقد سد يسوع فيه *كل* أعواز الإنسان، وحقيقة أن خطايانا قد غُفرت. فنحن المسيحيين يمكن أن نختبر ما يعنيه الضمير النقي في عالم تجرفه الخطية. إن هذا لشيء رائع ولكن الصليب تعامل مع أكثر بكثير من مشكلة **خطايانا** – لقد تعامل أيضاً مع مشكلة **طبيعتنا الخاطئة**.

لقد جُرب ابن الله وهو في إنسانيته في كل الجوانب، كما نُجَرب نحن، وطوال سني حياته الثلاث والثلاثين أحرز نصراً كاملاً وكلياً على الخطية والشيطان. وفي النهاية كان قادراً على أن يقول: *"رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ شيء"* (يوحنا ١٤ : ٣٠).

لم يكن هناك في يسوع الإنسان شيء يمكن أن يعطي الشيطان أي حق فيه أو أي سلطة عليه: لا خطية، لا فشل، لا خضوع، إلا أن هذه الحرية وهذه النصرة كانت منحصرة في إنسانية يسوع الشخصية.

لكن يسوع عندما جاء إلى الصليب، صارت إنسانيته الشخصية إنسانية مشتركة، فلقد ضمت كل من يؤمن به فيها. ففي (يوحنا ١٢ : ٣٢) يقول يسوع *"وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى*

أي ميتة كان مزمعاً أن يموت".

إن هذا أمر قاطع يحتاج إلى النطق به بوضوح جداً حتى يمكن فهمه. إنه مفتاح حريتنا الحقيقية من سلطان خطايانا.

- ولأننا كنا متحدين في المسيح، فعندما مات، متنا. وعندما حمل حكم الله على الخطية حوكِمت خطايانا وعندما دُفن، دُفنا، وعندما قام، قمنا، وعندما رُفع إلى موضع السلطان، وُضعنا هناك أيضاً. (رومية ٦: ٣-٦؛ أفسس ٢: ٥-٦).
- لقد أسلم يسوع ذاته إلى قوة الظلمة (لو ٢٢: ٥٣)، ولكنه بموته وقيامته حطم تلك القوة إلى الأبد عن كل من توحد معه.

وبعبارة أخرى، فإن الصليب يعمل على إبطال تأثير كل السلطات الاستعبادية التي كبلت عقولنا والكتاب المقدس يضع أمامنا هذا واضحاً.

١. *العالم:* لأن هؤلاء الذين في المسيح قد ألغى لهم الصليب كل سلطان لنظام العالم. فالرئاسات والقوى التي تحكم العالم قد هُزمت عند الجلجثة.

"إذ جرد الرئاسات والسلاطين أشهرهم جهارا ظافراً بهم فيه". (كو ٢: ١٥).

"أما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب يسوع المسيح الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم". (غلاطية ٦: ١٤).

فأنـا لم أعـد مُجـبَراً علـى الخضـوع لسـلطان قيـم العـالم أو مخاوفـه أو ضغوطه. فـالصليب قـد انـتزعني منـهم وانتزعـهم عـني.

٢. الجسد: إن المـوت يحررنـا كليـاً مـن عبوديتنـا للجسـد ونحـن في المسـيح نختبر هـذا المـوت التحـرري.

"ولكـن الذيـن هـم للمسـيح قـد صلبـوا الجسـد مـع الأهـواء والشـهوات".
(غلاطيـة ٥: ٢٤)

"عـالين هـذا أن إنسـاننا العتيـق قـد صُلـب معـه ليُبطـل جسـد الخطيـة كـي لا نعـود نُستعبد أيضـاً للخطيـة. لأن الـذي مـات قـد تـبرأ مـن الخطيـة" (رو ٦: ٦-٧).

وليـس أن الجسـد في ذاتـه قـد توقـف عـن الوجـود وإنمـا السـلطان الـذي لـه علينـا قـد انتـهى عنـد الصليـب. فـإذ اتحدنـا بالمسيح، متنـا هنـاك أيضـاً معـه. وهنـاك انتـهى أيضـاً حـق الجسـد ،الـذي يطـالب بـه، في طاعتنـا. فحيـاة القيامـة لا تديـن بشـيء للجسـد.

"عـالين أن المسيح بعـد مـا أقيـم مـن الأمـوات لا يمـوت أيضـاً. لا يسـود عليـه المـوت بعـد. لأن المـوت الـذي ماتـه قـد ماتـه للخطيـة مـرة واحـدة والحيـاة الـتي يحياهـا فيحياهـا لله". (رو ٦: ٩-١٠).

"أما شوكة الموت فهي الخطية. وقوة الخطية هي الناموس".

(اكو ١٥ : ٥٦).

٣. *الشيطان:* لقد كان الصليب سقوطاً للشيطان، كانت هزيمته هناك كلية. وتنطبق نصرة الجلجثة على كل هؤلاء الذين كانوا هناك، أي كل الذين كانوا في المسيح وماتوا وقاموا فيه.

"فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس" (عب ٢ : ١٤)

إن الصليب كان دينونة الله للعالم. لكنه كان تجريداً للشيطان من سلطته. لذا كان ليسوع أن يعلن، في ضوء ذبيحته الآتية: *"الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً"* (يو ١٢ : ٣١-٣٢).

٤. *الماضي:* إن الصليب يقف بيننا وبين كل ماضينا. إنه لا يمحو الماضي من ذاكرتنا، ولكنه يسلب قوته كلية من علينا.

إننا أحياناً نعتقد أن ماضينا، هو أيضاً خارج حدود قوة الله. والأمر ليس هكذا. فهناك في الحقيقة ثلاثة أشياء يريد الله أن يصنعها مع الأمور السلبية في ماضينا. هاهم:

أولاً ، هو يريد أن يغفر لنا ماضينا. فالجلجثة تعني ضميراً مُطهراً لا يديننا بعد. ودم يسوع وحده هو القادر على تحريرنا من آثار مشاعر الذنب

الناخرة المعرقلة، سواء كنا نعيها أو لا نعيها.

ثانياً، الله يريد أن يحررنا من قوة الماضي التي تفسد اختبارنا الحاضر. وهذا التحرر أراد الله له أن يكون كلياً ونهائياً تماماً مثل الغفران.

ثالثاً، إنه يريد أن يخلص ماضينا. ماذا أعني بهذا؟ أعني أنه عندما نسلم ماضينا إلى يدي الله العجيبة فهو، بشكل ما، سيخلص كل شيء. لقد رأيته يأتي بخير من أخطائي وغلطاتي. لقد رأيته يأتي بخير حتى من خطاياي. إنها لا تزال أخطاء ولكنه، بشكل ما، يقدر على جعلها مفيدة لغاياته. إن هذا لا يعطي عذراً على خطيئتي ولكنه كم يعظم نعمته!

التحرر في ذهننا

لكي يصبح العمل الذي صنعه يسوع من أجلنا على الصليب مؤثراً في اختبارنا الشخصي، يجب أن يُختَبر بشكل شخصي. وكل المؤمنين فعلوا ذلك أول ما قبلوا يسوع كمخلص وقبلوا موته كإحراز للغفران من خطايانا.

ولكن الصليب لا يتعامل فقط مع المغفرة: بل إنه يتعامل أيضاً مع الخلاص. وهذا يجب، أيضاً، أن يُخصَص بشكل شخصي. إنه الطريق الأوحد الذي يمكننا به أن نتحرر من سيطرة كل سلطان يحكم عقولنا. كيف نفعل ذلك؟

الخطوة الأولى: ***هي أن نعترف بخطايا عقلنا ونقبل مغفرة الله. وكما سترى، فنحن نحتاج أن نذهب أبعد من مجرد المغفرة***، ولكننا يجب أن نفعل ذلك أولاً. وهذا يعني اعترافاً أميناً بأفكارنا الخاطئة. سواء كانت غضباً، خوفاً، شهوةً، قلقاً أو ندماً وقبول مغفرة الجلجثة المقتناة بالدم.

الخطوة الثانية: ***هي نبذ ورفض كل سلطان منحناه، في عقولنا، إلى العالم أو الجسد أو الماضي أو الشيطان.*** يجب أن نفعل ذلك نحن، لا يجب أن نسأل الله أن يفعل ذلك من أجلنا.

"إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح". (٢كورنثوس ١٠: ٤).

لا تضل، فلو لم يكن المسيح قد سلب كل سلطان غريب من قواه لما كانت هناك أبداً أية وسيلة للخروج من وطأة قوته. ولكن إن لم نرفضه وننبذه نحن أنفسنا، سنبقى تحت قوته بالرغم مما حققه الصليب. يجب أن نجرده لأننا نحن الذين أقمناه في البداية. سوف يساوم على ذلك السلطان لإبقائنا في الأسر ما لم نعمل بحريتنا في المسيح.

أتذكر أنني كنت أتكلم مرة مع صديق عن الخلاص الذي للمؤمنين من قوة الخطية. وقد قال لي بعد ذلك، "لقد ذهبت إلى بيتي تلك الليلة وأدركت أنني كنت أعيش في سجن طوال ما يقرب من عشرين عاماً رغم

أن الأبواب كانت مفتوحة طوال ذلك الوقت. وخرجت إنساناً حراً".

قم بفعل النبذ هذا بتخصيص وتحديد. فليس هذا للاعترافات أو الصلوات العامة. إنك تتعامل مع كل سلطة فردية ومع مشكلات محددة. اعترف بها بصوت عال حتى تعرف بحق في قلبك إنك فعلت ذلك:

"أيها الشيطان إنني أجحدك وكل أعمالك. باسم يسوع أرفض سيطرة الخوف الذي تمارسه على عقلي، لأن سلطانك قد أصبح مسلوب القوة عند الجلجثة. إنني استعيد تواً الآن كل شبر من الأرض التي سلبتها من عقلي للخوف وآتي بكل أفكاري تحت سيادة يسوع المسيح".

وأحياناً ما تكون هناك مشكلات معينة يجب علينا التعامل معها. فربما، يكون عليك أن تحطم حقداً حفظت ذكراه طويلاً. إن هذا الجرح يجب الآن أن تتخلى عنه. وربما يكون لحادث مرير من الماضي سيطرة في الحاضر على عقلك. وسيحتاج هذا حذراً. فبالمرارة المستمرة التي تتمسك بها تجاه شخص آخر ستعطيه سيطرة على عقلك وشخصيتك.

لقد اعترفت امرأة لي مرة أنها سمحت للشكوى والمعاتبة لوالد مسن كانت تمرّضه أن يصبحا لهما القوة على عقلها لدرجة أنها لم تستطع أن تتخلص من ردود الفعل الحانقة والمجردة من المحبة. ولم تقدر على التحرر إلا عندما تحطم ذلك السلطان الذي في عقلها لدرجة أنه لم يعد لتذمر وضجر الوالد أي إزعاج لسلام عقلها.

هنالك مثلان محددان نحتاج فيهما إلى خدمة خاصة. وسأدعو الحالتين "قيود" و "لعنة".

١. *قيود*: لم يصل أحد منا إلى الأرض من يدي الله مباشرة. وبعبارة أخرى، كل منا هو نتاج لأجيال ماضية ولقد ورثنا منها، بالطبيعة أو بالتربية، ملامحاً معينة للشخصية أو ميولاً سلوكية. فيمكن مثلاً أن يكون لنا ميل تجاه تقلب المزاج أو الخجل أو سرعة الغضب. ويمكننا في العادة أن نتعرف على اتجاهات وملامح موجودة فينا وكانت في والدينا من قبلنا.

وليست هذه الصفات كلها سيئة بأي حال. فنحن نرث جوانب القوة مثلما نرث جوانب الضعف. ولكننا إن كنا قد ورثنا ضعفاً في جوانب ما، واستسلمنا تجاه هذا الضعف، فهذا سيخلق قيوداً يكون تحطيمها صعباً. فظلم (وليس ذنب) الآباء يحل على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع.

في عدد من مواقف الإرشاد كنت أجد هذا النوع من القيود كعامل رئيسي في مشاكل العقل التي ترتبط بالخيالات الجنسية والغضب والإحباط والقلق والمرارة. وغالباً ما يؤدي، تدخل القوى المستترة إلى اضطرابات نفسية ورؤى عند الأطفال والأحفاد. وفي كل حالات القيود كان الإنسان يجاهد كي ما يقطع أوراق الخطية أو التجربة ولكن الجذر الأساسي الذي يرجع إلى الماضي كان يوقد المشكلة فتصير التوبة والصلاة والقرارات بلا تأثير. إلا أن قوة الماضي، حتى ماضي ما قبل الولادة، يمكن تحطيمها. فباسم يسوع

يمكن قطع الجذر فنُعتق من الوراثة الشريرة التي تبدو وكأنها تحجب مصدر المشكلة خارج الحدود التي يمكن أن نصل إليها.

وإليك الخطوات الهامة:

- *أولاً*، يجب أن نقبل المسئولية على خطيتنا في المجال الخاص بالفشل. فبالرغم من الوراثة، فإن فشلنا نحن هو الذي يسبب المشكلة ولذلك فإننا نحتاج أن نتوب بدون إبداء أي عذر.
- *ثانياً*، يجب أن نجحد السلطان الذي سمحنا له بأن يتأسس في عقلنا. وبالوصول إلى هذه النقطة يكون هذا هو المنهج نفسه لحل كل المشكلات الأخرى للعقل.
- *ثالثاً*، نحن نحتاج أن يُصلي أحد من أجلنا، حتى يُقطَع الرباط بوراثتنا الماضية باسم يسوع.

"إذن إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً". (٢كورنثوس ٥: ١٧)

"وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات". (متى ١٦: ١٩).

إن وراثتنا الطبيعية، بكل ما يمكن أن يكون فيها من ضعفات أو

خطايا، يمكن قطعها. وإن لدينا في الحقيقة ميراثاً جديداً يمكن أن نُغرَس فيه. فحياتنا الآن تنبع من نبع جديد لأننا مولودون من الله، فالطبيعة التي قد ورثناها هي شخصية يسوع. و هذه هي الصورة التي يمكن أن نطابق أنفسنا بها الآن.

لقد رأينا أناساً كثيرين يصلون إلى اختبار الحرية المجيدة بعدما قُطعت قوة الماضي بهذه الطريقة. فهم لأول مرة يختبرون النصرة المستديمة النابعة من الممارسة في جوانب حياتهم التي كانت قبلاً في هزيمة كلية. إن هذا لا يستأصل التجربة، ولكنه بالفعل يقللها إلى المستوى العادي الذي يمكن التعامل معه والذي علينا أن نتعلم فيه كيف نجاهد وكيف ننتصر.

ولقد أفلتت مني الخطوة الأخيرة لسنين عديدة. ثم في ليلة ما، في خدمة تناول الأسرار المقدسة بكنيسة، تكلم الله فجأةً من خلال كلمة نبوة. لقد قال ببساطة، **"اكرم أباك وأمك"**. ففعلنا هذا. كرّمنا، والدينا. البعض كان لديه والدان صالحان، والبعض والدان ضعفاء، وقد كانت هناك حالة أو حالتين لم يعرف فيها الأشخاص والديهم الطبيعيين. ولكنهم كرموا أمهاتهم وآباءهم لأنهم هم الذين أعطوهم حياةً وأعطوا لهم ميلاداً.

وفي النهاية أعطانا الله كلمةً أخرى. قال "ما فعلته الليلة قد قلب اللعنة". ماذا يعني هذا؟ ميراث الخطية والضغينة قد وَرَث من جيل إلى جيل اللعنة. ولكننا إذ نتحرر من ذلك ونعطي، بدورنا، بركة وإكراماً إلى

هؤلاء الذين مضوا قبلنا، تنتهي العبودية هنا على التو. وهكذا أيضاً يُعتَق أبناءنا أيضاً من نفس القيود التي قد وُرثت منا إليهم. وفي حالات كثيرة، إذ يتم فعل طاعة الوصية هذا ويتأسس، يكون الشخص في حرية كلية من القيود الوراثية، حرية ممنوحة كعطية من الله.

٢. *اللعنة:* وهناك منطقة أخرى مشابهة غالباً ما يكون فيها احتياج لخدمة خاصة للشخص حتى يتحرر. فالكلمات التي تقال للناس، غالباً في طفولتهم تتوغل في الأعماق حتى تصبح لعنةً حقيقية أو تحريماً على حياتهم. *"الموت والحياة"* كما يقول سفر الأمثال *"في قوة اللسان"*. وأذكر كاهناً إنجيليكانياً مُسنا كان يخدم معي في ليلة ما على المذبح وكان يقول إليّ بعد ذلك، "توم، صلي من أجلي فلقد كانت هناك أشياء قيلت لي وأنا طفل في المدرسة الإعدادية بإنجلترا انتشبت كالخطافات في عقلي من وقتها".

إن القوة الآسرة المُحَجِمة السامة لمثل هذه الكلمات هو أنها دائماً ما يكون فيها قدر من الحقيقة. إن أمثال ٢٦ : ٢ يقول *"كالعصفور للفرار وكالسنونة للطيران كذلك لعنة بلا سبب لا تأتي"*.

إن الكلمات تُردد أصداء شكوكنا الذاتية نحن وهذا هو ما يُكبلنا بها. وعندما تُقال هذه الشكوك الذاتية بواسطة شخص ما نحبه أو نحترمه تتوهج بتأثير مميت في أرواحنا غير المرتابة. السخرية القاسية، والتمادي في

الغضب، وحتى المزاح على حساب الآخرين، بدون اهتمام أو تفكير، يمكن أن يصبح نبوةً تُحقق ذاتها بعد سنوات.

ولكن اللعنة يمكن أن تتحطم. *"فالمسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنةً لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلق على خشبة."* (غل ٣: ١٣).

كل هذه الكلمات واللعنات القاسية تأتي من الناموس بشكل أو آخر من أشكاله، والمسيح كي يخلصنا **نحن** أصبح هو لعنة. فكر ولو للحظة في كل الأشياء الجارحة الظالمة التي قالوها عن يسوع. لقد قالوا إنه خاطئ، وأن به روحاً شريرة. ولقد تحمل يسوع كل اللعنات التي على الإنسان وكسر قيدها عنا على الصليب.

نوال عطية الذهن المتجدد

في تجديد العقل يحطم الصليب قوة كل سلطان كان من قبل، والروح القدس هو الذي يجدد عقلنا المُحرَر.

ونحن نحتاج أن نعرف أن الذهن المجدد هو عطية. *"لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح"* (٢تيموثاوس ١: ٧).

و نحتاج أن ندرك أن هذا التجديد يأتي فقط بعمل الروح القدس.

"لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل

الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" (تيطس ٣: ٥).

في (٢كورنثوس ٣) يتكلم بولس عن هؤلاء الذين، يكون لهم عقل مُنَقب عند قراءتهم للكتاب. ثم يقول في عدد ١٨ : *"ونحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح".*

فنحن عندما نُخضِع عقلنا، بوعينا ونيتنا، لحضور الروح القدس، سيغسل الأفكار القديمة المعتادين عليها، الأفكار القهرية التي طالبت بأحقية الحكم الذاتي. لقد تحطمت العبودية، واللعنة رُفعَت والذهن أصبح حراً. لقد أصبح هذا هو الذهن المُجَدد الموضح في شكل ٤. إنه ذهن ليس فيه الآن إلا سلطان واحد، لأن أفكاره قد أُستُأسرت لطاعة المسيح. وبولس يصف هذا في (رومية ٨: ٦) كعقل مؤسس على الروح *"لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام".*

ولأن المشكلة الداخلية للسلطان قد تم حلها، فالنتيجة هي الحياة والسلام، وسلام الله يصبح الآن هو الحارس والحكم.

"وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع" (في ٤: ٧).

"وليملك في قلوبكم سلام الله الذي إليه دُعيتم في جسد واحد. وكونوا شاكرين" (كو٣: ١٥).

وعندما تحاول فكرة غريبة أن تقتحم عقلنا، يظهر مسبقاً مصدرها الحقيقي، مهما بدت مقبولة: فالسلام مُضطرب. تعامل مع الدخيل والسلام سيملك من جديد!

كنت في اجتماع حيث كان هناك أخ قد دعوته للكلام، وظهرت نعمة الله فيما قاله. بعد ذلك خرج إلى موضوع كان له فيه آراء لم أكن موافقاً عليها. فراودت عقلي الظنون "بأنه سيقلل من قدري. وإنه سيستغل الفرصة التي قد أعطيتها له". لم يفعل، ولكن كان هناك، ثقل في قلبي. فرفعته إلى الرب فأدركت بوضوح ما قد حدث. لقد استمعت إلى افتراء شيطاني ضد أخي، وآويت الظن. فاعترفت بخطيئتي، وطردت الظن، وفي الحال عاد الفرح والسلام. إن الظن عُرِض على عقلي متخفياً في الحذر والقلق الرعوي.

إن الذهن المُجدَّد يصير قادراً بشكل متزايد على التعامل بذكاء مع كل حدس للروح، حتى نتأكد من إرادة الله. فإن حاولنا أن نتعامل مع حدس الروح بذهن غير مُجدَّد، سنكون في خطر داهم من خلط ناتج عقلنا نحن بالإدراك الحدسي لصوت الروح القدس.

الحفاظ على الذهن المُجدَّد

من الأهمية إدراك أن تجديد الذهن ليس حدث يحدث مرةً فحسب.

إنه عمل الله الذي يجب أن يتأسس ولا يتبدد. وهناك بعض النقاط الهامة التي يجب فهمها:

الأولى: هي أنه عندما يتجدد ذهننا، **ستقرر، بدءاً من هذه النقطة، ما سيشغل عقلك**. هناك بعض الناس أصبحوا معتادين على ذهن يدّعي استقلاليته حتى أصبح من دواعي التعجب أننا يمكن أن نحدد ما ستفكر فيه عقولنا. في (في ٤: ٨) يقول بولس: *"أخيراً أيها الأخوة كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففي هذه افتكروا"*.

ولا يُقصد بالذهن أبداً أن يكون سلبياً. فبطرس ينصحنا: *"لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح"* (١بط ١: ١٣). كنت أتكلم مرة مع مسيحي شاب كان قد مر بكل أنواع المصاعب الروحية لأنه عندما أصبح مسيحياً قال له أحدهم: لكي تسمع الرب يتكلم، عليك أن تجعل ذهنك فارغاً. ولا عجب أن كل أنواع الأشياء المحظورة والمجردة من الحكمة تدفقت إلى هذا الفراغ. ليس هناك مكان في الحياة المسيحية لعقل سلبي. وعلى النقيض، فإن العقل المسيحي يجب أن يكون نشطا ومتحمساً ويجب أن *"يُنهَض"* (٢بط ٣: ١)، ولا ندعه يذهب لينام.

الشيء الثاني الذي يجب أن ندركه هو أن تجديد الذهن **لا يعفينا من**

التجربة. ارجع إلى شكل ٤ ولاحظ أن الصليب يقطع خط السلطان، ولكنه لا يقطع خط الاتصال. فالتجربة لن تتوقف عن المجيء. فالشيطان سيحاول أن يجعلنا نؤمن أن السلطان القديم مازال يعمل. لا تنخدع! فالقيد المكسور لا يعمل شيئاً. ولكن من جهة أخرى لا تنس أنه بسبب أن الطاعة تخلق السلطان، فنحن يمكن أن نقع في شراك عبودية نخلقها ذاتياً. فإن فعلنا ذلك، إن أدركنا أننا سنستسلم للأفكار الخاطئة ونقيم سلطاناً دخيلاً، فالطريق إلى العِتق سيكون سهلاً وفعالاً. يمكننا بل ويجب أن نحافظ على حريتنا.

التجربة في ذاتها ليست المشكلة الحقيقية. وإنما المشكلة الحقيقية هي مركز السلطان الذي تحتله التجربة في عقلنا. وهذا ما يجعل مهمة ردع الأفكار غير المرغوبة مهمة بالغة الصعوبة. وإذ نقوم بتسوية مسألة السلطان، يصبح الانتصار واقعاً رائعاً.

وأخيراً، سنكتشف أن تجديد الذهن **ليس فقط أزمة ولكنه عملية نقوم بها**. وهذه ضرورة في الطبيعة الإنسانية. إننا لا نريد فقط أن نتحرر، ولكننا أيضاً نريد أن نعرف كيف نستخدم الحرية.

"فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الأخوة. غير أنه لا تُصّيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً". (غل ٥: ١٣).

وإذ نقول، بلا رجعة، "نعم" لسيادة المسيح على عقولنا، سيصبح عمل

التجديد الذي للروح القدس اختباراً مستمراً.

"ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كولوسي ٣: ١٠). وانطلاقاً من هذا التجديد المستمر سيأتي تحول مستمر. وبولس يضع ذلك أمامنا في (رومية ١٢: ٢) ويُكمل أيضاً أسلوب هذا التحول في (٢كورنثوس ٣: ١٨).

"ونحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح".

إن المرآة لا يمكنها أن تعكس إلا ما تراه. هكذا فنحن يمكننا أن نعكس المسيح في حياتنا بالقدر الذي "نراه" به. وما نراه في المسيح يحدده ما نستقبله نحن من خلال إعلان الروح القدس لنا.

وبذهننا الذي قد تجدد وتطهر من كل سلطة دخيلة، يمكننا حينئذ أن نتطابق، ليس مع قالب نظام العالم، ولكن مع قالب الله: شبه صورة ابنه التي هي إنسانية ربنا يسوع المسيح المجدة.

الجزء الثاني

الفصل الرابع

ماذا عن مشاعرنا؟

ربما لا يكون هناك أي جانب في شخصيتنا نحتاج فيه العون، أكثر من جانب الانفعالات والمشاعر. والتعليم المسيحي، عموماً، قد أخذ اتجاهاً سلبياً بما يكفي تجاه هذا الموضوع برمته. فربما نسمح، في بعض الكنائس، بضرورة حرية التعبير من أجل الفرح والتسبيح في العبادة، ولكن هذا لم يزل يُعتبر من جانب الآخرين نوعاً من "الاتجاه المُنساق للعاطفة"، فحتى عندما يكون هناك تشجيع للتعبير في العبادة، تبقى هناك نظرة تجريبية أو متشككة إلى الانفعالات ككل. ومن المحتمل أن يكون هناك عنوان لكتاب حديث، *انفعالاتنا المتمردة*، يجمع الرؤية العامة لهذا الموضوع. نحن نميل لأن نُبقي مشاعرنا في أربطة محكمة لأننا لسنا متأكدين ماذا سيحدث لو تركناها تنطلق، وفي نفس الوقت فنحن باطنياً ندرك المحددات التي يفرضها ذلك بداخلنا. فنحن "نتعلق" أو "نتأزم" في أمور كثيرة.

أتذكر أنني كنت أتكلم في اجتماع بمنزل جماعة مسيحية تعمل وسط شباب إحدى مدننا. ولقد كان هناك تعبير بالغ الجمال في التسبيح والعبادة في الاجتماع، وهؤلاء الحضور قد شُجعوا لأن ينفتحوا بهذا الأسلوب إلى الرب. ولكن بعد ذلك، عندما كنا نتكلم مع رئيس هذه الجماعة، سمعته يقول، "إننا حازمون بشأن شيء واحد هنا: لا انفعالات في العبادة". وأعتقد أنني أعرف ما كان يعنيه، ولكن ملاحظته قد أوضحت اتجاهنا إزاء هذه الجانب القوي والهام من طبيعتنا. إن الكتب المكتوبة لشباب المسيحيين تؤكد مراراً أن الحياة المسيحية هي حياة إيمان لا مشاعر، بالرغم من أن التمييز الذي أوضحه بولس في (٢كو ٥: ٧) كان بين الإيمان والعيان، وليس بين الإيمان والمشاعر. *"لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان"*.

وبالطبع هذا لا يعني أن نأخذ المشاعر كمرشد أوحد (أو حتى رئيسي) للحق والحقيقة، ولكن هذا لا يعني أيضاً أن نتجاهلها. والصعوبة هي أننا لا نقدر على الانتقاء. فلو تجاهلنا أو كبتنا الجانب الانفعالي من طبيعتنا، سندمر المشاعر الإيجابية مع المشاعر السلبية. ولهذا السبب لا يشعر كثير من المسيحيين أن الله يحبهم أو أنهم يحبون الله، بالرغم من أنهم يعرفون أن الفرض الأول، على الأقل، حقيقي.

ما هي الانفعالات؟

من السهل اختبار الانفعالات أكثر من وصفها. وربما من أسهل الطرق لفهمها هو أن نراها كاستجابة كلية للشخص أمام أحداث تقع في محيطنا. فالصخب المفاجئ يجعلك تخاف، والإهانة تجعلك تغضب أو منظر شخص يتألم يجعلك تشعر بالإشفاق.

ولا تحرك كل الانفعالات كل قدرات الجسد ليتعامل مع حالات الخطر مثلما يفعل الخوف أو الغضب، ولكنهم كلهم لهم عامل الاستجابة الكلية للمؤثرات. والاستجابة التي نختبرها في مثل هذه المواقف يصحبها تأثير: أي شعور من نوع ما . ويمكن أن تكون هناك أيضاً أحاسيس أو تغيرات بدنية. فإن كنا غاضبين يمكن أن تحمّر وجوهنا وتتصلب عضلاتنا. وإن كنا متوترين فأفواهنا قد تجف ويغطي كفوفنا العرق. ولقد كان لإشعياء وصفاً حياً لبعض النواتج الفسيولوجية للتوتر الانفعالي:

"لذلك امتلأت حقواي وجعاً وأخذني مخاض كمخاض الوالدة، تلويت حتى لا أسمع. اندهشت حتى لا أنظر. تاه قلبي. بغتني رعب ..." (إش ٢١ : ٣- ٤).

وهناك ظاهرة هامة أخرى للانفعالات وهي أن نفس المشاعر عندما تُنَشَط بواسطة مجموعة من الحالات فإنها من الممكن أن تتكرر مرات ومرات بمجرد تذكر الحدث. فموقف قد سبب لنا الخوف أو الخجل

يمكن أن يأتي أيضاً بالقلق أو الارتباك كل مرة نتذكره فيها حتى ولو بعد سنين. إن هذا التأثير المتكرر، وخاصة مع الانفعالات السلبية القوية التي تنتج تغيرات فسيولوجية، يمكن أن يكون مصدراً لمختلف أنواع الاضطرابات الوظيفية والعضوية.

الانفعالات والسلوك

إن الانفعالات دوافع قوية للسلوك، يوضح الكتاب المقدس هذا:

"فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة" (أم ٤: ٢٣).

وبالرغم من أن الفكرة التي يتمسك بها أكثرنا وهي أننا نأخذ قراراتنا على أساس التفكير المنطقي، إلا أننا نجد كل بائع وكل رجل دعاية يعرف أنه كي يأتي بالناس إلى نقطة صنع القرار يجب أن يحرك مشاعرهم. وبوجه عام تُستخدم الملكات العقلية **بعد ذلك** لكي تجد سبباً لتبرير القرار الذي **شعروا** بوجوب اتخاذه.

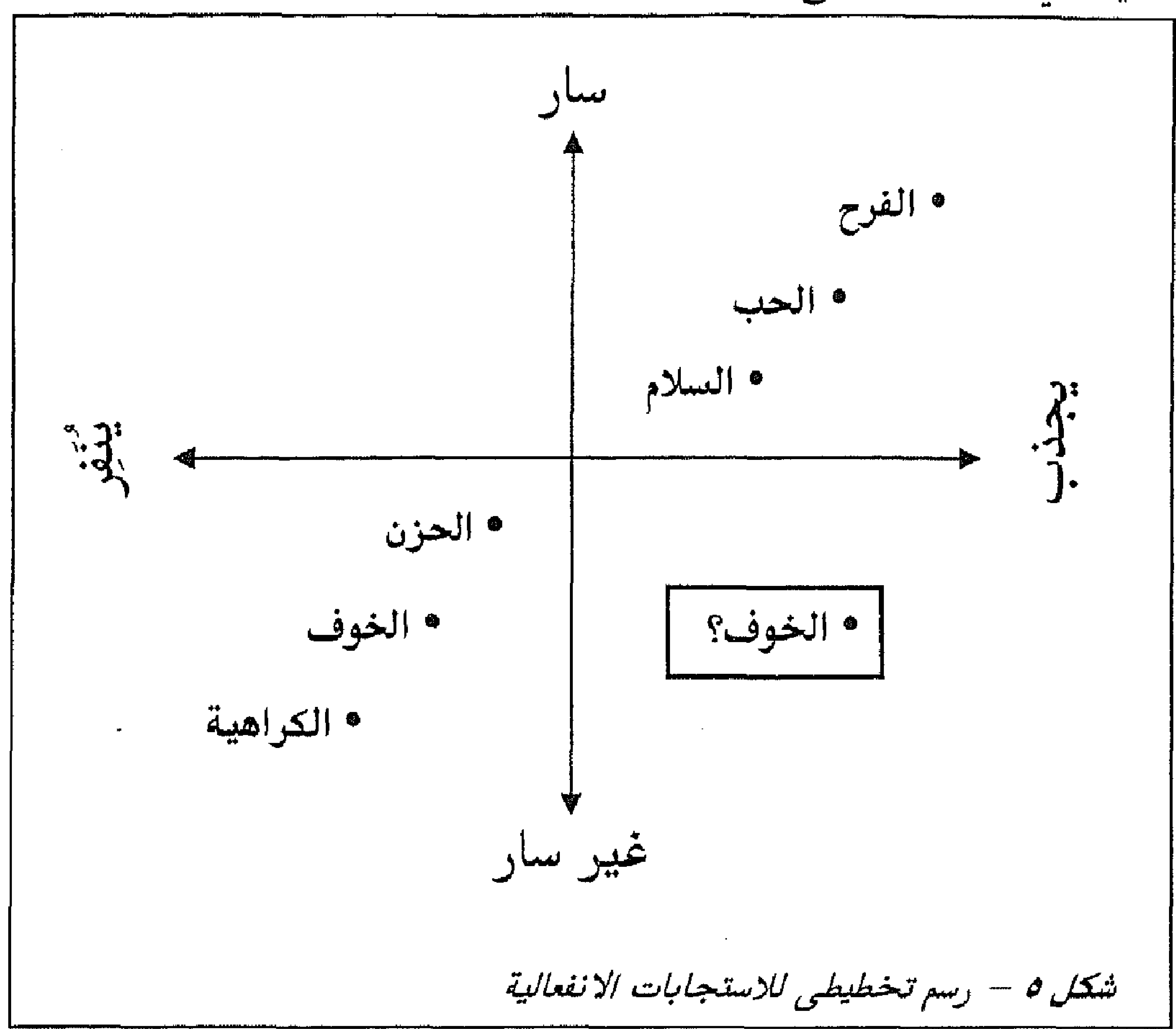
إننا عندما نحلل المشاعر فمن المفيد أن نصنفها تبعا للتالي:

١. ما إذا كانت سارة أو غير سارة.

٢. ما إذا كانت تجذبنا تجاه أو تدفعنا عن الشيء الذي سببها.

ويمكنك أن تقيس كل أنواع المشاعر البشرية بهذا المقياس (شكل ٥).

فالسلام، على سبيل المثال، هو شعور سار. فهو يجذبنا إلى الشخص أو الاختبار الذي يسببه. أما الغضب فهو شعور غير سار يدفعنا بعيداً عن أي شيء يسببه. والفرح شعور سار وجذاب جداً. لكن الخوف غير سار



شكل ٥ – رسم تخطيطى للاستجابات الانفعالية

ويدفعنا عموماً بعيداً، بالرغم من أننا أحياناً ما نكون منجذبين بشكل شديد إلى الشيء نفسه الذي يرعبنا. لهذا السبب نجد هناك سوقاً رائجاً لأفلام الرعب وقصص القتل الغامضة.

وبالطبع فإننا نفضل المشاعر السارة عن تلك غير السارة. ونستجيب

بإيجابية أكثر إلى الأشياء التي تجذبنا أكثر من الأشياء التي تُنَفّرنا. ولكننا يجب أن نتعلم درساً بالغ الأهمية وهو **أننا عندما نقوم بتطبيق قيم معنوية أو أخلاقية على حالة انفعالية، يمكن أن نواجه صعوبات خطيرة**. فلو اعتبرنا كل المشاعر السارة مشاعر "جيدة" وكل المشاعر غير السارة مشاعر "سيئة"، سينتج عن ذلك فوضى. فإذا ما أُمسِك شخص ما في علاقة خاطئة مذنبة أخلاقياً قد يقول، "كيف يمكن أن يكون هذا خطأً وقد جعلني أشعر شعوراً رائعاً؟"

فليكن هذا واضحاً لديك. الشعور ليس جيداً أخلاقياً لأنه سار. ولا هو، من جهة أخرى، سيء لأنه غير سار.

كل المشاعر، سواءً كانت سارة أو غير سارة، سواءً كانت جذابة أو مُنَفرة، يمكن أن تكون جيدة أو سيئة، صحيحة أو خاطئة. إن هذا لغاية في الأهمية لدرجة أننا نحتاج لإثباته من الكتاب المقدس:

- ***الحب:*** يمكننا أن نعتقد أنه بالتأكيد شعور جيد دائماً.

"أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد وُلِد من الله ويعرف الله". (١يو ٤: ٧).

إلا أن هناك نوعاً خاطئاً تماماً من الحب ففي نفس الرسالة نجد:

"لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم

فليس فيه محبة الله". (ايو ٤: ٧).

ما المقصود هنا بالحب؟ إن يوحنا يستخدم لفظ *agapao* ، أي الحب الأغابي، المعطاء وليس الشهواني، في كلا العددين. نعم، فمن الممكن أن يكون هناك نوع خاطئ من المحبة الأغابية.

- ***الغضب:*** هو شعور غير سار وعموماً ما يكون لنا حُكم أخلاقي سلبي عليه.

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم". (متى ٥: ٢١- ٢٢)

أخبرني صديق لي مرة، عندما كنا نتكلم عن هذه الفقرة، أنه كان يقوم بتحضير عظة، وكان منزعجاً جداً من الضوضاء التي كان يسببها طفلاه الصغيران. أخيراً بلغت المضايقة به حدها وسمع نفسه يصيح فيهما بغضب: إن لم تتوقفا عن هذا اللعب سأقتلكما! بعدها علق "لقد أراني الله من مخرج شفتاي كيف أن الغضب قريب جداً من القتل"

ومع هذا ففي (أف ٤: ٢٦) يقول بولس، *"اغضبوا ولا تخطئوا"* وبمعنى آخر يمكننا أن نكون غاضبين بدون أن نخطأ. وفي المجمع كان هناك رجل يده يابسة، فنظر يسوع إلى الفريسيين والهيرودسيين *"بغضب،حزيناً على غلاظة قلوبهم"* (مر ٣: ٥). فإن كنا نرى ظلماً بدون

أن نغضب، سيكون هناك خطأ ما في حساسيتنا الأخلاقية. فالغضب، بمعنى آخر، يمكن أن يكون جيداً أو سيئاً.

- **السلام**، بالتأكيد شيء جيد دائماً. ألم يقل يسوع، *"سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم"* (يو ١٤ : ٢٧)؟ ألا نقول للناس أنهم لو كان لديهم سلام بشأن شيء فالله لابد وأن يكون فيه؟ ولكن هناك سلاماً آخر يتكلم عنه الكتاب: وهو سكينة العبودية الميئوس منها:

  "حينما يحفظ القوي داره مُتسلحاً تكون أمواله في أمان".

  (لو ١١ : ٢١)

ويشير يسوع هنا إلى الشيطان "كرجل قوي كامل التسلح". وأسراه هم الذين يسكنون تحت سلطانه في "سلام".

- ***الخوف:*** هو شعور غير سار، ولكن هل هو دائماً سيئ؟ يقول كاتب رسالة العبرانيين إن المسيح جاء ليخلص هؤلاء *"الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية"*. (عب ٢ : ١٥). إلا أن مُرنم المزمور يصرخ قائلاً: *"اتقوا الرب يا قديسيه، لأنه ليس عوز لمتقيه!"* (مز ٣٤ : ٩) و*"خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد"* (مز ١٩ : ٩).

- **الحزن**: بنفس الأسلوب، يمكن أن يكون شيئاً جيداً أو يمكن أن

يكون شيئاً سيئاً.

"لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة. وأما حزن العالم فينشئ موتاً" (٢كو ٧: ١٠).

ونحن أيضاً نفترض مسبقاً أن كل حزن، بالرغم من كونه غير سار، يكون جيداً لنا. وبولس يقول إن هناك حزناً ينتج موتاً.

إن هذه الأمثلة كافية لتأكيد هذه الخلاصة: **الانفعالات أو المشاعر ليست هي مرشداً يمكن الاعتماد عليه في السلوك. ولا يمكن أن نعتمد عليها كحافز لنا تجاه ما هو حسن، أو دفعنا بعيداً عما هو سيء. فأي شعور معين يمكن، إما أن يكون حسناً أو سيئاً، صحيحاً أو خاطئاً.**

الفصل الخامس

فيما أخطأنا؟

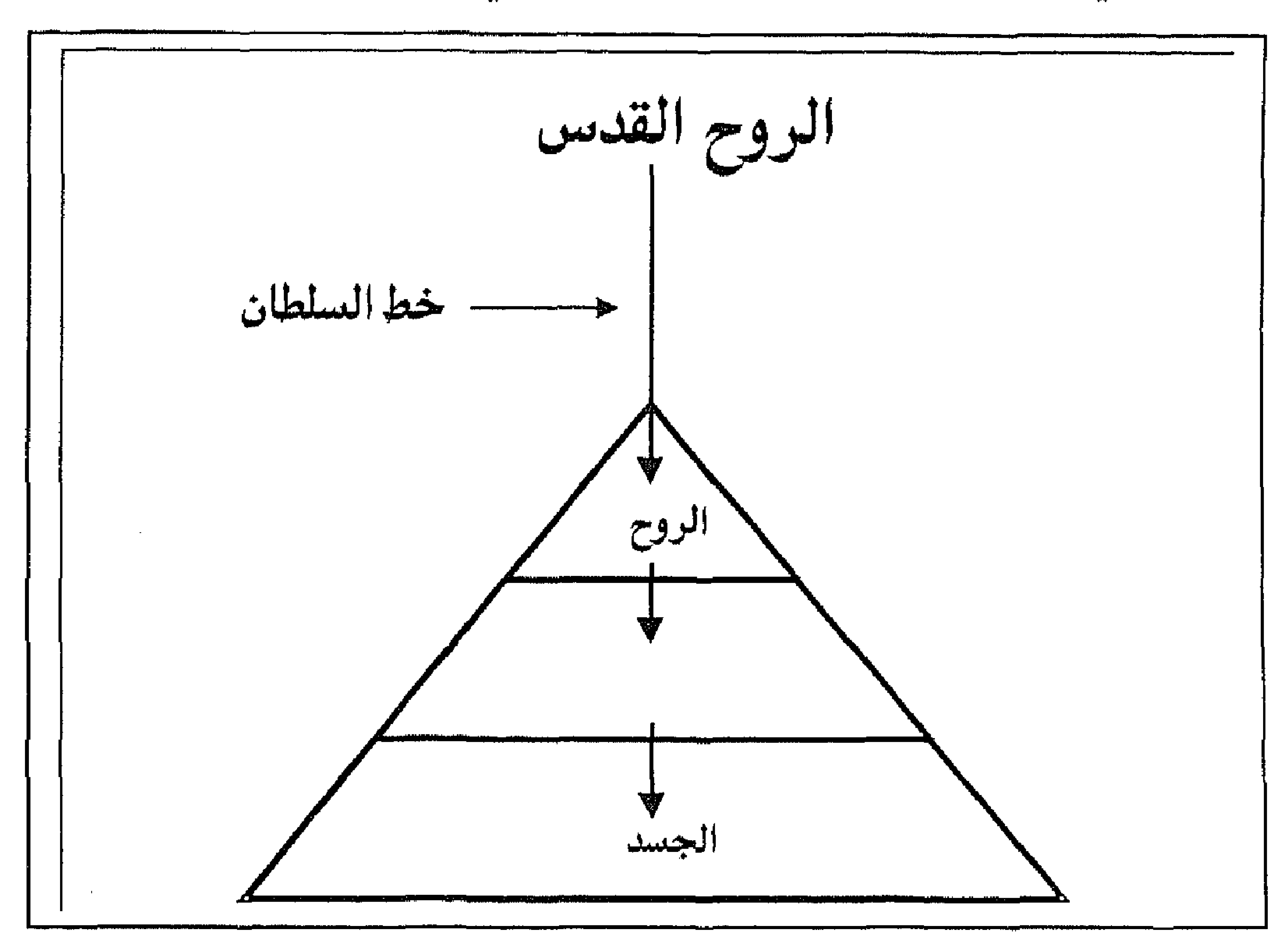
إن الإنسان في انفعالاته، يبدو وكأنه قد تسلح بدافع قوي جداً ويرتكن عليه السلوك. وهذا يبدو للوهلة الأولى مؤكداً لكل ما قد قرأناه عن أخطار الانفعالات، بالنسبة لحياتنا المسيحية. أيجب لهذا أن نتجاهلها، إن كنا لم نكبتها بالفعل؟ والمشكلة هي أن كلا من تجاهل أو كبت الانفعالات لا ينجح أبداً، بل كل ما يحدث هو أنها تدفع إلى ما تحت السطح حيث تعمل بنفس القوة التي كانت قبلاً بينما نصيغ نحن أسباباً أخرى لتبرير أفعالنا واتجاهاتنا. والمسيحي الذي يتجاهل أو يكبت مشكلة شعورية ربما يجني بدلاً منها مجموعة من الصعوبات الفكرية أو الذهنية. وهو في الحقيقة يصبح أسوأ من قبل. فليس هناك معارضة أو شرح أو برهان يرضيه، لأن الصعوبات الفكرية ليست مشكلته الحقيقية على الإطلاق.

إلا أننا عندما نرجع إلى الكتاب، نكتشف أن الانفعالات لا يمكن الارتكان عليها، ليس لأن الله جعلها هكذا، ولكن لأن هناك شيئاً ما يحدث فيها. إنها جزء من المشكلة التي دخلت مع السقوط. دعنا نرى ما

حـدث بـالفعل.

الإنسـان، كمـا خلقـه الله علـى صورتـه، كـان وحـدة تامـة بديعـــة ففـي آدم سـاد عقلـه علـى جسـده وروحـه علـى عقلـه والـروح القـدس علـى روحـه. وبـهذا الحـال كـان آدم كيانـاً حيـاً ذاتـي الشـفاء دون أي ثغـرة في دفاعـه يمكـن أن تدخل مـن خلالهـا الخطيـة أو المرض أو الموت. لـذا فـآدم وحـواء في حالتـهما

غـير السـاقطة كانـا بـالفعل غـير قـابلين للفنـاء، ليـس لأنـهما لا يمكـن أن يموتا وإنمـا لأنـه لم يكـن هنـاك حاجـة لهمـا لأن يموتـا. فـالموت دخـل الجنـس البشـري بواسطة الخطيـة، كمـا يقـول بولـس في روميـة ٥: ١٢.



شكل ٦ – آدم قبل السقوط

في ذلك الوقت كان الله قد وضع وظائف العقل والإرادة في نفس الإنسان. وفي نفس الإنسان، لذلك، تستقر إمكانية الاختيار الحر، وكانت هذه المنطقة هي التي شن عليها الشيطان هجومه. فلقد كانت محاولة تجربة الإنسان في روحه عديمة الفائدة. فالروح (الضمير) كان، في هذه الحالة، سيُرجع الأمر في هذا، ببساطة، إلى الروح القدس، وتكون تلك هي نهاية الأمر. ولكن احتمال التمرد وتأكيد الذات يوجدان في حياة نفس الإنسان وهنا جُرب الإنسان وهنا سقط. إن كل ما كان في طبيعة حواء معرضا للإثارة تم إغرائه. لقد رأت أن الشجرة كانت شهية للأكل (الحس الجسدي)، وشهية للأعين (الانفعال)، ومُشتهاة لأن تجعل المرء حكيما (الذهن). فأخذت من ثمارها وأكلت (الإرادة). وأعطت الثمر لآدم أيضاً وهو، غير مخدوع كما كانت هي، أكل أيضاً، وبهذا أضافا تمرداً روحياً لخطيتهما.

ويتضح مما سُرد في سفر التكوين أن كل طبيعة الإنسان اشتركت في الخطية، وكل طبيعة الإنسان قاست من السقوط. وبالنسبة لما يتعلق بالوجدان الإنساني كانت النتائج كما يلي:

١. *الضلال:* لقد كان هناك كم خطير من ردود الفعل الوجدانية الانفعالية للإنسان من حيث الدينونة الأخلاقية. وهذا واضح في الحال. وتجاه الله الصالح المحب، أصبح لآدم وحواء من تلك اللحظة مشاعر

سلبية طردتهم من حضرته. فهم خائفان ومختبئان. ويشعران تجاه الخطية والعصيان بمشاعر جذابة. ليس هناك دليل من جانبهما على التردد إزاء أكل الثمر المنوع. فهم استسلما للذة التي تعدهما بها.

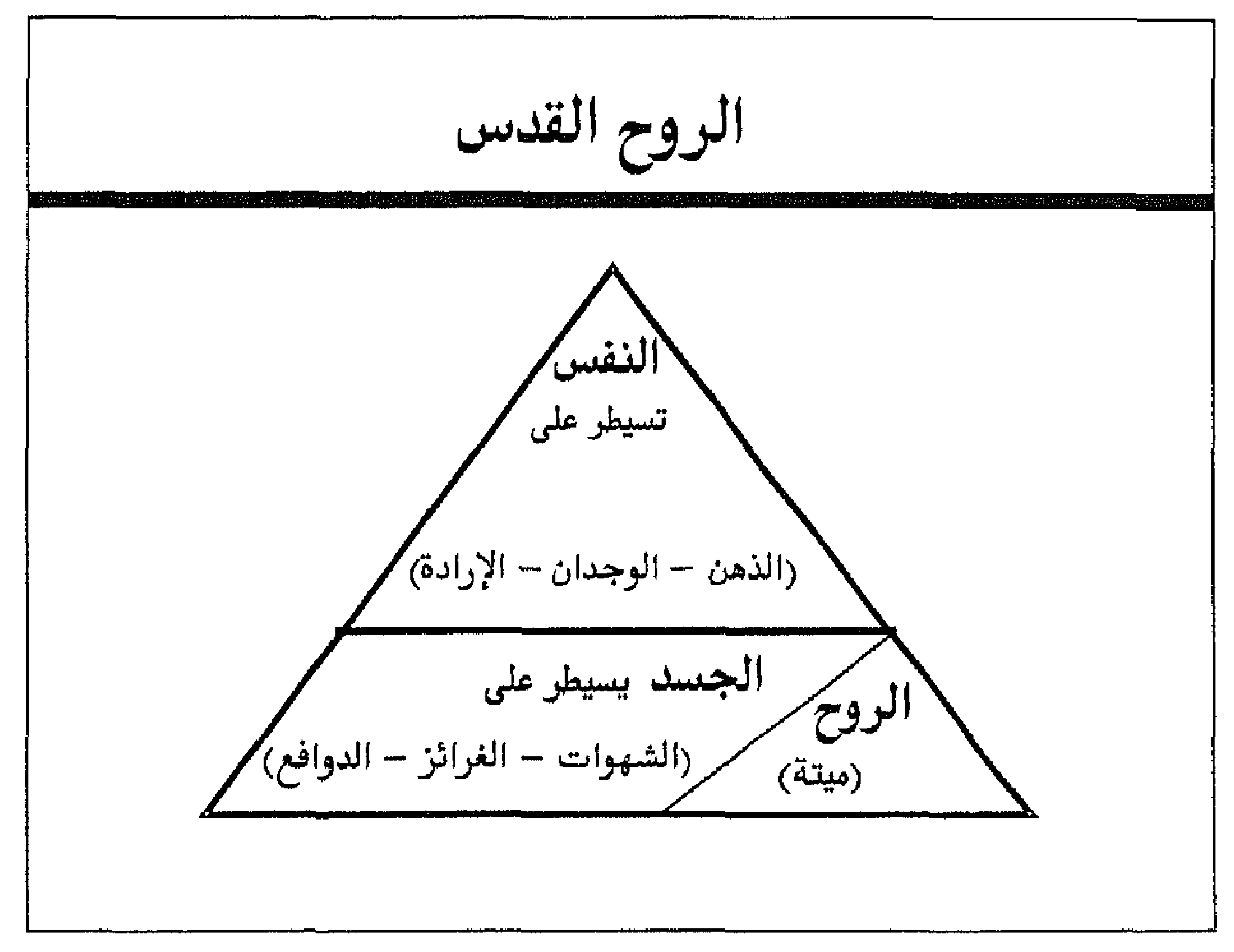
إن هذا هو الخلل الأساسي في الطبيعة الانفعالية للإنسان اليوم. فانفعالاته لا يمكن بعد أن يُرتكن عليها لتقوم بما كان مقصوداً لها أن تقوم به، أي، أن تُحفزه تجاه ما هو خير وجميل ولصالح عشرة الله المفرحة.

٣. *الانحلال:* لقد تم بناء كيان الإنسان الكلي حول روحه. ولقد كان من خلال روحه يتواصل مع الله، مصدر الحياة. والآن تدخلت الخطية وقُطعت الروح الإنسانية عن الله. إنها لم تتوقف عن الوجود، ولكنها تسقط في حالة موت كما في شكل ٧.

والنتيجة هي فوضى. فكل جزء من الطبيعة الإنسانية الآن يناضل للحصول على دور، أو على الأقل حكماً ذاتياً. فعند بعض الناس نجد أن العقل هو الذي يسيطر: فيبدون تقريباً وكأنهم لا يقدرون على الشعور على الإطلاق بينما، على النقيض الآخر، يوجد هؤلاء الذي تحكم حياتهم انفعالاتهم التي قد جمحت، فاليوم في شعور غامر من الإثارة، والغد في أعماق الإحباط. ثم هناك أناس تسيطر عليهم إرادة قوية جداً. يتعطشون للقوة. فمهما اعتزموا عمله يعملوه، دون أي اعتبار لما يكلفهم هذا أو يكلف الآخرين. وهناك آخرون يخضعون للشهوات الجسدية، التي لا يقدرون

على التحكم فيــها، وإنما علـى تهدئتـها فقـط.

وإذ ينتقـص الإنسـان الساقط إلى مبـدأ التكـامل فـهو دائمـاً مـا يكــون تحــت توتـر حـاد، وفي كثـير مـن الحـالات يتحطـم لأبسـط الأسـباب. فعقلـه يجذبـه في اتجـاه، ومشـاعره في اتجــاه آخــر. شــهواته الجســدانية تســعى إلى الإشــباع، وضمـيره يديـن، وروحــه تصـرخ نــداءً إلى الله الــذي يرفــض عقلــه أن يعــترف بـه، وهكـذا. والنتيجـة هـي صراع داخلـي غـير محتمـل. وإننـا يمكـن حتــى أن نتكلـم عـن أنـاس "ينـهارون" تحـت وطـأة التوتـر. إنـه لوصـف جيـد لمـا يحـدث بـالفعل.



شكل ٧ – الإنسان الساقط

الفصل السادس

الجرح الوجداني

إن الاحتياج للاستجابة لبيئتنا وجدانياً، وأيضاً بدنياً وذهنياً، هو جزء من العملية الحيوية للنمو. ويتبع ذلك أن تكون هناك حاجة إلى مستويات معينة من الحفز الشعوري تماماً مثل المجهود البدني. وليست كل الخبرات الوجدانية غير السارة ضارة. فالحزن، وخيبة الأمل والفشل والرفض والخوف كلها يمكن أن تقدم لنا فرصا للنمو. فلو كانت، الصدمة أو الضغط الشعوري أكثر مما نقدر أن نتعامل معه في وقت ما، يمكن أن يحدث ألم أو ضرر له خطورته وعواقب تكون غالبا ممتدة الأثر.

وفي الحالات الشديدة، يمكن أن يضطرب جهاز الاستجابة الشعورية للفرد كليةً. ويمكن أن تكون هناك ردود أفعال انفعالية شديدة جدا بدون أي ظروف كافية لتبريرها. فالإنسان الجبان يمكن أن يخاف أو يقلق من أتفه الأحداث، أو حتى بدون أن يعرف من أي شيء يخاف أو ما الذي يقلق منه.

"هناك خافوا خوفاً ولم يكن خوف لأن الله قد بدد عظام مُحاصرك"

(مز ٥٣ : ٥)

أو أن تكون الخبرة الفعلية للمشاعر مصحوبة بألم بالغ. فالمشاعر المرتبطة بالفشل، مثلا، تكون غير مرضية لأحد، ولكنها لبعض الناس تكون مؤلمة لأقصى حد حتى أنها لتُعجزهم. يقول المرنم:

"استمع لي واستجب لي. أتحير في كربتي وأضطرب من صوت العدو من قِبَل ظلم الشرير. لأنهم يحيلون علي إثماً وبغضب يضطهدونني. يَمخّض قلبي في داخلي وأهوال الموت سقطت عليّ. خوف ورعدة أتيا علي وغشيني رعب". (مزمور ٥٥ : ٢– ٥)

ومن الشائع، أن كل المشاعر تُكبَت حتى أن الشخص تبدو عليه الغلظة أو التبلد. وغالبا يكون ما حدث هو أن تحميلا شعوريا بالغا وقع على طبيعة حساسة ففجر "وصلة أمان". فيقل، بعد ذلك، أي نوع من الشعور الذي يمكن اختباره.

دلائل الجرح الوجداني

إن جراح المشاعر لا تُرى بنفس الطريقة كالجروح البدنية، التي تصيبنا بالرغم من أنها في الحقيقة، غالباً ما تكون أشد ألماً من الإصابة البدنية أو المرض. وغالباً أيضاً ما يكون جرح المشاعر سبباً للمرض أو الحوادث. إن

آثار الضرر الشعوري يمكن ملاحظته عموماً في سلوك الإنسان واتجاهاته، وبعض الدلائل الخارجية الأكثر شيوعاً للجرح الداخلي تحتاج للفهم.

أولاً: تكون هناك صعوبة كبيرة في مجال العلاقات الشخصية. فقد يكون هناك لدى الشخص اتجاهات مسيطرة أو متملكة، ومن جهة أخرى، اعتماد بالغ على الغير. وكخاصية مميزة، تكون هناك صعوبة في إعطاء أو قبول المحبة الحقيقية. وهذا يوضح عدم القدرة على تكوين الصداقات أو المحافظة عليها.

ثانياً: غالباً ما تكون هناك صورة سيئة عن الذات أو عقدة نقص. وهذا يظهر في كثير من الأساليب التي تكون متناقضة ظاهرياً: على سبيل المثال، الخجل الزائد، أو اتجاه نقدي شديد للآخرين، دافع مستمر لإثبات وجود الشخص أو لأن يكون معروفاً أو خوف غير سوي من الفشل.

ثالثاً: هناك نظرة متشائمة عامة للحياة تتدرج من الكلام والاتجاهات السلبية للحياة إلى الأفكار القسرية لطبيعة كئيبة مريضة، وفي الحالات الحادة، يصل الأمر إلى حالات عميقة من الاكتئاب بل والانتحار.

وأخيراً، بالنسبة للمسيحيين الذين يعانون من مشاكل وجدانية، غالباً ما تكون هناك هجمات ضارية من الشك الروحي وفقدان الثقة في الخلاص. ومن الأهمية البالغة في مثل هذه الحالات أن نحدد الطبيعة الحقيقية للمشكلة. وتكون أيضا الإجابات العقلية ليس لها جدوى لأن المشكلة

الحقيقية موجودة في موضع آخر.

مصادر الجرح الداخلي

كما رأينا من قبل، جراح المشاعر يمكن أن تسببها تجارب وجدانية مؤلمة يكون التعامل معها في وقتها خارج عن نطاق قدرتنا. وتضم مثل هذه الحالات فقد أحد الأبناء أو انهيار الحياة الزوجية أو الفشل في الوظيفة أو فقدان الصحة أو الحوادث أو فقدان المركز والسمعة.

حتى المصادر الأكثر شيوعاً للجرح الداخلي تأتي من الحياة لفترات طويلة تحت الضغوط مثل التنافر العائلي والمضايقات، الانتقاد، النظام البالغ التسلط. وهناك تراكم تدريجي للضغط حتى يبلغ الشخص أحياناً نقطة الانهيار وفي حالات أخرى نجد أن المشاعر الناجمة من الفشل في بلوغ الأهداف التي نرى أنها قد تسد احتياجاتنا، يمكن أن تتركنا بمشاعر مُدمرة من انعدام القيمة والشعور بالذنب والكراهية والقلق.

عندما تحدث هذه التجارب في الطفولة فهي غالبا ما تكون حرجة بسبب شدة قابلية الشخصية في السنيين المبكرة للأذى. وما عبر عنه إشعياء ٥٣ : ٢ عن المسيح ينطبق أيضاً على كل طفل: *"نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه"*. لذا فمشاعر الرفض في مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة يمكن أن

تكون مدمرة لبعض الأطفال، ويمكن أن تغرس شعورا بالسوء غير المستند على أي سبب. فالطفل يمكن أن يشعر بأنه عديم القيمة وبالسوء الكلي وأنه لا يستحق إلا أقصى العقاب. لقد تكلمت مع كثير من البالغين الذين كبروا بهذه الطريقة.

إنني أذكر جيدا امرأة شابة متزوجة كانت عندها مشكلة كبيرة في زواجها وفي أسرتها. وعلمت أنها هي وأختها قد وُلدتا بطريق غير شرعي، وبعد ذلك، عندما تزوجت أمها، تبنى الزوجان أخت هذه المرأة ولم يتبنوها هي، كانت تقول لي "طوال حياتي كنت أشعر أنني لا شيء، وأن الأمور السيئة فقط هي التي يجب أن تحدث لي". المأساة أن ما نتوقعه من الحياة نجتذبه إلينا، لهذا فمثل هذه الأنواع من الحياة غالباً ما تتسم بكم غير عادي من الأمراض والأزمات المالية والحوادث ومشاكل في العلاقات.

وفي حالة انهيار الزواج غالباً ما يكون الأبناء هم الضحية البريئة. فبجانب عدم الأمان الناجم عن تحطم عالم الطفل بأكمله، هناك أيضاً صدمة الطفل في أن يجد أحب شخصين له متحاربين الواحد ضد الآخر. وغالباً ما يكون هناك تدخل من جانب الطفل فأحياناً ما يلوم نفسه، وهو يحاول أن يحل صراع الانتماء لأي من الطرفين، وقد يتهم نفسه أنه هو سبب المشكلة بأكملها.

وأحياناً لا يكون السبب بالضرورة هو ما فعله الآباء بقدر ما توانوا عن

فعله. فعلى سبيل المثال، نجد أن كل إنسان يوُلَد باحتياجين طبيعيين: الاحتياج إلى الحب والاحتياج إلى القيمة أو الأهمية فإن لم يتم إشباع هذين الاحتياجين في الطفولة وفي المراحل اللاحقة فلا مناص من أننا سنتألم.

ولكن الحب يحتاج لأن نختبره، وحتى يُختبر، يجب أن يتم التعبير عنه تجاهنا. إن كثيرا من البالغين، عندما يتكلمون معي عن طفولتهم، كانوا يقولون: "أنا أعرف أن والديّ كانا يحباني. ولكنني اعتقد أنني لم أشعر أبداً بهذا الحب حقيقةً". إن الوالدين يجب أن يُعبروا عن محبتهم لأبنائهم، ويفعلوا هذا كثيرا بالكلمات والتصرفات.

والاحتياج للأهمية ليس مثل الاحتياج للحب. فمن المؤكد أن الطفل الواعي بأنه محبوب لديه فرصةً أفضل لأن يشعر بالقيمة، ولكن هذه ليست الحال دائما. إن الطفل، يبحث عن أم لتُشبع احتياجاته للحب ويبحث عن أب ليُشبع احتياجه للأهمية أو القيمة. فلو وقع طفل وجُرح فعادةً ما يلجأ لأمه لتهدئته، ولكنه إن رجع إلى البيت قادماً من المدرسة فخوراً بشيء قد حققه فعادة ما يكون الأب هو الشخص الذي يريد الطفل أن يريه ما قد نجح فيه.

ويمكن للوالدين أن يشبعا احتياجات الطفل المادية، ولكن إذا ما فشلا في تلبية احتياجاته للحب أو القيمة فسيكون هناك احتمال لنمو الطفل بشعور الرفض والضآلة اللذين من شأنهما أن يعوقا نموه الوجداني. ويمكن

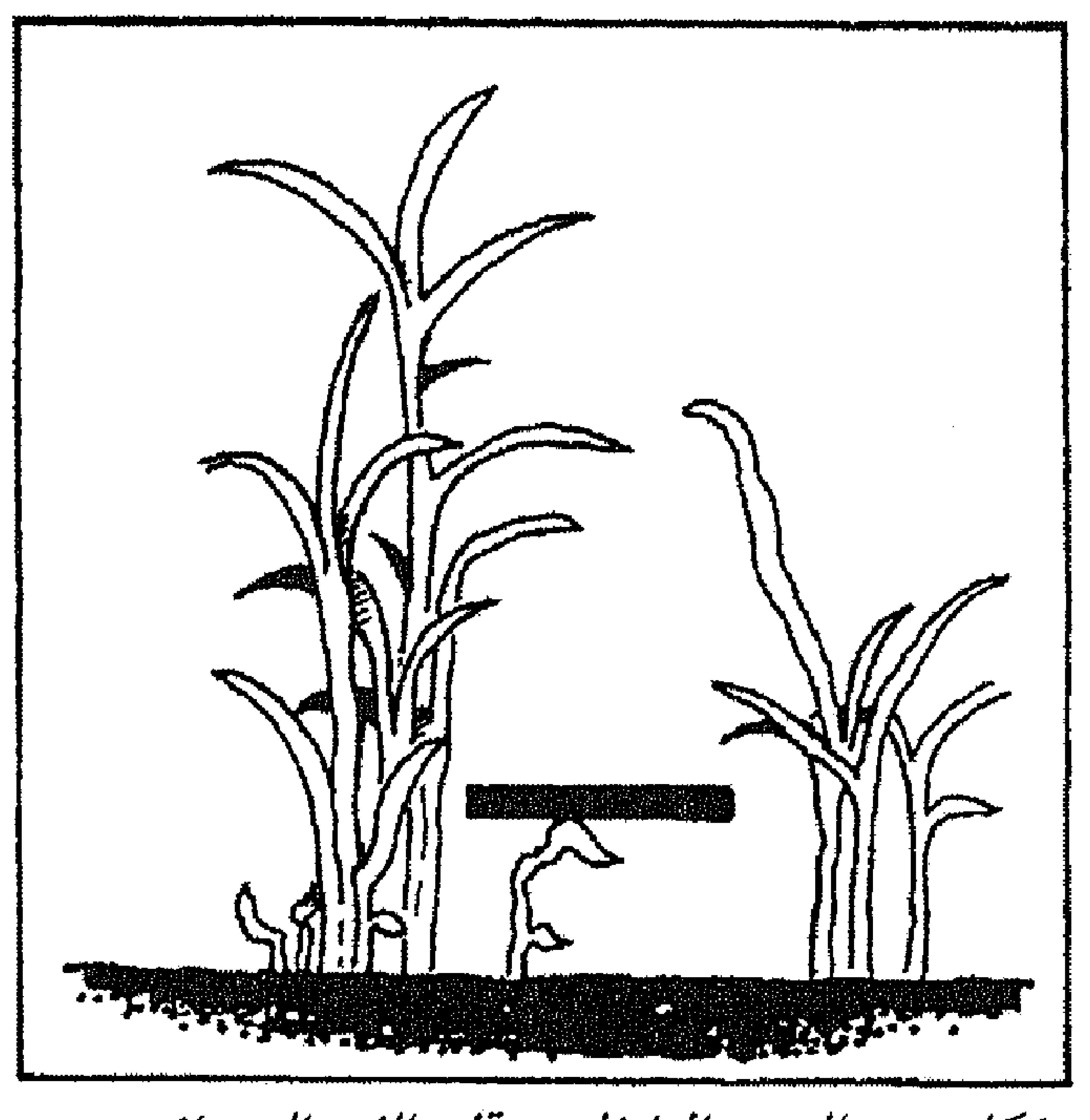
أن يحتفظ الأطفال، بمشاعر الكراهية ضد والديهم.

إن نتيجة خبرات الطفولة على حياة الشخص دائما ما يستحيل التنبؤ بها. فهي تعتمد على التأثير المركب من شخصية الطفل والبيئة التي يعيش فيها. لذا فما يمكن أن يكون بالنسبة لطفل معين بيئة بيت آمنة ومشجعة يمكن أن يكون لطفل آخر، في نفس الأسرة، خانقاً وكابتاً. وما يكون لطفلٍ ما تحدياً يرتفع إليه ويُنمي مقاومته به، قد يكون لطفل آخر صراع ميئوس منه، لقد قابلت أناساً كانت طفولتهم رهيبة لدرجة أنني تعجبت كيف أنهم نجوا بشخصيتهم منها، إلا أنهم عبروا كل هذا تقريباً بلا أثر لشيء. بينما عرفت آخرين تربوا في أفضل الظروف ولكن حادثة صغيرة واحدة تركتهم بأثر جرح لم يلتئم لسنين طويلة.

إن ما يؤثر في الطفل هو كيفية تفسيره للموقف وليست الحقيقة الملموسة للأمر. لذا فإنه لو فسر الطفل سلوك أبيه تجاهه كرفض أو لا مبالاة فسيؤثر فيه ذلك على هذا النحو، حتى لو كان الطفل مخطئاً تماماً وأبوه، في الحقيقة، كان يحبه وكان فخوراً به.

ماذا يحدث في الجرح الوجداني

إن الناتج الأكثر شيوعاً للجرح الداخلي، وبخاصة عندما يحدث في الطفولة، هو توقف النمو الوجداني (انظر شكل ٨). أننا نقول عن مثل هذه



شكل ٨ – الجرح الداخلي يوقف النمو الوجداني

الخبرات، إنه لم يمكن أبدا الارتفاع فوقها". إنه وصف دقيق جدا لما حدث. ففي بعض نواحي شعورنا، نفشل في أن نتعدى اختبار المشكلة. إنها مانع لا يمكن العلو فوقه بلوغا إلى نمو أبعد. ويمكننا أن نستمر في النمو بدنياً وعقلياً واجتماعياً وحتى روحياً ولكن بعض الأجزاء من نمونا الوجداني في حالة من عدم النضج. يقول علماء النفس إن عدم النضج يفرض ذاته كمولّدٍ أول للمتاعب إذ يسبب كثيراً من المشكلات العقلية والوجدانية والاجتماعية.

إن مشاعر عدم الكفاية والقلق والإحباط غالباً ما يكون سببها أننا نواجه مطالب وضغوط حياة البالغين بينما جزء منا لم يزل يشعر كطفل صغير.

ولهذا، فنحن نشعر أننا لا نقدر على التكيف مع هذه الضغوط. وعدم النضج يأتي أيضاً في بعض ردود أفعالنا إزاء الضغط، على سبيل المثال، تفجر الغضب أو عدم القدرة على التضحية بمصالح قصيرة الأمد من أجل الأهداف البعيدة المدى. فالطفل عنده منظور للزمن بالغ القصر، فهو يعيش في الحاضر المباشر وكذلك البالغ غير الناضج شعورياً غالباً ما يسلك بنفس الطريقة. إن رغبة الله من أجلنا هي النضج في كل جوانب الحياة:

"... *بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح*" (أف ٤ : ١٥)

الفصل السابع

شفاء الجرح الداخلي

لقد رأينا تكراراً أن استجابة الله لاحتياج الإنسان دائماً ما تكون ذات جانبين، عمل الصليب وعمل الروح القدس. والآن علينا أن نرى كيف يُشبع هذا التدبير احتياجات الجرح والألم العاطفي.

عمل الصليب

في الجلجثة، حمل يسوع المسيح كمخلص لنا كل الدمار الذي أتت به الخطية على الجنس البشري. لقد تألم روحياً عندما جُعل خطية من أجلنا وحمل دينونة الله ضد الخطية والشر. ولقد قاسى بدنياً بشكل من أقسى أشكال الموت التي أبدعها إنسان ساقط. ففي العالم القديم كان الصلب هو أقصى انتهاك وُجد ليُوَقع على الأعداء. وكان الرومان هم الذين فكروا في تطبيقه على الضحية. ولقد قاسى يسوع أيضاً وجدانياً، فكتاب العهد الجديد، في الحقيقة، قد ركزوا أكثر على عار الصليب أكثر من آلامه:

"مُحتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمُستّر عنه

وجوهنا. مُحتقر لم نعتد به. لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً (إش ٥٣ : ٣-٤).

والمخلص عرف الرفض والجرح الوجداني فوق ما حُكم على أي إنسان أن يتحمله أبد الدهر. لقد جاء إلى شعبه المحبوب، لمدينته المحبوبة وخاصته رفضته باسم الآب ذاته الذي قد جاء ليعلنه لهم. وعلى الصليب تحطم يسوع تماماً. فقد كرامته، فقد سمعته، فقد أتباعه. وأسوأ من كل شيء أنه قد جُعل، كحامل لخطايانا، خطية من أجلنا. لقد فقد تكامله الداخلي. وكان عليه أن يجد، في تلك الساعة من الاحتياج الأعظم، أن أباه قد حول وجهه عنه. *"إلهي، إلهي لماذا تركتني؟"*

ولكن لأنه قاسى إلى الحد الأقصى فهو قادر أيضاً على أن يخلصنا إلى الحد الأقصى، ولهذا يستطيع بطرس أن يكتب بانتصار "بجراحاته (باليونانية trauma) قد شفينا (أصبحنا مرة أخرى كاملين).

عمل الروح

في (رو ٨ : ١٥) يُسمَى الروح القدس روح التبني. وهذا ليس التبني بالمعنى الحديث الغربي، فالتبني عند اليهود كان مدخلاً للابن إلى النضج والبلوغ. لذا فالروح القدس هو روح النضج الذي يُمكّننا من النمو في المسيح.

وكجزء من خدمته فهو أيضاً ذلك الذي يُجّبر القلوب الكسيرة.

"روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأُبشر المساكين أرسلني لأَعصب منكسري القلب لأُنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق". (إش ٦١ : ١).

والاسم الذي يصف، على وجه الخصوص، خدمة الروح القدس هو ذلك الذي أعطاه يسوع له: البارقليط أو المعزي. دعنا نرى كيف يتمم الروح القدس تلك الخدمة.

الفصل الثامن

عملية الشفاء الداخلي

إن نظرت إلى الرسم التوضيحي (شكل ٢٢)، فسترى أن الصلة بين الوجدان والروح الإنسانية هو الرجاء. وبعبارة أخرى، أن الروح القدس إذ يشفي مشاعرنا يجب أن يتمكن من الدخول إليها، علينا أن نفتح مناطق الجرح أمام خدمته.

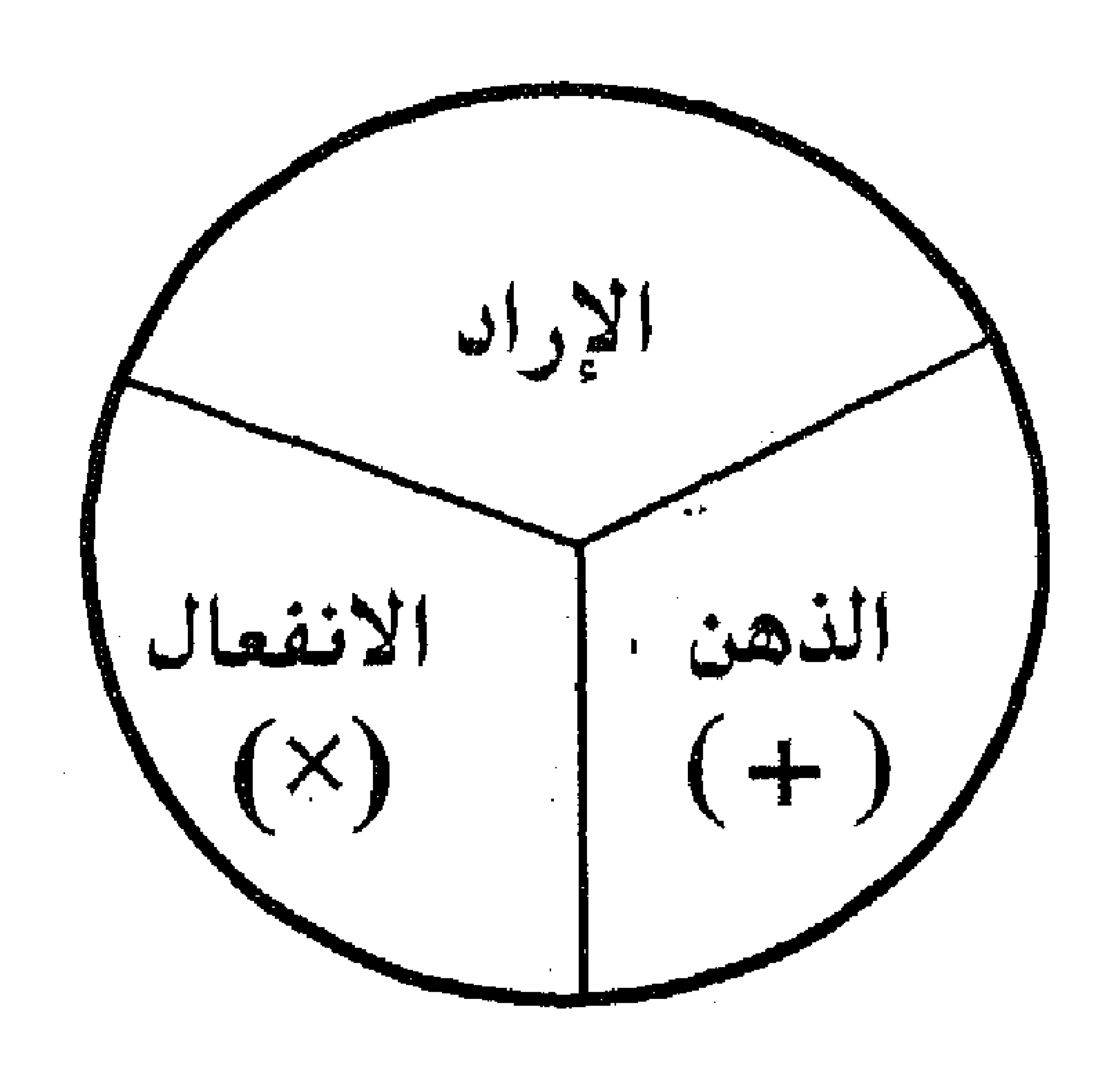
فتح المشاعر

من أهم النقاط التي يجب أن نتذكرها والمتعلقة بالشفاء الداخلي هو أنك يمكنك فقط أن تتعامل مع شعور عندما تشعر به. ففي ذلك الوقت فقط نكون قد اتصلنا مباشرة بالجرح ويمكننا أن نعطي الله مدخلاً إليه. انظر إلى الشكل التوضيحي ٩. إن كان لديّ مشكلة إرادة، عادة سيئة مثلاً أريد أن أكسر قيدها، فلن يمكنني التعامل معها إلاّ بفعل الإرادة لأن هذا هو الموضع الذي تكمن فيه المشكلة. فليس هناك أي قدر من التفكير (العقل) أو مشاعر

النـدم (الوجـدان) يمكـن أن تجعلـك تمسـك بالمشـكلة الحقيقيـة.

ولكننـا عندمـا نـأتي إلى التعـامل مـع المشـكلات في مجـال الانفعـال، فـإن استجابتنا المعتـادة هـي أن ندفـع المشـاعر غير المرضيـة إلى أسفل و أحيانـا مـا ندفنها حتـى لا نشعر بعـد بـها. إن صلينـا مـن أجـل المشـكلة، فكـل مـا نعطيـه لله هـو تقرير عقلـي (+) مـن ذهننـا، وليـس الشـعور (×) في انفعالاتنـا.

لقـد كـان أول مـا عرفـت ذلـك منـذ سنين مضـت، عندمـا أصبحـت مدركـاً أن الله أراد أن يلمـس شـيئاً في حيـاتي ولكـنني لم أعـرف مـا هـو. لقـد استيقظت يومـاً في الصبـاح وتذكـرت حلمـاً حلمـت بـه لتـوي. لم تكـن تفـاصيل الحلـم بالأهميـة ولكـن معنـاه كـان مـهماً جـداً. مـا أظـهره لي الحلـم أنـه كـان هنـاك طريـق، إن كنـت أصـل إليـه، فسـيؤدي بـي إلى المنطقـة العميقـة الـتي



شكل ٩ — النفس البشرية

كـان الله يريدنـي أن أصـل إليـها. رقـدت في السرير ذلـك الصبـاح، نصـف واع

ونصف نائم وقلت، "يا رب، كيف أصل إلى هذا الطريق؟" وفي الحال تكلم الرب بوضوح إلى عقلي، "ابدأ بذكريات الطفولة".

والآن، يجب أن أقول أن هذا كان قبل أن أقرأ أي شيء عن الشفاء الداخلي أو شفاء الذكريات بوقت طويل. ولقد كان ذلك قبل أن يظهر أي شيء في هذه الموضوعات بسنين، ولكن كان هناك ذكرى ومضت مباشرة في ذهني. لقد كانت شيئاً لم أفكر فيه طوال ٢٥ سنة أو أكثر. فلقد تذكرت نفسي وأنا طالب بالثانوية في الأعوام الوسطى للكساد الذي حدث في فترة الثلاثينات: كنا فقراء جداً في ذلك الوقت فلم أتمكن من الحصول على ثمن حذاء كرة القدم أو ملابس الألعاب الرياضية. ولكنني كنت مهتماً بشدة بالرياضة. فتذكرت في ذلك الصباح وأنا في السرير كم كان ذلك يجعلني أشعر بالضآلة والحيرة والخجل.

وهنا تأتي النقطة المهمة. ففي تلك المرحلة تذكرت لتوي الحقائق. ولكن في نفس اليوم بعد ذلك، إذ كنت وقتها أضع ورق حائط لغرفة نوم، رجع الأمر كله يجتاحني مرةً أخرى ولكن تلك المرة جاءت المشاعر معه. وشعرت بشعوري كطالب في فترة الكساد تلك، غاضباً خجلاً حائراً. لقد كانت تلك المشاعر من القوة لدرجة أنني وجدت نفسي أبكي على كل فرخ ورق الحائط. وهنا كلمني يسوع بوضوح أكثر بكثير من أي وقت مضى، أو منذ ذلك الوقت. لن أنسى كلماته أبداً. لقد قال، "أنا أعرف كيف تشعر.

فلقد كنت فقيراً أنا أيضاً"

عندما قال هذا، شفاني بشكل ما. فإن شيئاً ما، لم أكن قادراً أبداً، حتى ذلك الوقت، أن أعلو فوقه قد أزيل تماماً. فتوحده مع مشاعري شفى جرحاً كنت أحمله، وضمد الروح القدس قلبي الكسير.

لقد تعلمت ذلك الصباح أن أحب بعض الكتابات المقدسة بطريقة جديدة. "دعوا الأولاد يأتون إليّ، ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات" (مت ١٩ : ١٤). لقد أدركت أنه بالرغم من أنني كنت رجلاً بالغاً ورب أسرة في ذلك الوقت، فإنني إذ كان جزء مني قد شعر كتلميذ مجروح استطعت أن آتي إلى يسوع كتلميذ مجروح ولم يرفضني.

وبعد ذلك فقط أصبحت بالتدريج واعياً لأي مدى كان هذا الجرح المدفون نافذاً. مثلاً، كنت أشعر دائماً أنني مربوط اللسان للغاية وليس لي مكان بين الناس الميسرين مادياً، بالرغم من أنني في ذلك الوقت لم أكن شخصيا أُعاني من الفقر. كنت دائما أعاني عندما أشتري أشياءً لنفسي، حتى الأشياء التي كنت أقدر على تدبير ثمنها. والآن أدرك أن ذلك لأنني كنت مازلت أشعر بنفس شعور ذاك الصبي الذي كان في المدرسة.

تذكر أيضاً، إننا نتعامل مع جرح حاضر. فأحياناً تعبير مثل "شفاء الذكريات" يكون مضللاً إذ يوحي بأننا بشكل ما يجب أن نرجع بالزمن لنُغير شيئاً قد حدث مسبقاً. إن الحدث الذي قد سبب الجرح يمكن بحق

أن يكون منذ أعوام مضت ولكن الذكرى لا تقل أهمية، فالجرح موجود في الحاضر ولهذا فهو يمكن الوصول إليه بواسطتنا وبواسطة الله.

ولأنه جرح حاضر، يكون الشعور به عندما أكون قد ربطته بموضع المشكلة. إن جزءاً من صعوبة تعاملنا مع مشكلات الطفولة تكمن في حقيقة أننا لم نعد نقدر، كبالغين، أن نتوحد مع الأسلوب الذي بدت به الأشياء لنا ونحن أطفال. فمثلما قال بولس، إننا قد صرنا بالغين وتركنا ما للطفل . وما يمكن أن ننظر إليه من خلفنا، كبالغين، ونضحك عليه لم يكن أمراً مضحكاً في ذلك الوقت. اخترق هذه المشاعر التي لا تزال ذات تأثير عليك وستكتشف ذلك على التو.

وأحياناً لا تكون لدينا مشكلة في فتح المشاعر لأن احتياجنا عاجل ويجتاحنا للغاية ولأن الانفعالات تكون قوية جداً. وأحياناً أخرى يمكن أن لا تكون المشاعر السطحية هي المشكلة الحقيقية بل تكون المشكلة نتيجةً لمشكلة أعمق، أو ربما يكون هناك آليات دفاع، تُمارَس منذ وقت طويل، تعمل على كبت المشاعر غير المرغوب فيها. وفي هذه الحالات نحن لا نقدر على فتح المشاعر بفعل الإرادة. يمكننا فقط أن نعمل على كتم المشاعر، ولا نقدر على فتحها. نحن لا نقدر أن نكون فرحين أو غاضبين أو خائفين عندما نشاء. يمكنك أن تفهم ذلك لو كنت حاولت مرة أن تضحك على نكتة ترى أنها لا تستحق هذا.

- *الذاكرة:* هي واحدة من أقوى الوسائل لفتح مواضع المشاعر المجروحة. *"هذه أذكرها فأسكب نفسي عليّ"* (مز ٤٢ : ٤). هناك خاصية من الخصائص الغريبة للحالات الشعورية وهي، كما رأينا، أنها يمكن أن تنطلق أو يُعاد تنشيطها بواسطة تذكر الموقف الذي أثارها أصلاً.

ولكننا نحتاج أن ندع الروح القدس يقوم بعملية التذكرة هذه. إنه هو فقط الذي يعرف أي ذكريات تكون لها دلالتها. وربما لا تكون تلك التي نعتقد أنها بالغة الأهمية. ويمكننا أن نتعامل مع كثير من التجارب التي تضغط علينا، حتى المؤلمة منها، بنجاح كامل حتى نستفيد منها. إن التجارب الحرجة هي تلك التي كانت أكثر مما يُستَطاع تحمله بالنسبة لنا فدُفِنَت في العقل. لذا فنحن نحتاج أن نصلي مثل داود: *"اختبرني يا الله واعرف قلبي امتحني واعرف أفكاري ..."* (مز ١٣٩ : ٢٣).

وفي بعض الحالات، قد تكون حتى ذكرى الحادثة أو الظروف ليست بكافية لاختراقها. فقد نتذكر الحقائق ولكننا لا نزال غير قادرين على الإمساك بالمشاعر المجروحة. وغالبا ما يكون العائق متضمنا اتجاهات خاطئة قد نميناها فينا، وتلك يجب أن نتعامل معها قبل أن يكون الشفاء مستحيلاً.

وما يحدث في الغالب هو أننا بعد أن نُجرَح تدخل فينا الكراهية والمرارة. وهذا يجب التعامل معه. وبينما نحن نتمسك بالمرارة ضد هؤلاء

الذين جرحونا، فنحن فعليا نُخرج المسيح من الموقف. إنه لا يقدر أن يدخل ويشفينا، مهما أكثرنا الطلب إليه. إن المغفرة هي شرط مُسبق أساسي للشفاء.

والمغفرة مهمة أيضاً لأننا إذ نتمسك بعدم المغفرة نبقى تحت قوة الشخص أو الموقف المسئول عن جرحنا. فلا نكون أحراراً لنختار كيفية الشعور أو رد الفعل الذي يجب أن نتخذه. سنبقى تحت قوة الجرح حتى ولو كان الأناس المعنيون غائبين أو أمواتاً.

والمغفرة ليست هي نفس الشيء كالغفران. فمن جهةٍ، الله وحده هو القادر على غفران الإساءة. فعندما أسامح شخصاً ما قد أساء إليّ، لا أقول أن الشيء الخاطئ الذي فعله صواب: إنني أتعامل مع رد فعلي الشعوري تجاهه. إنني أحرر نفسي من الضغائن والمشاعر القاسية التي كنت أمسك بها عليه، لهذا فإرادتي مشتركة في الفعل، ولهذا يمكنني، بإرادتي الحرة، أن أعتق مما كنت أمسك به عليهم. لهذا السبب كانت المغفرة وصية: إنها تبدأ باختيار السلوك الصحيح تجاه الأعداء.

"أحبوا أعداءكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. باركوا لاعنيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم." (لو ٦: ٢٧- ٢٨).

ويمكن أن يصبح الحزن والأسى عائقا للشفاء. ففي حالات مثل فقد الأبناء أو انهيار العلاقة الزوجية أو الحالات القاسية المشابهة، يكون هناك

حالة حزن يجب أن نمضي كلنا من خلالها. ولكن من الممكن أن يصبح هذا الحزن استعبادياً لنا وذلك ما إذا صار مركزياً في قلبنا، تبدأ حياتنا كلها في الدوران حول ذكرى خسارتنا. إن مثل هذا الصنم يجب تحطيمه.

وأخيراً فنحن يجب أن نواجه احتمال أن ما نفسره كجوح يمكن أن يأتي من عدم رغبتنا أو عدم قدرتنا على مواجهة حقائق غير مُرضية عن ذواتنا أو عن سلوكنا. ولا ينفع هنا أن نحاول أن نغفر للشخص الذي قال الحقيقة فهو، كان على صواب ونحن كنا مخطئين. فالحقيقة أحياناً ما تجرح، ولكن جراح الحقيقة تُشفَى بسرعة بدون أن تترك أثراً إذا ما واجهناها. فالصراع الأمين مع قضايا مثل هذه يأتي، بشكل دائم تقريباً، بالجرح الحقيقي وبالقضية الحقيقية إلى سطح إدراكنا الواعي، حتى يكون من السهل الوصول إليهما ونعرف ما نتعامل معه.

تسليم الجرح للمسيح

إن المغفرة غالباً ما تكون شرطاً مُسبقاً، ولكن المغفرة نفسها لن تشفينا. وبنفس الطريقة يكون من الضروري للمشاعر المتألمة أو السلبية أن تُحضر إلى إدراك واعٍ حتى نتعامل معها، ولكن هذا في ذاته لن يجعلنا أصحاءً. فالجرح يجب أن يُسلم إلى المسيح.

إن ما يجعل شفاء الإنجيل فريداً (ويميزه عن أساليب العلاج النفسي

الإنساني) هو أن مخلصاً وشافياً حقيقياً حياً وفائقاً للطبيعة يدخل على مسرح الأحداث. وغالباً ما أكون، بصدق، خائفاً من مجرد التلميح بأن يفتح بعض الناس ألماً أو جرحاً مكبوتاً يحتفظون به في ترقب، إن لم يكن هناك شيء واحد وهو أن يسوع بالحقيقة حاضر في ذلك الموقف.

ولأنه حاضر ولأننا، عندما نشعر بالجرح، نستطيع أن نصل إلى الجرح. فإننا نحتاج أن نأتي إليه ونسلمه إياه ونتحرر بواسطة النعمة الفائقة للطبيعة. فعندما نأتي إلى نهاية صراعاتنا، التي استمتنا فيها لحفظ آلامنا في نطاق الوعي، علينا أن نسلمها إليه بنفس الطريقة. فالجرح والألم يمكن أن يخرجا من قلوبنا إلى مجرى دم المسيح بنفس الطريقة التي تخرج بها إلى هذا المجرى خطايانا وأمراضنا. وحتى الجرح الذي لا نعتقد أبداً أننا سوف نعلو فوقه يمكن أن يمضي إلى الأبد.

"توكلوا عليه في كل حين يا قوم، اسكبوا قدامه قلوبكم، الله ملجأ لنا". (مز ٦٢ : ٨)

عندما نُسلم الجرح، يمكننا أن ننال في مقابله محبة الآب غير المشروطة لتشفينا. إننا نتحرر بقوة روح التبني لنبدأ في النمو من عدم نضجنا الانفعالي.

النمو في المسيح

لأن الجرح الانفعالي ينتج كثيراً من عدم النضج، فشفاء الجرح يتضمن

عملية النمو. ويمكنك أن تنمو خارج دائرة عدم النضج. لذا فبينما يمكن أن تحدث إزالة العائق أو التعامل مع التجربة المانعة في لحظة، فهناك عامل زمني يتطلبه إكمال تلك العملية. ولأن قدراً كبيراً من الوقت قد مضى بالانغلاق في هذه المواضع المسدودة، فإنه لا يمكن أن يحدث النمو بسرعة كبيرة، ولكن مرور فترة من الزمن دائماً ما يكون ضرورياً.

إننا نبدأ في اختبار حقيقة محبة الله لنا شخصياً. إنني لن أنسى أبداً اختباراً عشته لمحبة الله. لقد سُئلت مرة، مع صديق من الكاثوليك اللاتين، لأن نصلي مع رجل أراد أن يعتمد بالروح القدس. تكلمنا معه لبرهة من الوقت عن الموضوع وبالرغم من أنني لم أكن قد قابلت هذا الشخص من قبل، شعرت بعاطفة حقيقية وتأثر تجاهه. بعد ذلك قال، "يكفي الكلام عن ذلك، فلتصليا الآن من أجلي"، ركع على الأرض والتففنا حوله وبدأنا نصلي من أجله. فجأة بدأت اختبر في قلبي الطريقة التي أحب بها الله ذلك الإنسان. لقد اكتشفت تلك الليلة شيئاً عن محبة الله لم أصل أبداً من قبل إليه. اكتشفت أن محبة الله ليست كمحبة الإنسان على الإطلاق. إنها ليست محبة الإنسان وقد تم تكبيرها أو تضخمت مرات عديدة. فالفرق كيفي وليس كمي. لقد عرفت، بدون أدنى شك، أنه لو نهض هذا الشخص من الأرض وبصق في وجهي أو حتى حاول قتلي، لما أثر ذلك في هذه المحبة بنقطة واحدة. لقد عرفت ذلك. فمحبة الله غير مشروطة وغير مُشترطة على الإطلاق. إنها لا يمكن أن

تُستحَق أو تُكتسب أو تتغير أو تضيع، إنها هكذا فحسب. إنها تصل إلينا سواءً كنا نعرفها أو لا، سواءً كنا نستجيب لها أو نرفضها. وكان من العجيب جداً أننا بعد ما توقفنا عن الصلاة، إنني بحثت في داخل قلبي عن هذه المحبة، ولكنها لم تكن بعد هناك. فلقد كنت أسفل في الخلف، على مستوى الانفعال والتأثر الإنساني.

لقد وصلت نفس هذه المحبة ذاتها إلينا كلنا. فلقد خُلقنا وفينا الاحتياج إليها. إن ذلك الاختبار يشرح بالنسبة لي لماذا لا يأتي، في الغالب، اشتياقنا الأعظم لحضرة الله في فترات الاحتياج والأزمات، وإنما في وقت الفرح والسعادة عندما، تكون الحياة في أكملها وأفضلها. وفي وسط كل هذا يصرخ شيء في داخلنا، "حتى هذا ليس بكافٍ".

إن المحبة، محبة الله غير المشروطة الأبدية غير المحدودة، يمكن أن تعوض أي نقص في المحبة في أية حياة إنسانية. وبدونه سوف يكون هناك دائما إفلاس في المحبة.

وفي الخلاصة، الله هو الذي يعطي معنىً لنا. لقد كان ما أعطاه لي هو إحساس لا يُصَدق بالأمان في حياتي إذ تعلمت أن قيمتي، مدلولي الأبدي، ما هو إلا عطية كلية لنعمة الله. لا أقدر أن أضيف نقطة واحدة لذلك، فلو نجحت في كل شيء أتجه نحوه، فإن هذا لا يضيف أي شيء لقيمتي الأبدية. ومن جهة أخرى، لو فشلت في كل شيء حاولت فيه وحياتي

كلها كـانت كارثة شخصية، لـن يقلـل هـذا مـن قيمـتي الأبديـة بنقطـة واحـدة.
يمكــن أن أتمتــع باستحســان الآخريــن واشــتهي المــذاق الحلــو للنجــاح في
تحقيـق الأهـداف، ولكنـني لا أريـد أيــاً منــهما لكــي يكــون لي معنــىً بشــكل
أبدي. فكل مــن الرجـاء والقيمـة هما عطيـة الله لأبنائـه.

الفصل التاسع

كيف نتعايش مع انفعالاتنا

نحتاج لمزيد من الفهم للضرر البالغ الناتج عن الخطية، حيث يحدد هذا الأبعاد الكلية للخلاص. فالخلاص يصل إلى كل الجوانب التي تأثرت بالسقوط. ولا شيء يُترَك من شفائه. فليس هناك مجرد إعادة ميلاد للروح، وإنما هناك تجديد للذهن وشفاء للجسد، وعتق وتوافق للانفعالات.

ومن أعظم الحقائق المتعلقة بصليب المسيح، هو أنه عمل مصالحة:

"وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه" (كو ١: ٢١-٢٢).

فالمصالحة هي خلق التوافق بين طرفين انفصلا من قبل. ومن جانب الله لا يتضمن هذا تغييراً في المحبة، لأن محبة الله للإنسان الساقط لم تتغير أبداً. ولكن هذا تضمن تغيرا في العلاقة لأن الله الآن يمكنه أن يعطي البركة، وليس الدينونة، إلى الإنسان الخاطئ.

ومن جانب الإنسان، نجد أن اتجاهه الكلي بالنسبة لله يحتاج لتغيير. خاصة، ردود أفعاله من خوف وذنب وتمرد وعناد وقساوة.

"لأننا وإن كنا ونحن أعداء قد صُولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مُصالحون نخلص بحياته" (رو ٥: ١٠).

كيف يتصالح الله مع الإنسان؟ من هو عدوه؟ كيف تمضي في مصالحة شخص ما وهو عدائي معك، ويستمر في التمسك بعداوته؟ كيف يرد هذا الإنسان العاصي الذي هرب بعيدا ليختبأ، والذي يحتفظ بداخله بكل أنواع المشاعر السلبية في كل مرة يقترب منه الله؟ أنظر إلى الله وهو يمد يده كل هذه السنين إلى إسرائيل، بينما كان يتحول إسرائيل مراراً بعيداً عنه ويعبد أصناماً باطلة شريرة.

التجسد – الغزو

إن أول شيء كان على الله أن يعمله، لكي يغير اتجاه الجنس البشري، هو أن يدخله. فمن الداخل فقط يمكن أن يُشفَى هذا الجنس. ولهذا السبب كان التجسد بالغ الأهمية. فالكلمة الأبدي، الابن، صار جسداً. لقد لبس على ذاته بشرية كاملة:

"فإذ قد تشارك الأولاد في الدم واللحم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس. من ثم كان

ينبغي أن يُشبه أخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يُكفر عن خطايا الشعب" (عب ٢: ١٤، ١٧).

ومنذ الأزل تواجدت الأقانيم في وحدة الله في علاقة محبة كاملة، أو كما يسميها يوحنا *"مجداً"* (يو ١٧: ٥، ٢٤) وهذه المحبة أو المجد قد كانت دائماً هناك في كيان الله. ومن هذه الحياة أُنتزع الإنسان بواسطة خطيته. ولقد وَّرث الله ليسوع، في آدميته، امتداد علاقة المحبة هذه. وفي يسوع، لأول مرة على الإطلاق، بدأ إنسان أن يشترك في علاقة محبة ومجد داخل الثالوث. ولقد تم التعبير عن هذا بعدة طرق لها مدلولها في البشارات. فيسوع عَبَر عن هذا بكونه *"في حضن الآب"*، أو بكونه *"في السماء"*، أو كاحتواء متبادل، *"أنا في الآب والآب فيّ"*. والآن أيضاً ولأول مرة، بدأ إنسان يعيش حياة إنسانية في توافق وعشرة وطاعة كلية لله.

العماد – التوحد

لم يأت يسوع ليحيا حياة شخصية كاملة بشرية أمام الناس. فهذا يمكن أن يوضح مدى فشلنا، وليس أكثر. لقد جاء ليعمل ما هو أكثر بكثير من ذلك. لقد جاء ليغير علاقتنا بالله، واتجاهنا إزاء الله. وعماده في الأردن، على يديّ يوحنا المعمدان، كان له مدلول كبير. كيف يمكننا أن نفهمه؟ إننا عندما نعتمد، نعتمد للدخول في وحدة أو تطابق مع المسيح.

فنحن نتوحد معه في موته ودفنه وقيامته. وعندما عُمّد يسوع **عُمّد دخولا في وحدة معنا**. بمعنى أنه وَحّد نفسه مع قابليتنا للخطية وضياعنا واغترابنا.

وعندما نعتمد ندخل إلى دعوتنا كقديسين، مدعوي الله، المفديين. وعندما أُعتمَد يسوع، دخل في دعوته كفادٍ. وبعد ذلك، كان كل شيء يعمله يسوع مرتبطاً مباشرة بخلاصنا. فاحتمل إساءة الفهم، المعاندة والكراهية ليس من أجل ذاته بل من أجلنا. لقد هزم التجربة بكل أنواعها ليس من أجل ذاته ولكن من أجلنا عاش حياة طاعة كاملة لإرادة الله، من أجلنا، وليس من أجل ذاته. كان الصراع دائماً من جانب بشريته. والسؤال لم يكن أبداً ما إذا كان الشيطان قادراً على تجربة أو تعجيز أو قتل الكلمة الأبدي. كان السؤال هو ما إذا كان يسوع، في بشريته، سيهزم التجربة ويعبر بالصليب إلى أرض القيامة فإذا فشل فما كانت لتتأثر ألوهيته بنقطة واحدة، ولكننا كنا سنضيع إلى الأبد. لقد كان على يسوع أن يعبر كإنسان حتى يعبر بنا نحن.

الجلجثة – الاتحاد

في (يو ١٢: ٣٢) يقول يسوع: ″وأنا إن ارتفعت أجذب إليّ الجميع″ ويستمر يوحنا يشرح أن يسوع كان يقول ذلك مشيراً إلى **أي ميتة** كان مزمعاً أن يموت. كان يجب أن تكون إماتةً ليست فقط عوضاً عن البشر،

ولكن إماتة تعطي البشر نصيباً في ذات الاختبار هذا. لقد كان لبولس نفس الفهم في (غل ٢: ٢٠)، *"مع المسيح صُلبت"*، إنها ليست مجرد مسألة التعامل مع ذنبنا. إنها مسألة مصالحة، استعادة لعلاقة محطمة، وتغيير اتجاهات الخوف والعدائية المتوغلة فينا.

لقد أصبحت بشرية يسوع على الصليب بشريةً مشتركة، احتضنت كل من كان سيؤمن به، حتى أنهم، خلال موته وقيامته، يمكن أن يأتوا إلى نفس العلاقة التي كان يتمتع بها مع الله.

في (أف ٢: ٥-٦) يشرح بولس هذا بالتفصيل. فنحن لا نُصلب فقط في المسيح، وإنما نحن نُقام أيضاً معه. ونحن لا نُقام فقط معه، وإنما نحن نُوضَع أيضاً معه في المواضع السماوية.

ما هي تلك المواضع السماوية؟ إنها العلاقة مع الآب والابن والروح القدس، إنها علاقة "الاحتواء" التي اختبرها يسوع: الآب فيه، وهو في الآب. والآن الآب فينا، ونحن في الآب، الابن فينا ونحن في المسيح، الروح القدس فينا ونحن في الروح.

هذه هي المصالحة. وينبثق منها اتجاه قد تغير تجاه الله. وردود أفعالنا الانفعالية الآن تجاهه لم تعد بعد خوفاً أو ذنباً أو عداءً ولكن:

"الذي وإن لم تروه تحبونه. ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرحٍ لا يُنطق به ومجيد" (١بط ١: ٨).

وفوق هذا، لقد رجعت طبيعة الإنسان إلى التوافق مع بنية تصميمه الأصلي.

إن نية الله الأزلية للإنسان كانت دائماً أنه يجب أن يصير ابن الله من خلال المسيح، (أف ١: ٥). وغايته من الفداء للبشر هي أن "يكونوا مشابهين *صورة ابنه*" (رو ٨: ٢٩) ولهذا يصبح يسوع نموذجاً للنظام الإنساني الصالح. ففيه يُوضع كل جزء من شخصية الإنسان في مكانه الصحيح، في التوافق الذي يميز كل عمل الله الخلاق.

دعنا نرى ماذا يعني هذا بالنسبة لنا في مجال الحياة الوجدانية:

- ***أولاً، الانفعالات تُطَهر***: "*قلباً* نقياً اخلق فيّ يا الله" هكذا صرخ مُرنم المزمور (مز ٥١: ١٠) ففي الكتاب المقدس يشير القلب عموماً إلى عرش الانفعالات. و(أع ١٥: ٩) يخبرنا أن الله ينقي القلب بالإيمان. فالانفعالات يمكن أن تُنقَى من الفساد الذي تسببه الخطية، حتى يمكن أن تصير ما قُصد لها أن تكونه: محركات قوية تدفعنا تجاه الخير. هل اعتقدت أبداً أنه سيكون من الممكن أن تثق يوما بمشاعرك؟ أن ترتكن إليها لتدفعك تجاه الله؟

"كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي" (مز ٤٢: ١-٢).

"ورثت شهاداتك إلى الدهر ... لأنها هي بهجة *قلبي* ... المتقلبين

أبغضت، وشريعتك أحببت" (مز ١١٩: ١١١، ١١٣).

- ***ثانياً، الوجدان يمكن أن يُعتَق:*** فليست المشكلة عند كثير من الناس هي كثرة المشاعر وإنما قلتها أكثر من اللازم. فإنني أجد أناساً ممن لديهم حرارة انفعالية منخفضة جداً أكثر بكثير من هؤلاء الذين لهم حرارة انفعالية مرتفعة جداً. وبالنسبة للكثيرين يكاد يكون التعبير الطبيعي للتأثر والانفعال ممنوعاً كليةً.

إن هناك وعداً رائعاً في (حز ٣٦: ٢٦) عادةً ما نخطئ مغزاه الحقيقي:

"وأعطيكم قلباً جديداً (انفعالاً) وأجعل روحاً جديداً في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم".

فجزء من حقوقنا تبعاً للعهد الجديد هو أن ننال بدلاً من نقصنا المتحجر للمشاعر قلباً من لحم. وبعبارة أخرى، يمكن أن ننال عتقاً للجانب الانفعالي من طبيعتنا ونُعطَى بنية جديدة من الانفعال. هل يبدو هذا مثالياً أكثر من أن يتحقق؟

وليس فقط أننا لدينا حياة المسيح في داخلنا، ولكن (١كو ٢: ١٦) يخبرنا أننا لنا فكر المسيح. وليس فقط أننا لنا فكر المسيح ولكن (في ١: ٨) تخبرنا أننا لنا مشاعر المسيح، فبولس يقول: *"لأن الله يشهد لي، كيف أنني أشتاق إلى جميعكم في أحشاء المسيح"*. هذا هو القلب الجديد الذي

يتكلم عنه النبي. هل تحب أن تدع الرب يخرج من حياتك قلبك المتمنع الحجري ويعطيك مشاعره هو، استجاباته الوجدانية؟

ولأنه قد وعد مسبقاً أن يفعل ذلك يمكنك أن تقبل القلب الجديد والانفعالات الجديدة التي هي من حقوق عهدك في المسيح.

لقد قابلت مرة شاباً كانت لديه مشكلة. مات أبوه لتوه. وما أفزع هذا الشاب هو اكتشافه أنه لم يشعر بشيء على الإطلاق. لا ضياع ولا حزن ولا محبة، لا شيء. لكنه أدرك أن هناك نفس الشعور تجاه زوجته وتجاه طفليه الصغيرين. لم يكن يقدر أن يبين لهم أي ود من أي نوع. بالرغم من أنه كان يعاملهم حسناً من الظاهر. وعندما قابلته، كان قد عولج لفترة بواسطة طبيب نفسي، ولكنه لم يحقق أي تقدم حقيقي.

وجاء هذا الشاب مع زوجته إلى حفلة صغيرة. وفي هذه الليلة فتح قلبه إلى الله، وقبل يسوع كمخلص له. أتعرف ما قد حدث؟ لقد أخذ الرب قلبه الحجري خارجاً وأعطاه قلباً جديداً. لقد بكى بشدة. وجاء بعد ذلك، يخبرني كيف تغيرت حياته. وكيف أنه أصبح يداعب طفليه ويدللهما. كم هو جميل أن ترى شخصاً يعود للحياة مرة أخرى هكذا.

لقد قال يسوع "السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويهلك. وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" (يو ١٠: ١٠).

وفي الشخصية المتصالحة مع الله تُعتَق الانفعالات وتحقق وظيفتها

الصحيحة، لان الله استعاد، في المسيح، الحياة للروح البشرية.

لقد رأينا أن شخصية الإنسان بُنيت حول روحه. ولقد كان هذا هو المبدأ الذي يحفظ كل شيء في مكانه الصحيح وكل شيء في توافق، وهو الذي ربط الإنسان بأمان بالله، مصدر حياته. وعندما دخلت الخطية، فقدت الروح مركز السلطان في الإنسان. وأدى ذلك إلى عدم التوافق، عدم الارتياح وعدم التكامل. إن هناك تركيزاً كبيراً اليوم على الحرية، لكن الحرية التي تكمن فقط، وباستقلالية، في إرادة الإنسان تكاد تكون مدمرةً تماماً. فمثل هذه الحرية تطالب بأنه ما كان الإنسان قادراً على عمله يجب أن يُسمَح له بعمله. ولا قيود أخلاقية أو غيرها يمكن أن تقف في طريقه.

إلا أن المركز المخلوق لكيان الإنسان لم يكن إرادته الحرة وإنما كان روحه، وكما رأينا فكل وظيفة للروح تكون متصلة بوظيفة للنفس. ووظيفة الروح بالنسبة للنفس هي أن تسود على الانفعالات.

إننا أحيانا نستخدم رسماً تخطيطياً كما في شكل ١٠ لنوضح العلاقة بين الجسد والنفس والروح. إنها نموذج مفيد جداً وهي، الطريقة التي تعود أكثرنا أن يعيشها. ولكن لاحظ ما ستكون النتائج بالنسبة للانفعالات:

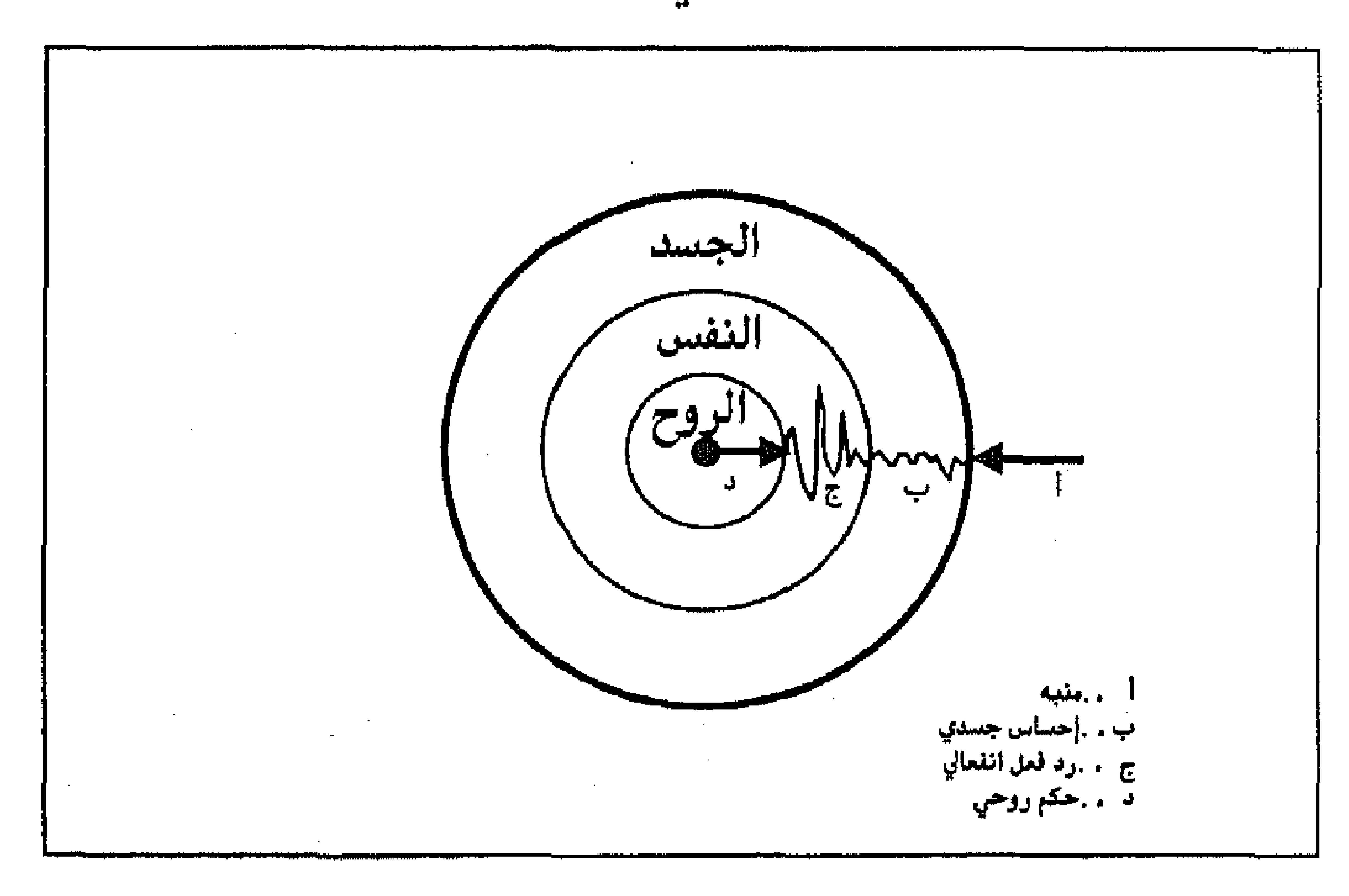
١. مؤثر من نوع أو آخر يصل إلينا من خلال الحواس. دعنا نتخيل رؤية أحد الجيران كان لنا معه مشاجرة الأسبوع الماضي. لدينا المؤثر: الجار (أ)، وإدراكنا الجسدي (ب): وهو إننا نرى الجار.

٢. من هذا الإدراك الحسي (رؤية الجار)، استجابة انفعالية تنشط. قد تكون حساسية أو حيرة أو غضب أو غيظ. فإننا سنتذكر ما قاله والطريقة التي قال بها، وما كان يجب أن نقوله في مقابل ذلك.

٣. أخيراً، مع كل هذه الانفعالات بكامل اندفاعها، تعمل روحنا. فهي كضمير، تدخل وتلقي أحكاماً على سلوكنا، "هذا خطأ. لا يجب أن تكون غاضباً أو حانقاً هكذا تجاه جارك!"، وهكذا.

المشكلة هي أن الضمير عليه أن يتعامل مع الانفعالات التي خرجت مسبقا. وفي هذه النقطة من الفعل تميل سيطرة الضمير إلى أن تكون أضعف ما يمكن.

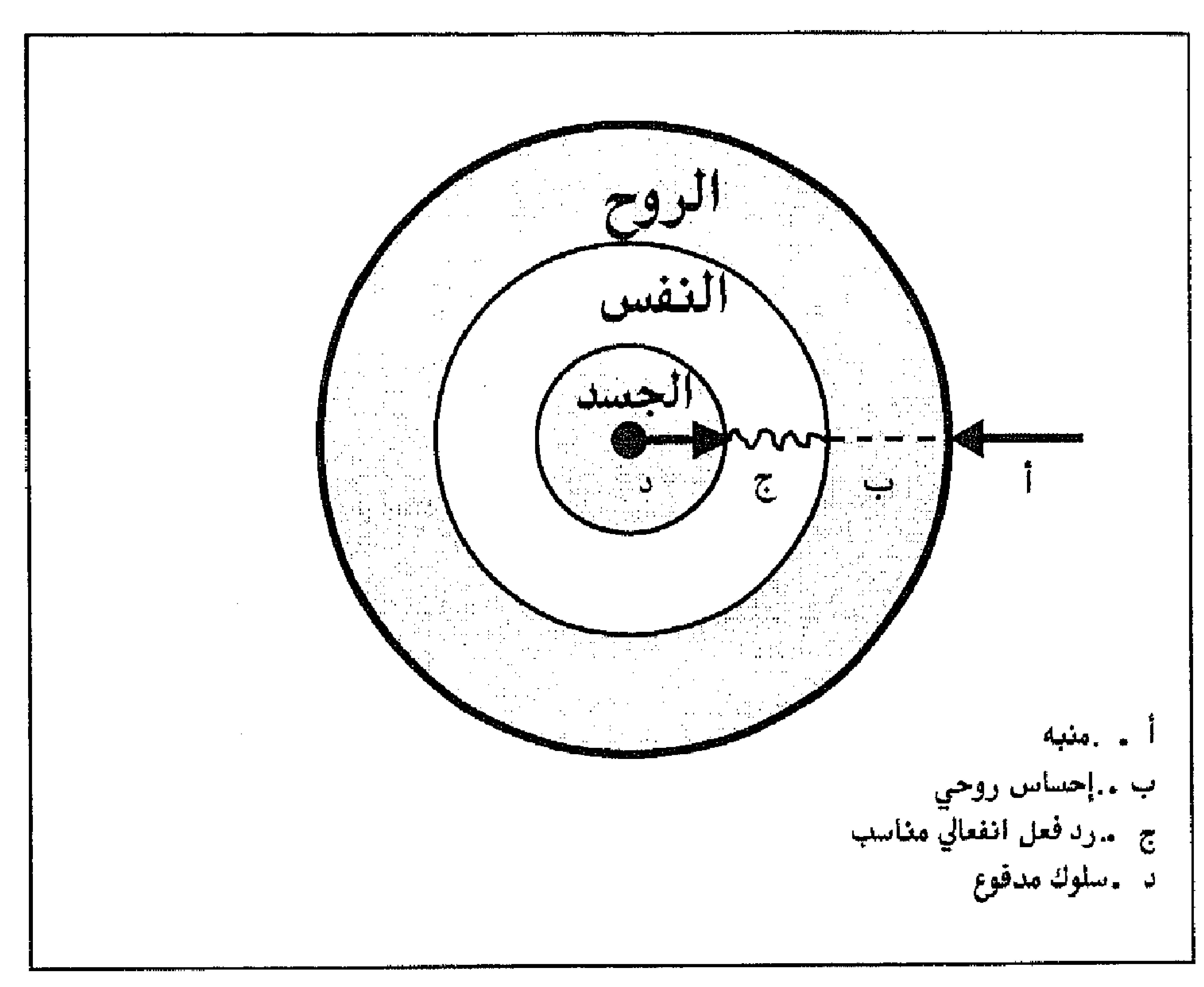
وعندما ترجع إلى الإنجيل، ستجد أن يسوع لم يعش بهذه الطريقة أبداً. فما نعتبره طبيعياً انقلب. فلكي نصل بالأمر إلى اتزان مناسب فإننا



شكل ١٠ – الجسد والنفس والروح – الاستجابات الانفعالية

بحاجة أن نؤمن بالمسيح ونتجدد.

لقد اكتشفت، بالنسبة للعلاقة مع الناس، والمواقف والبيئة المحيطة، أن يسوع قد عاش بروحه في المقدمة. فإذا ما نظرت إلى شكل ١١، سترى ماذا يُقصَد بذلك. فهذا النموذج بالفعل يناظر ما يمكن أن نصل إليه. إننا، نجد حواسنا الجسدية تصل إلى مدى سنتيمترات، بالنسبة إلى حاسة اللمس، وأمتار محدودة بالنسبة لحاسة السمع وكيلو مترات قليلة، بالنسبة للنظر. ولكن مدى ما يصل إليه عقلنا أكبر بكثير. ومدى ما تصل إليه روحنا يبلغ مباشرة إلى الأبدية، إلى اللانهائي، إلى الله.



شكل ١١ – الجسد، والنفس والروح في اختبار يسوع

ولأن يسوع عاش بروحه في المقدمة، فهذا يعني أنه كان يلمس المواقف روحياً أولاً. لذا فالاستجابات الشعورية التي كانت تحرك أفعاله نتجت عن إدراك روحي.

دعنا نؤسس هذا المنظور من خلال ما سُجل عن يسوع في الإنجيل.

ولتأخذ ما سُرد في إنجيل مرقس إصحاح ٦. لقد رأى جمع كبير يسوع في مركب مع تلاميذه وركضوا لينتظروه.

"فلما خرج يسوع رأى جمعاً كثيراً فتحنن عليهم إذ كانوا كخراف لا راعي *لها* فابتدأ يعلمهم كثيراً" (مر ٦: ٣٤).

ماذا حدث؟ يسوع "رآهم". وهذا يعني أنه رآهم بتفكير. إنه لم يلحظ فقط جمعاً من الرجال والنساء والأطفال. لقد كان لديه استيعاباً روحياً لما كانوا عليه في الحقيقة: غنم لا راع *لهم*. وانطلاقاً من هذا الفهم الروحي جاءت استجابة انفعالية، تحنن. من هذا الحافز المتحنن جاء التصرف المناسب، بدأ يعلمهم، وبعد ذلك، أعطى *لهم* الطعام.

خذ مثلاً مختلفاً، في مرقس ٣. دخل يسوع إلى المجمع ووجد هناك رجلاً يده يابسة. فقال للجمع المجتمع، "هل يحل في السبت أن يُفعَل الخير أو الشر، خلاص نفس أو هلاكها؟" فسكتوا. وقد يبدو لنا أنهم لم يعرفوا الإجابة فحسب. "فنظر حوله بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم. وقال للرجل مد يدك. فمدها فرجعت يده صحيحة" (مر ٣: ٥)

ماذا رأى يسوع عندما نظر حوله؟ أكانت القلوب القاسية المُرة لهؤلاء الذين كانوا يفضلون أن يروا إنساناً يبقى عاجزاً أكثر من كسر أحكامهم الدينية. ومن هذه المعرفة الروحية جاءت استجابة انفعالية، وهي في هذه الحالة الحزن والغضب. وبحافز هذه الانفعالات يدعو يسوع الرجل العاجز جهراً، في حضورهم وفي يوم السبت، ويشفي يده اليابسة.

إيضاح آخر أخير. في لوقا إصحاح ١٩، دخل يسوع أورشليم فوضع الجمع أرديتهم على الطريق مرحبين به بالصيحات *"أوصنا"*.

"وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلا إنك لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك. ولكن الآن قد أُخفي عن عينيك. فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفي زمان افتقادك" (لو ١٩: ٤١- ٤٣)

لقد رأى يسوع المدينة. إنه رأى أكثر من مجرد الشوارع والمباني والمنظر الجغرافي العام. فروح النبوة حلت عليه، و"رأى" حالة المدينة ونتاج خطيتها. وبكى لحزنه عليها، حتى وهو ينطق بدينونتها الحتمية.

في كل من هذه الحالات كان تتابع الأحداث هو نفسه:

١. اتصال أو فهم روحي.

٢. يأتي من هذا، رد فعل انفعالي.

٣. ومن ذلك يأتي تصرف مناسب.

الانفعال والإدراك

إن المبدأ الهام الموضَح هنا هو أن الانفعالات تعتمد إلى حد كبير على المدركات. فمشاعرنا تتحرك تبعاً للطريقة التي نفسر بها المواقف والأحداث. وعلى سبيل المثال، إذا ما حدث صوت قوي ليلاً فستقفزين جالسة في سريرك، وقلبك يقرع صارخة: لصوص .. زلزال .. سقوط طائرة؟ وبعد ذلك يضيء النور وتكتشفين أن زوجك فد ضل طريقه في الظلام ووقع على المنضدة. والآن، هل ستشعرين بالسخرية أم بالإشفاق أم بالغضب؟ هذا يعتمد على مدى تعوده على فعل مثل هذه الأشياء. فنفس المؤثر ينتج إدراكاً مختلفاً ومشاعر مختلفة.

والأحاسيس الجسدية التي ستختبرها عند قفزك من المنط لتسبح ستكون مشابهة لتلك التي ستختبرها لو وقعت من المنط وأنت تودع أصدقاؤك البحرين. وإنما ردود أفعالك الشعورية تكون مختلفة لأن إدراكك مختلف.

وردود أفعال يسوع الانفعالية كانت مناسبة كلية لكل حالة لأن إدراكه كان حقيقياً. وإدراكه للمواقف كان دائماً حقيقيا لأنه يدرك بروحه.

ونسمعه يشرح ذلك الأسلوب في (يو ٥: ٣٠) *"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً. كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني"*. فيسوع لم يدن أبداً تبعاً للمظهر الخارجي للظروف بل إنه يحكم كما "سمع"، أي بالشهادة الداخلية التي لروحه.

وبطبيعة الحال يكون السؤال العملي هو: كيف نبدأ أن نعيش في الطريق "من الداخل إلى الخارج" كيف يمكننا، من جانبنا، أن نبدأ في أن نعيش الحياة حتى نلمس الناس والمواقف بروحنا اليقظة لنراهم بالطريقة التي يراهم بها يسوع ونشعر تجاههم بعواطفه؟

عندما نتعلم أن ندرك بأرواحنا، ستعكس استجاباتنا العاطفية الحق بطريقة أكثر تدقيقاً. إنها ستصبح بهذا محركات للسلوك يمكن الاعتماد والارتكان عليه أكثر. وأكثرنا تعلموا أن يعيشوا بأسلوب مختلف. فنحن نُسقط على الناس والمواقف، لا ذاتنا الحقيقية، وإنما "صورة" نعتقد أنها ستكون مقبولة، أو التي، ستكون قابلة للبذل لأنه ليس هناك الكثير جداً من ذاتنا الحقيقية قد أستثمر فيها. وهكذا، فإن رُفضت لا نضطرب كثيراً. والناس الآخرون يُسقطون صوراً مشابهة علينا، ونحن بدورنا نسلك في اتجاه سلوكهم. فليس أحد منا اتصل بالشخص الحقيقي الذي يقبع وراء السلوك. لذا فاحتمالات سوء الفهم كثيرة جداً.

ونحن يجب، أن نتعلم كيف نعيش بطريقة منفتحة تجاه الناس

والمواقف، حتى يمكن توظيف ذاتنا الحقيقية في كل شيء نفعله أو نقوله. فإن استجاب الناس بنفس الطريقة، فسندرك نفس الحقيقة. وحتى إن لم يفعلوا، سنجد من وراء الواجهة التي يقدمونها، الذات الحقيقية، خائفة، قلقة أو حذرة، تريد أن تستجيب، ولا تجرؤ. وسنجد أنفسنا نتفاعل تلقائياً، بأسلوب متحنن ومتفهم، مع الشخص الحقيقي وليس الصورة.

وإليك الخطوات الهامة للبدء في هذا النمط الجديد للحياة:

١. يمكننا أن نتعلم أن نعيش بهذه الطريقة أولاً وقبل كل شيء تجاه الله. إنه يقبلنا كليةً، وهو مستجيب كليةً لنا. ولقد عرف داود الأمان الموجود في هذا النوع من الانفتاح أمام الله:

"اختبرني يا الله وأعرف قلبي امتحني واعرف أفكاري وانظر إن كان فيّ طريق باطل واهدني طريقاً أبدياً" (مز ١٣٩ : ٢٣، ٢٤).

إننا لا نقدر أن نختفي بعيداً عنه. وإننا لا نحتاج أن نختفي عنه، لأننا قد قُبلنا كليةً في محبته.

٢. إننا نحتاج الرب ليقدسنا بروحه القدس حتى نتمكن من أن نعيش بثقة وتلقائية انطلاقاً من روحنا. فإن لم تتنق أرواحنا، لن يأتي منها استجابةً الحياة. علينا أن نعيش انطلاقاً من الإنسان الجديد، الذي قد خُلق في المسيح يسوع، في بر وقداسة الحق (أف ٤: ٢٤).

٣. إننا نحتاج أن نكون واعين للفترات التي لا نعيش فيها انطلاقاً من الإنسان الجديد، أو انطلاقاً من الروح. إنني أتعلم أن أفرز تلك المرات التي انزلقت فيها راجعاً إلى إسقاط صورة جوفاء عليّ، وأصبحت أكثر فأكثر غير مستريح لتزييفها. إن الحق أو الحقيقة أمر مُحرر جداً.

٤. عندما نتعلم أن نحيا مع الناس والمواقف بهذه الطريقة، لن ندرك فقط الحق بوضوح أكثر، ولكننا أيضاً سنفسح طريقاً للروح القدس ليصل إلى شخصيتنا حتى نلمس الآخرين. يقول يسوع في (يو ٧: ٣٨) *"من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي"*. إن ينابيع الماء الحي لا يمكن أن تجري لو كان كياننا الداخلي مغلقا بعناية، ونحن نُسقط صورة مزيفة مقلدة. إن روح الحق، روح الحقيقة، لا يجد طريقة للتعايش مع التزييف.

ولكن كياننا الداخلي الحقيقي، مهما كنا قد جعلناه في البداية مفتقرا للكمال أو اللياقة، فلأنه هو كياننا الحقيقي، سيمده الروح القدس بكل ما يحتاج إليه لكي يتدفق كينبوع للحياة. وعندما يحدث هذا، سنختبر لا مشاعرنا نحن وإنما في الحقيقة مشاعر الروح القدس. إن كان هذا صعباً على الفهم فاستمع لبولس مرة أخرى:

"فإن الله شاهد لي كيف أشتاق إلى جميعكم في أحشاء يسوع المسيح". (في ١: ٨).

الجزء الثالث

الفصل العاشر

حرية الإرادة

منذ وقت بعيد، وحتى بعد ما تعلمت أن الخلاص أكثر من مجرد مغفرة، كنت اعتقد أن هناك مكاناً واحداً في حياتنا كان على الله أن يتركنا فيه نجاهد بأنفسنا: وهو مجال الإرادة. لقد عرفت أن هناك تجديداً في الذهن وعتقاً للانفعالات، ولكنني لم أقدر أن أرى كيف يتدخل الله ليعيش في مجال الإرادة بدون التدخل في حريتي الأخلاقية الأساسية. إلا أنني عرفت أيضاً أن الإرادة كانت احتياجي الأعظم. فكيف أصير بالحقيقة مطيعاً لإرادة الله؟ وحتى إذا نجحت اليوم، فهل هناك أي رجاء حقيقي يمكن أن اعتمد عليه بنفسي حتى أبقى مطيعاً غداً؟ ويبدو أنني قد قُضِيَ عليّ بأن أكون مثل والد مسئول عن طفل عاص عنيد بشكل لا يمكن إصلاحه ولا يمكن أن يُوثق به في أن يسلك سلوكاً صحيحاً بدون أن يقف أحدهم رقيباً عليه طوال الوقت.

إنني عندما أقرأ رومية إصحاح ٧ يبدو لي وكأنه يؤكد أسوأ مخاوفي:

"لأني لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل" (رو ٧: ١٥).

وبولس، كما يبدو، كان متورطاً في نفس المشكلة. وفي الحقيقة لقد بدا أنه يبذل بعض الجهد ليكرر المحاولة بأمان.

"لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع". (رومية ٨: ٧)

وهو، في الحقيقة، قد تكلم عن *"كونه صُلِب مع المسيح"*، و*"اعتبار ذواتنا أمواتاً عن الخطية أحياءً لله"*، بما يُعتبَر، بشكل ما إجابة على المشكلة، ولكن هذا يأتي بقضايا أخرى أيضاً. فلو حدث ذلك وخرجنا بنفس الاختبار. لكي نصير، مثل بولس، عبيداً للمسيح، ماذا سيترك لنا هذا الاختبار في ذاك الوقت: حريةً أم مجرد وهم بالحرية؟ ألم يقل الكتاب أننا كنا أحراراً، ولكننا طوال الوقت كنا نعلم، والله كان يعلم، إننا لم نكن أحراراً على الإطلاق، لقد أخضعنا إرادتنا، وبالرغم من أننا قد نشعر بالحرية، فالله وضع حبلاً غير مرئي حول مفصل القدم طوال الوقت وكان قادراً على جذبنا إلى موضعنا في أي وقت نحيد فيه!

وبعد ذلك بدأت أتعلم شيئاً لم يتوقف عن إثارتي. الله، كما اكتشفت، كانت له مجازفة كبيرة لحريتنا. لقد ذهب مسافات لا نهائية لكي

يحررنا، وكل أهدافه معنا تطلبت أن نبقى أحراراً. ونحن نحتاج أن نعرف لماذا كان الأمر هكذا.

- *أولاً:* الله محبة، لأن هذه هي طبيعته، علاقتنا معه قد تأسست على المحبة والثقة.

- *ثانياً:* لكي تُوجد المحبة والثقة بأي حال، لابد أن يكون هناك الاختيار الحر لإرادة حرة.

وهذا حقيقي حتى على المستوى البشري. فإذا كان جون يحب جين وهو قلق باستماتة لأن تحبه جين في مقابل حبه. ولكن جون يعرف أن استجابتها لن تكن محبة صادقة إلا إذا كانت محبة حرة. فإذا استطاع، بشكل ما، أن يضغط عليها أو يُكيف علاقته معها حتى تضطر لأن تحبه، فهو يعرف أن هذا لن يكون حباً صادقاً. وبعبارة أخرى، لابد أن يخاطر جون بترك جين حرة حتى تستطيع بحرية أن ترفضه أو بحرية أن تستجيب له. في تلك الحالة فقط يكون الحب ممكناً.

إن الله يعلم هذا أفضل بكثير من الإنسان لأنه هو المحبة ذاتها، وهو يشتهي أن يجعل الإنسان متصلاً به على هذا الأساس فقط. ولهذا، ففي كل تعاملاته معنا، قبلما وبعدما نُولَد مرةً أخرى، ترك إرادة الإنسان حرة.

الإرادة الإنسانية – آلية اختيار

هناك ظاهرة هامة لتفرد الإنسان بين مخلوقات الله وهي جانب الاختيار. حقيقي، إن الحيوانات تقوم بعمل اختيارات معينة، ولكن اختياراتهم قاصرة على أشكال من السلوك الغريزي. إنها جزء من استجابة الحيوان للتأقلم مع بيئته. أما الإنسان فمختلف. فالله الخالق غير المخلوق، جعل الإنسان على صورته وعلى شبهه، جعل منه خالقاً مخلوقاً. وهذا يعني أن الإنسان يمكنه أن يصنع اختيارات خلاقة. إنه يستطيع أن يختار أهدافه ويقدر أن يقرر ماذا سيصبح.

وسلوك الحيوان يمكن أن يتغير أو يتم تعديله بالتكيف. يمكنه أن يتعلم. فالحصان يمكن أن يلجم بسرجه والكلب يمكن أن يكون أليفاً في المنزل. إلا أن الإنسان وحده، يمكنه أن يصنع اختيارات أخلاقية، وهذه هي قرارات إرادته المبنية، لا على الغريزة أو التكيف، وإنما على قيم ومعايير الخطأ والصواب. ولهذا فالإنسان وحده يمكن أن يخطئ. فالببغاء يمكن أن يقول "يوم مشمس، يوم مشمس"، بينما المطر يهطل من السماء، ولكن لا يمكن أن يُقال إنه يكذب. إذا جرى كلب خفية فلن يكون هذا سرقة أما الإنسان فهو وحده الذي له حرية الاختيار التي تجعل إتباع السلوك أخلاقي أو غير هذا.

إن جانب الاختيار في الإنسان الذي يصنع في النهاية تلك الاختيارات

هو الإرادة. إنها الخطوة النهائية في العملية التي تنتج السلوك البشري. ويمكننا أن نصور العملية كلها في شكل سيارة:

- العقل، مثل عجلة القيادة هو الآلية المُوجِهة.
- الانفعالات، مثل المحرك، الآلية ألمحركة.
- الإرادة هي جهاز تعشيق التروس، هي اختيار أو تشغيل الآلية. يجب أن يعمل الثلاثة في توافق حتى ينتج سلوك مؤثر.
- وهناك دوافع شعورية قصوى كالرعب، على سبيل المثال، يمكن أن تطغي على الملكات العقلانية وتسبب سلوكاً غير منظم. وتلك مثل القيادة بضغط مداس الوقود إلى أسفل وكلا اليدين بعيدتين عن عجلة القيادة! والإنسان المتحمس جداً لفكرةٍ ما ولكنه لا يفعل أبداً أي شيء فعلياً هو مثل من يتعلم القيادة، فالمحرك يعوي وهو يقبض على عجلة القيادة بكلتا يديه، لكن ذراع التروس في اللاسرعة.

إن مبدأ الاستجابة الكلية أساسي في كل علاقاتنا، سواءً مع الله أو مع الناس. إن هذا ما كان يعنيه يسوع عندما قال *"كل قلبك، كل عقلك، كل نفسك كل مقدرتك؟"* إن لم نفهم ذلك فسنسيء فِهم المفاهيم الأساسية للكتاب المقدس، مثل التوبة والإيمان والمحبة وغيرها. فكل من هذه

تتطلب استجابة من الذهن والانفعال والإرادة. فإن كانت الاستجابة آتية من أحد هذه الجوانب، فسينتهي بنا الأمر بشيء مختلف تماماً مثل هذا:

	لو كانت مجرد **عقل**	لو كانت مجرد **انفعال**	لو كانت مجرد **إرادة**
التوبة	تغيير آراء	ندم	إصلاح
الإيمان	اعتقاد	باعث	عزم
المحبة	إعجاب	عاطفة/ميل	إحسان

ومع ذلك، فغالباً جداً ما تنهار استجابتنا في مجال الإرادة، حتى أن التوبة لا تتعدى أبداً تغيير الآراء أو مشاعر الندم، ويبقى الإيمان مجرد باعث أو موافقة عقلية. لهذا فيجب أن نرى الطبيعة الأساسية لمشكلة الإرادة البشرية.

طبيعة الإرادة الحرة

هناك الكثير من الأحاديث اليوم عن الحرية. إلا أننا يجب أن نكون واضحين تماماً بالنسبة للحرية الإنسانية. فالحرية ليست هي المبدأ الأساسي للحياة الإنسانية وهي ليست مطلقة. فالفيلسوف الفرنسي جون

بول سارتر، رأى بوضوح تام ماذا يحدث عندما نجعل الحرية الإنسانية مطلقة إنه يقول أنها لابد ستؤدي إلى ثلاثة أشياء، تغييب الله، قتل الإنسان، و قتل النفس. لنتأمل ماذا يعني هذا.

الله هو الحد المطلق لحرية الإنسان الأخلاقية. واليوم، مهما يستطيع الإنسان عمله، فإنه يريد أن يكون حراً فيما يفعله، سواءً بالهندسة الوراثية أو تطوير الأساليب الفظيعة للتدمير النووي الشامل. ولكن بالنسبة لبعض الأشياء التي يستطيع الإنسان المعاصر أن يصنعها، إذ لديه القدرة التكنولوجية، مازال الله يقول له "*لا تفعل ...*" لهذا، فإذا ما الإنسان أصبح "حراً" حقا فلابد أن يعتبر الله غير موجود.

ثم إذا كنت حراً حتى أفعل أي شيء أرغبه، فسيصبح وجودك تحديداً لحريتي. لذا فيجب أن أقتلك لكي أعبر عن حرية إنسانية كلية وعن رفضي لأن أكون مقيداً بأي تحديد. إذن فالحرية تؤدي إلى القتل.

وحتى هذا فليس المنتهى بعد. فحتى وجودي أنا سيصبح إذن عاملاً محدداً حتى أننا لكي نحصل على حرية مطلقة حقيقية يجب أن أكون حراً لأن أعلو فوق كياني، وبعبارة أخرى، أن أقتل نفسي.

وهنا تتضح نية الشيطان في جنة عدن عندما أغرى الإنسان ليخطف "حريته" ويصبح مثل الله. إنه "*كان قتالاً للناس من البدء*" (يو ٨: ٤٤).

حقيقة الحرية

ما هي إذن حقيقة الحرية الإنسانية؟ إنها هذه: **الحرية يجب دائماً أن يُعبَر عنها من خلال الحدود الموضوعة بالقانون.** إننا نُسمي هذا الطاعة. والعصيان والاستخفاف بالقانون، تعني أن يصبح القانون عدونا وأننا لسنا بعد أحراراً. إن هذا المبدأ يمكن رؤيته بوضوح في أداء القوانين الطبيعية فأنا لست "حراً" في أن أمشي على الجانب الرأسي لمبنى في المدينة متحدياً قانون الجاذبية. فإن حاولت أن أفعل هذا، سيصبح القانون عدوي ويهبط بي أرضاً على الرصيف.

وهذا ينطبق بالمثل على القوانين التي تسوس المجتمع. فكاسر القانون يفقد حريته. حتى ولو لم يُقبَض عليه، لقد فقد الحرية الداخلية في أن يمشي في الشارع بدون أن يكون قلقاً.

إن القوانين الأخلاقية والروحية في الكون تعمل بالطريقة ذاتها. إن كسرتها، ستقف ضدي، مدمرة لا ترحم كأي قانون آخر، طبيعي أو وضعه إنسان. ونحن اليوم نحصد عواقب أجيال من كاسري القوانين، والنتيجة هي التلف، التلوث، الخراب، العوز، البؤس والموت.

إن محددات القانون، كما سنجد، يمكن أن يتم تجاوزها بطريقة واحدة فقط: بطاعة قانون أعلى يعمل في نفس المجال. فيمكنني مثلا أن

أتغلب على قانون الجاذبية، ليس بتحديده، ولكن بالخضوع لقانون أعلى. وبمعنى آخر، يمكنني أن أصعد بمصعد أو أستقل طائرةً. ولكن استجابتي لا تزال هي الطاعة، الاعتراف بالقانون.

الفصل الحادي عشر

صراع القوى في الكون

يوضح الكتاب المقدس أن الكون هو مسرح لصراع عظيم للقوى بين الله والشيطان. إن الإنسان يلعب في هذا الصراع دوراً استراتيجياً. فهو أرض المعركة الرئيسية. ولكننا يجب أن نفهم بوضوح أن ذلك الصراع ليس صراعاً للقوة المجردة. فإنه ليس صراعاً نكتشف فيه ما إذا كان الله أقوى من الشيطان. والأمر ليس هكذا على الإطلاق. لم يكن هناك أبداً سؤال عما إذا كان الله أقوى من الشيطان أو أن الله كان يمكنه أن يمحو الشيطان في أي وقت شاء، بدون الحاجة إلى تحريك إصبع صغير. وعندما نأتي إلى السؤال عن القوة المجردة، فليس هناك أية منافسة مع كلي القدرة. إن الصراع في الكون يدور حول شيءٍ مختلف تماماً. إنه صراع أخلاقي روحي.

والسؤال الخطير هنا هو إذا ما كان الله أو الشيطان سيفوز باستجابة الإنسان الطائعة وولائه. في هذا الصراع، الله قد سمح، للموازين أن تزن ضده إلى درجة لا تُصَدق. والاستجابة التي يطلبها الله من الإنسان ليست أقل من الحب. لذا فهو يجب أن يخاطر، كما قلنا قبلاً، بأن يسمح

للإنسان باستجابة حرة غير مُرغَمة. والشيطان ليس عنده مثل هذه الحيرة. فهو سيستخدم الخداع والأكاذيب والحيل والضغط والتشكيك والقهر والإفساد وأي شيء يتماشى مع غرضه. أي شيء إلا الاختيار الحر غير المُقيّد، فهذا لا يقدر أن يخاطر به.

القوانين المتنافسة

في رسالة رومية، يصف الرسول بولس هذا الصراع بوضوح شديد في صورة قانونين متخاصمين يتنافسان على طاعة الإنسان. فمسألة الطاعة، كما رأيناها في مكان آخر، هي القضية المحورية:

"ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة تكونون عبيداً لذلك الذي تُطيعونه، إما للخطية للموت أو للطاعة للبر" (رو ٦: ١٦).

إن القانونين المتنافسين اللذين يسعيان لطاعة الإنسان يتم توضيحهما في (رومية ٨: ٢). إنهما ناموس الله وناموس الخطية والموت.

- *ناموس الله:* فلنفهم أن ناموس الله ليس شيئاً بدعه الله: إنما هو الطريقة التي بها يكون الله. فالناموس تعبير عن شخصية الله. لذا فإن الناموس مقدس وعادل وصالح. ونحن أحياناً ما نرسم تبايناً

خاطئاً، وليس كتابياً على الإطلاق، بين النعمة والناموس، كما لو كانت النعمة جيدة والناموس سيئاً. وهذا غير حقيقي. فناموس الله هو ناموس الحب غير الأناني. إنه التعبير عن شخصية الله العجيبة وهو الأسلوب الذي اختار الله أن يحيا به. لقد فهم داود هذا. فالمزمور ١١٩ هو قصيدة طويلة لرجل عرف الناموس كإعلان من الله:

"شريعة فمك خير لي من ألوف ذهب وفضة. ما أحلى قولك لحنكي! أحلى من العسل لفمي! كلمتك ممحصة جداً لذا أحبها عبدك وأتمشى في رحب، لأني طلبت وصاياك"

(مز ١١٩ : ٧٢، ١٠٣، ١٤٠، ٤٥).

- ***ناموس الخطية والموت:*** وكما أن ناموس الله هو الأسلوب الذي يكون عليه الله، كذلك ناموس الخطية والموت هو الأسلوب الذي يكون عليه الشيطان. إنه تعبير عن شخصية الشيطان. لقد قال يسوع إن الشيطان كان قتّالاً وكذاباً من البدء، لقد جاء فقط ليقتل ويسرق ويدمر. لهذا فنحن يجب ألا نتعجب لو أتى ناموسه بنفس الثمار. ونداء الخطية مُؤَسس على الخداع والضلال. نهايته مخفية عنا ولكن الكتاب وحده يعلن حقيقة نهايته. (أم ١٤ : ١٢)

الناموس والمطالبة بالسلطان

علينا الآن أن نتأمل كيف يطالب هذان الناموسان بطاعة الإنسان. ربما يبدو هذا الجزء صعباً، ولكنه يحتاج أن يُقرأ بحرص. وإن تم فهمه سنجد أن مفهوم الحرية والطاعة بأسره سيظهر بمنظوره الحقيقي لنا.

١. *الناموس يطلب طاعتنا على أساس السلطان الذي يدعيه:* وبعبارة أخرى فهناك "وجوب" بالنسبة لطلب الناموس وهذا الوجوب مختلف تماماً عن مسألة الإعجاب أو التفضيل. والناموس يتوقع أننا "يجب" أن نفعل ما يطلبه، سواءً شئنا أو أبينا. إنه يفعل هذا لأنه يطالب بحقه كمن له سلطان. ونحن نفهم هذا بوضوح بالنسبة لناموس الله. فيمكننا أن نرفض متطلباته، ولكننا نعرف إننا إذ نفعل ذلك نعصي سلطاناً يطالب بحقه في طاعتنا.

ونحن غالبا ما نُخدَع بناموس الخطية والموت. فالخطية تُقدَم لنا كمسألة اختيار أو تفضيل ونتخيل أننا يمكن أن نقبلها أو نتركها. ولكن بعد ذلك فقط، عندما نحاول أن نتحرر، ونقف ضد طلبها المُستبد: نصبح واعين لعملها فينا كناموس للخطية والموت.

"ولكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي" (رو ٧: ٢٣).

ما هو إذن أساس مطالبة الناموس بحق السلطان؟ ما هو الأساس الذي يطلب استناداً عليه طاعتي؟ دعنا ندرس مسألة السلطان هذه.

٢. ***السلطان هو قوة نعترف بشرعيتها:*** أنا أقود سيارتي على الطريق و إذا برجل يرتدي ثياباً خاصة يخرج إلى الطريق ويرفع يده. فأبطأ بشكل طائع وأتوقف. لماذا أفعل هذا؟ ليس لأنه ضخم الجثة حتى أنه ليمنع سيارتي بدنياً من العبور، ولكن لأنني أرى من زيه أنه رجل شرطة وبهذا فهو يمثل قوة أستطيع أن أميزها بأنها شرعية.

وبعبارة أخرى فمسألة الطاعة أو العصيان تظهر فقط عندما أُواجَه بسلطان وهذا السلطان يكون له قوته بالنسبة لي فقط إذا ما كانت القوة التي يمثلها قوة أعرف فيها أنها قوة شرعية.

ولكن يبدو الآن أننا سنرجع أيضاً أكثر، فكيف لنا، في الحقيقة، أن نقرر ما إذا كانت القوة شرعية أم لا؟ هذه هي الخطوة الهامة.

٣. إنني أعرف في القوة أنها شرعية إذا ما كانت تناظر المقاييس التي يمثلها نظامي القيمي الداخلي:

لنفترض أنني في روسيا، وفي الصباح قرع رجال شرطة باب منزلي وبدأوا يتكلمون بتشاؤم عن مناجم الملح في سيبريا. ماذا سيكون رد فعلي؟ بعيداً عن الخوف المفهوم، سيكون من المحتمل أن اعتبر قوة مثل هذه

كقوة ظالمة وقهرية وممارسة غير شرعية للسلطة: لماذا؟ هناك رجال شرطة مثل هؤلاء تماماً في بلادنا. وهم، أيضاً، يمكن أن يديروا المرور ويطاردوا المجرمين. إن المعايير التي تمثلها قوة الشرطة هذه، لا تتناظر مع نظامي القيمي الداخلي تلك التي تنطلق من الحرية الديموقراطية وحقوق الفرد.

وبعبارة أخرى، فإننا لا نقبل كممارسة شرعية، أي ممارسة للقوة تكون في تعارض مع نظامنا القيمي الداخلي. ربما نضطر للتطبع مع مثل هذه القوانين والتنظيمات، ولكننا سنفعل ذلك مترددين، متذمرين وشاعرين بأن ذلك خطأ وغير عادل. وإن استطعنا أن نجد وسيلة للتسلل من وراء القانون ربما نشعر بتبريرها أكثر من شعورنا بتبكيت ضميرنا بشأنها. وبعبارة أخرى، حتى وإن كنا نوافق فنحن لا نطيع.

الناموس الخارجي والقيم الداخلية

ونصل الآن إلى مبدأ ذي أهمية قصوى لهذا الموضوع برمته ويحتاج لأن يُنظر إليه بواسطة كل أب وأم، إنه:

عندما يكون القانون الخارجي والقيم الداخلية في صراع، فالقيم الداخلية، على المدى الطويل ستكون لها الغلبة كل مرة.

فالطفل الذي ينمو في أسرة يتعلم شيئين متميزين تماماً. فهو يتعلم بوعي

من أبويه مجموعة من القوانين المتعلقة بما هو السلوك الصواب وما هو السلوك الخطأ. شارك الآخرين في لعبك، لا تكذب، أطع أمك وأباك، نظف أسنانك بعد كل وجبة وهكذا.

وبلا وعي، ولكن بنفس التأثير، يستمر في تعلم مجموعة أخرى من القيم: النظام القيمي الذي يعيش به أبواه بالفعل.

وعندما لا يكون هذان الاثنان، صيغة القوانين السلوكية ونظام القيم التي يعيش بها الوالدان بالفعل، غير متوافقين أو في تعارض مع بعضها البعض، سيكون كلا من الطفل والوالدين في خطر.

وعلى سبيل المثال، عندما يكذب جوني الصغير ويُكتشف أمره. فإنه سيُعاقَب على ذلك حتى يمكن أن يتعلم أنه لا يجب أن يكذب. وفي تلك اللحظة يطرق شخص ما على الباب الخارجي وتصيح الأم في أسى قائلة، "أرجوك يا جوني، السيدة سميث المرعبة، أرجوك اذهب وقل لها إنني أضطررت للخروج."

جوني هنا يتعلم شيئين. إنه يتعلم أن الكذبة "هي إساءة إلى الله، ولكنه يتعلم أيضاً، إنها وسيلة مُعينة يكون لها وجود في وقت المصاعب!" وبمعنى آخر، فإنه يتعلم أنك لا يجب أن تكذب، ولكنك إذا كنت كبيراً مثل ماما أو بابا بحيث لا يستطيع أحد أن يعاقبك، يمكنك أن تكذب عندما يكون ذلك وسيلة مناسبة لإخراجك من ورطة.

لذلك السبب فوالداك يقولان لك "جوني ولد صغير طيب في البيت، ولكن لا نثق فيه عندما يكون بعيداً عن نظرنا". عندما يكون جوني في نطاق مراقبة أمه ونظرها، فسيمكن أن يملي عليه الحذر والخبرات السابقة أن يتوافق مع المقاييس المطلوبة للسلوك. ولكن عندما يكون بمفرده، ستنحل في الحال المقاييس الخارجية التي وضعها والداه له عن القيم الداخلية التي اكتسبها أيضا، ويفعل ما يحلو له بنفس الأسلوب الذي يتصرف به والداه.

إسرائيل ومصر والوصايا العشر

يمكننا أن نرى أيضاً إيضاحاً لنفس المبدأ في تعامل الله مع إسرائيل في العهد القديم. فكل تاريخ تلك القرون يمكن أن نراه كصراع بين القانون الخارجي والقيم الداخلية. فمن جهة، لم يكن من الصعب على الله أن يُخرج إسرائيل من مصر. لقد اعتمد هذا على قوته وكان هذا كافياً. لكن ما كان أصعب بكثير هو إخراج مصر من إسرائيل. فإقامتهم لمدة أكثر من ٤٠٠ عاماً جعلت الشعب يكتسب مجموعة من القيم الداخلية المصرية.

وخلال رحلة البرية كلها كانت هناك تلك القيم بداخلهم. ولقد استمرت في جذب الشعب إلى الوراء، إلى مصر، برغم من أن مصر كانت تعني لهم العبودية والرق، فذكرى كرات اللحم والبصل والثوم بمصر جعلتهم يتحولون عن المن، رغم أنه كان غذاء الملائكة.

وعندما وصلت الأمة أرض كنعان استمر الأمر نفسه. فعندما حكم القضاة أو الأنبياء أو الملوك الصالحين والأتقياء، كانت الأمة تطيع الناموس وتعبد إله عهدهم. ولكن بين العصور المختلفة وباستمرار عجيب كان الشعب ينزلق للوراء. كانت عبادة المعبد تُهمَل، والناموس لا يُقرَا وكانت الأصنام وكل المفاسد الوثنية تظهر من جديد. حتى في أزمنة الأمانة الظاهرية، كانت الموافقة بعيدة عن كونها طاعة وهذا ما رآه الأنبياء بوضوح شديد:

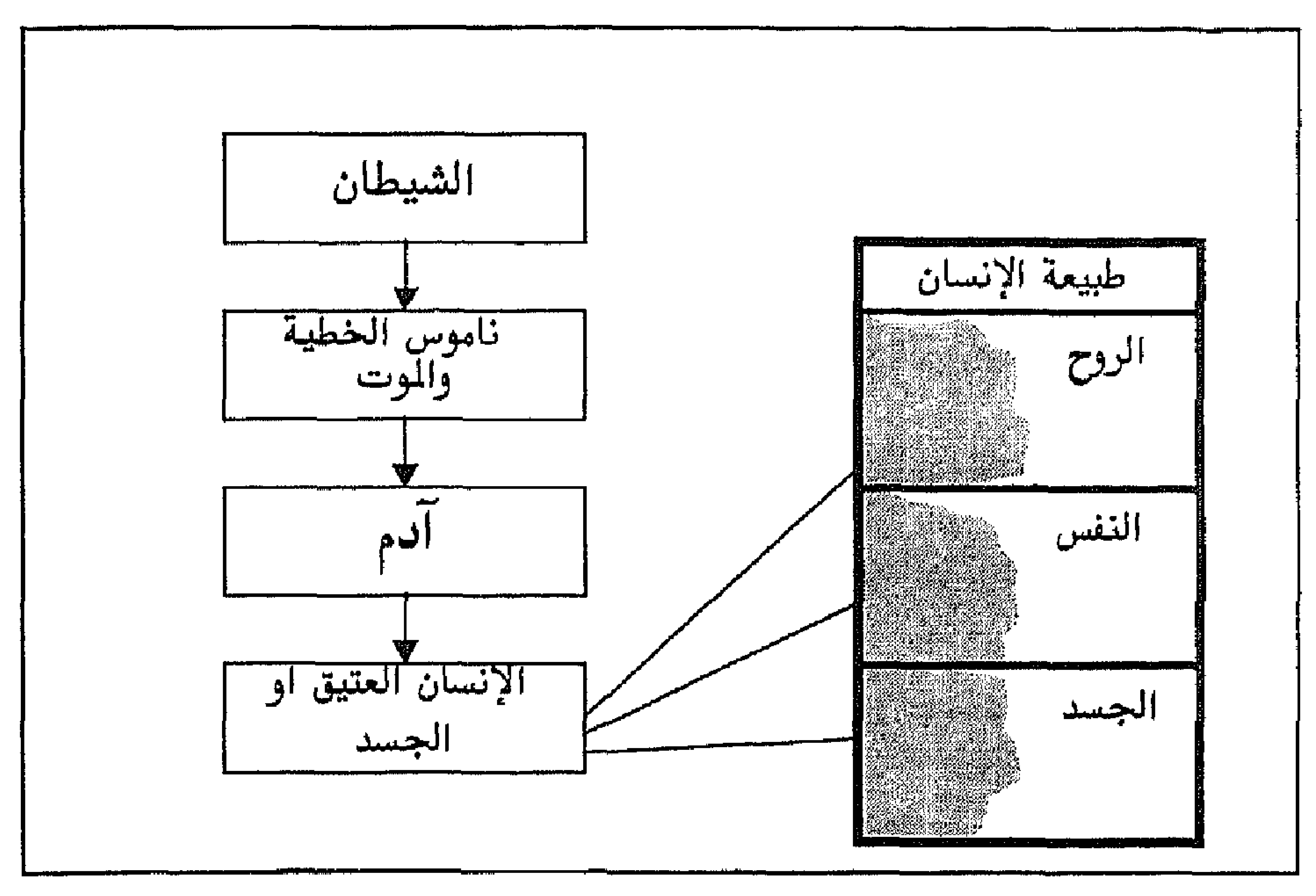
"لأن هذا الشعب قد اقترب إليّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبي فأبعَدَه عني وصارت مخافتهم مني وصية الناس مُعَلَّمة" (إش ٢٩ : ١٣).

ولكن هذه لم تكن مشكلة إسرائيل فقط. وإنما مشكلة الجنس البشري كله أيضاً.

أصول الجسد

يمكننا الآن أن نبدأ في رؤية الشكل الحقيقي للمشكلة التي رآها بولس في الطبيعة البشرية.

فخلال العصيان الأول لآدم، دخلت الخطية العالم ومع الخطية الموت. وليس آدم فقط بل كل البشر منذ ذلك الزمن أخطئوا، لذا فكل الجنس البشري سقط تحت ناموس الخطية والموت. وأكثر من هذا فإن ذلك



شكل ١٢ – أصول وتأثير الجسد

الخضوع لقانون الخطية والموت قد جعل الإنسان عبداً للشيطان،

"... حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية" (أف ٢ : ٢).

ورئيس سلطان الهواء هو الشيطان، الذي يستطيع الآن الدخول في طبيعة الإنسان الداخلية. ولقد استخدم هذا المدخل لكي يغرس في قلب الإنسان مجموعة من القيم الداخلية، *"فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة"* كما يقول سفر الأمثال. وما يخرج من النبع الداخلي للإنسان الساقط هو النظام القيمي الذي غرسه الشيطان فيه. إن هذا ما يسميه العهد الجديد "الجسد أو "الإنسان العتيق" أو "جسد الخطية

والموت". ويمكن توضيح أصله، علاقاته وسلطانه في شكل ١٢.

ومن الأهمية أن ندرك أن الكتاب المقدس لا يعني هنا بكلمة"جسد" الجسد بمفهومه الواسع. فالجسد ليس شريراً. فالمسيحية هي، في الحقيقة، الديانة الوحيدة التي لها نظرة صحيحة للجسد البشري وهي نظرة متسامية جداً. فجسد المؤمن *"هيكل للروح القدس"*، أعضاؤه هي *"أعضاء المسيح"* (١كو ٦: ١٥، ١٩)، إنه يُقدَم *"كذبيحة مرضية من الله"* (رو ١٢: ١)، ويوما ما سوف *"يلبس عدم فساد"* (١كو ١٥: ٥٣).

ويُقصَد بالجسد، المبدأ الخاطئ لإشباع الذات الذي يمسك بالطبيعة البشرية في العبودية لناموس الخطية والموت. فالجسد، له تأثير مدمر على كل الطبيعة الثلاثية للإنسان:

- فهو يأتي بالظلمة على روحه.
- وهو يأتي بالخطية إلى نفسه.
- ويأتي بالمرض إلى جسده.

والقيم الداخلية للجسد موضحة بالتفصيل في (غل ٥: ١٩-٢١).

"وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها، كما سبقت

فقلت أيضاً، إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله".

- ***الجسد والنواميس المتنافسة:*** إذا كان للإنسان تلك القيم الداخلية، فيمكننا أن نرى ما سيكون اتجاهه بالنسبة لناموس الله. إنه سيرفض سلطانه وينكر شرعيته، لأن معاييره هي في اختلاف كلي مع قيمه الجسدانية الداخلية. وهذا هو ما حدث في الحقيقة.

"لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع" (رو ٨: ٧).

وفي مقابل ذلك، فمعايير ناموس الخطية والموت تناظر تماماً القيم الداخلية للجسد. وهكذا فإنهم يقوون بعضهم البعض. إن الجسد يستخدم قوة الناموس كعذر: "لم استطع أن أتحكم في نفسي"، والناموس يبرر شهوات الجسد: "كل شخص يفعل ذلك، فلماذا لا تفعل أنت؟".

وهؤلاء الذين تحت ناموس الخطية والموت ينتهي بهم الأمر.

"... في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار" (أف ٢ :٣).

ولا عجب في أن بولس، في مواجهة هذا النظام الذي يبدو منيعاً، يصرخ قائلاً: *"ويحي أنا الإنسان الشقي. من يخلصني من جسد هذا الموت"* (رومية ٧: ٢٤). سنرى كيف يأتي الخلاص.

الفصل الثاني عشر

إجابة الله على الجسد

علينا الآن أن نرى إجابة الله على المشكلة التي خُلقت بواسطة سقوط الإنسان، سبب عبوديته للجسد ولناموس الخطية والموت.

فالعهد الذي قُطع قديماً قد فشل في حل المشكلة، ليس لأن الناموس كان ناقصاً كناموس، لكن لأنه كان خارجياً بينما الجسد كان داخلياً. لقد رأى بولس هذا بوضوح شديد، *"لأن ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد"* (رو ٨: ٣).

الناموس الخارجي على ألواح الحجر، حتى وإن كُتب بإصبع الله، لا يقدر أن ينتصر على القيم الداخلية التي هي ضد ذلك الناموس.

العهد الجديد الناموس المُدخَل

لذا نجد الأنبياء يتكلمون عن عهد جديد، مختلف جذرياً عن العهد

القديم، وهو ذلك الذي يغوص إلى جذور المشكلة بطريقة مختلفة كليةً:

"... أقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب".

"بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب، أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً" (إر ٣١: ٣١- ٣٥).

وبعبارة أخرى يقول الله إن الحل النهائي لمشكلة طاعة العهد هي جعل الناموس داخلياً، أن يُكتَب هذه المرة ليس على ألواح حجرية ولكن على قلوب بشرية. أن يصبح ناموساً داخلياً، وليس خارجياً.

قيم العهد الجديد

مرة ثانية يتكلم الله من خلال النبي حزقيال عن العهد الجديد نفسه:

"وأرش عليكم ماءً طاهرا فتُطهرون. من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهركم. وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي

وتعملون بها. (حز ٣٦: ٢٥- ٢٧).

وليس فقط الناموس، في ذلك الوقت، هو الذي يُدخَل ولكن شيئاً ما يحدث لقلب الإنسان الملوث. فهو يُطهَر من الخطية وتُغرَس فيه مجموعة من القيم الداخلية التي ستكون متوافقة مع الناموس الداخلي. إن مشكلة الطاعة قد تم التغلب عليها! والطاعة أصبحت التواصل الطبيعي للقيم الداخلية والناموس الداخلي: بعبارة أخرى، حرية تلقائية.

وها هما كلا العهدين الواحد في مقابلة الواحد أمام الآخر:

العهد القديم	العهد الجديد
– الخطية تُغطَى فقط	– الخطية تُزال
– ناموس خارجي على ألواح حجرية	– ناموس داخلي على ألواح قلوب بشرية
– القيم الداخلية للجسد (قلب من الحجر)	– القيم الداخلية للروح (قلب من لحم)

هذا هو العهد الجديد الذي نعيش تحته اليوم. وهو يتم شرحه بإيضاح شديد في (٢كو ٣). فبولس يبدأ هناك بالناموس الداخلي، عدد ٣، ويقودنا إلى النتيجة في عدد ١٧ ألا وهي الحرية: "وحيث روح الرب هناك حرية"

ولكننا يجب أن نرى بتفصيل أكثر كيف يتمم الله، في الحقيقة، هذا

الإنجاز العظيم، حتى يُمّكننا أن ندخل في الاختبار الحي لحقوق عهدنا.

آدم الأخير

والسؤال الذي نواجهه الآن، "كيف يمكن، في الحقيقة الفعلية، أن ناموس الله يُدخَل فينا؟ هل يمكن حقيقةً أن يُكتَب في القلب؟" لقد كنت متعجباً لماذا أخذ يسوع وقتاً طويلاً في الحياة على الأرض قبل خلاصنا، أي بمعنى، لماذا قضى أكثر من ثلاثين عاماً من الحياة البشرية قبل أن يذهب للصليب من أجلنا. لماذا لم يأت من السماء كإنسان كامل، ويحمل خطايانا، ويموت، ويقوم من الأموات ويرجع إلى يمين الآب، كل ذلك في خلال أيام؟ هناك أسباب عدة، بالطبع، لهذا الأمر، ولكنني بدأت أفهم بعضه عندما قرأت (١كو ١٥: ٤٥):

"هكذا مكتوب أيضاً، صار آدم الإنسان الأول نفسا حية وآدم الأخير روحا مُحيياً"

إن يسوع باعتباره آدم الأخير، الإنسان بالشكل الذي قُصد له أن يكون، جاء ليخلق بدايةً جديدة للإنسان. لقد كان سلفا لإنسان ذلك العهد الجديد المبرم مع الله. لذا كان عليه أولا وقبل كل شيء أن يتمم في بشريته كل وعود هذا العهد الجديد. وجاء موته ليحل مشكلة خطية الإنسان، وكان دمه ليطهر قلب الإنسان من الدنس والتلوث. **لكن حياته كانت**

الوسيلة التي كان يجب بها جعل ناموس الله داخلياً.

كيف فعل هذا؟ بتحمل الآلام، والمثابرة، الطاعة الكاملة، في كل موقف. لقد كتب ناموس الله على قلبه. في أزمنة الضيق، والسأم، والمعاندة وخلال سوء الفهم، على القضايا الصغيرة والكبيرة، كان دائماً يجعل الناموس داخلياً. لذلك عند دخوله إلى العالم يقول:

"ذبيحةً وقرباناً *لم تُرد ولكن هيأت لي جسداً* ... *ثم قلت هأنذا أجيء في درج الكتاب مكتوبٌ عني لأفعل مشيئتك يا الله"* *(عب ١٠: ٥، ٧)*.

لأول مرة في التاريخ البشري على الإطلاق، عاش إنسان في علاقة مثل هذه مع الله لدرجة أنه يقدر أن يقول بكل أمانة وبكامل الحق، "إنني أفعل دائماً الأشياء التي ترضيه". وفوق ذلك، كان عنده شهادة للآب على هذه الحقيقة: *"أنت هو ابني الحبيب، الذي به سُررت"* في هذه الحياة الواحدة تم إدخال ناموس الله الكامل بالتمام. ولقد خلق يسوع في طبيعته البشرية شيئين لم يكونا أبداً موجودين من قبل، هما:

أولاً: خلق كراهية إنسانية تامة للخطية. فالله كان دائما يكره الخطية بالتمام. والملائكة غير الساقطين يكرهون الخطية بالتمام. ولكن لم يكن أبداً هناك إنسان من قبل يكره الخطية بالتمام. فأفضل مسيحي يكون غير قادر على إدراك الطبيعة الحقيقية للخطية. فالصليب وحده يوضح ماذا يمكن

أن تفعله الخطية إذا ما تُركت بدون كبح، فإنها تؤدي لصلب المسيح وتحطيم الكون الذي خلقه الله.

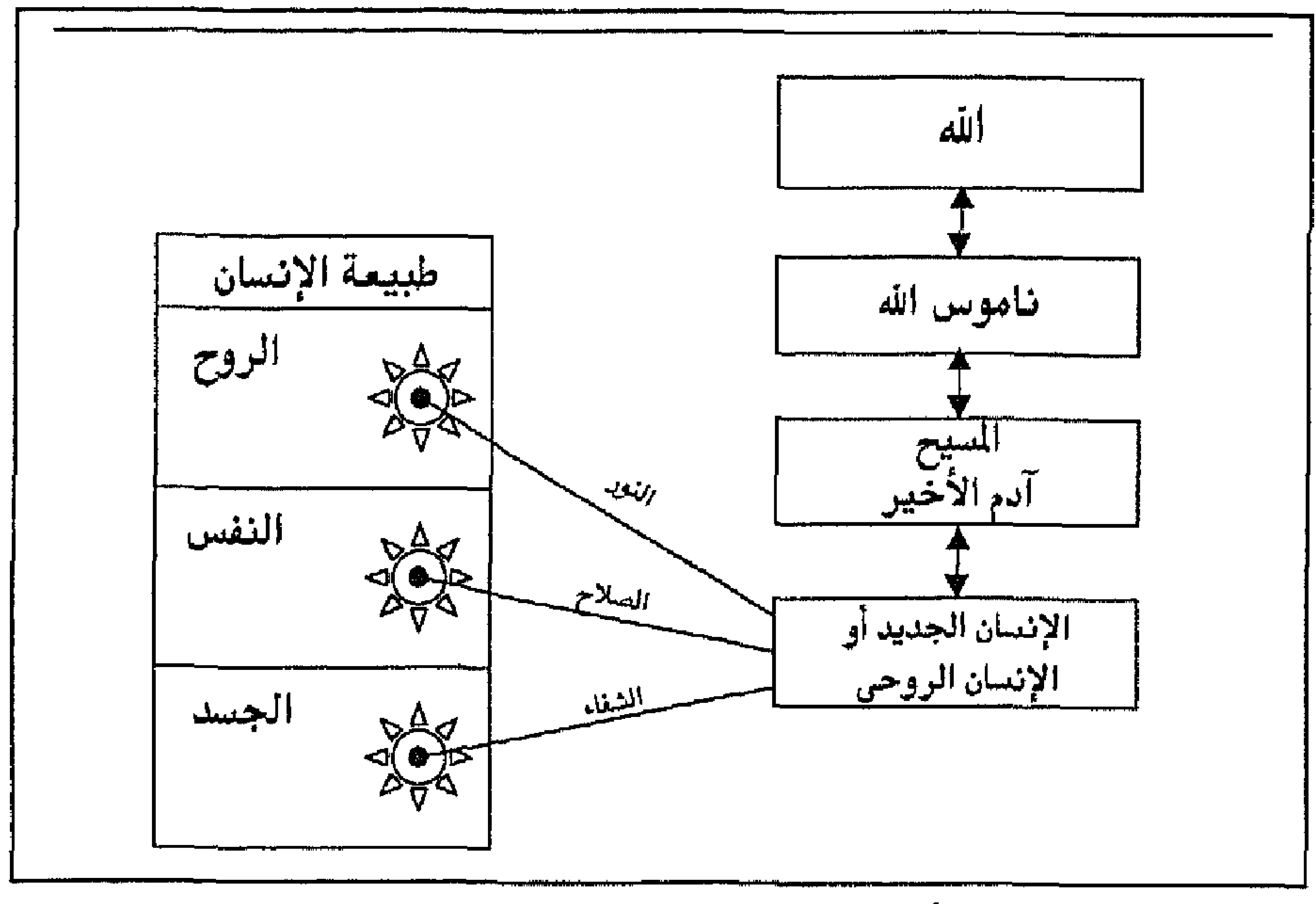
إن هذا الجانب من المعاناة والألم المعنوي في يسوع غالباً ما لا ندركه: إذ إنه كان يحيا في حضور الخطية وهو يرى ما كانت تفعله بالإنسان الذي خُلق على صورته. وإذ عاش وسط كل ذلك القهر والظلم والشر، وسط جنس بشري متألم وفاسد، نما يسوع في كره متزايد للخطية. ولكن على الصليب عندما اختبر الإنسان الذي بلا خطية ماذا كان يعني أن يصير هو خطيةً وعرف كنتيجة لذلك مدى الوحشة إذ يُطرد من حضرة الآب، خُتمت في قلبه البشري كراهية تامة مُتمَمة للخطية.

ثانياً: المحبة البشرية الكاملة للصلاح. لقد أحب الله دائماً الصلاح محبةً كاملة. وكذلك الملائكة غير الساقطين، ولكن لم يكن أبداً هناك إنسان يحب الصلاح محبةً كاملة. وفي قلب يسوع الإنسان، جاءت الطاعة بابتهاج تام بإرادة الله. ولكنه عندما جاء إلى الصليب، قابلاً إياه كمشيئة للآب، اكتشف أن نتيجة تلك المشيئة وطاعة آلامه كان خلاصاً للعالم، لذا خُتِم في قلب يسوع البشري محبةً بشرية كاملة للصلاح وللطاعة.

ولكن آدم الأخير كان عليه أن يصبح روحاً تعطي الحياة (١كو ١٥ : ٤٥) ماذا يعني هذا؟

إن حياة يسوع البشرية كانت حياةً منفتحةً بالكامل على الروح القدس.

لقد وُلِـد مـن الـروح القـدس وعُمِّـد بـه. شـفى المرضـى كإنسـان *"ممسـوح بـالقوة وبالروح القـدس"* (أع ١٠ : ٣٨)، كـان يطـرد الشـياطين بـروح الله. والمعجـزات



شكل ١٣ - أصل وتأثير الإنسان الجديد

التي صنعها يسوع كـانت معجـزات يمكـن أن يصنعـها إنسـان مملـوء مـن الـروح القدس. وكـل شـيء كـان يعرفـه يسـوع عـن الآب، وهـو في طبيعتـه البشـرية، عرفه بإعلان الروح القـدس. ولقـد كـانت هنـاك غايـةً إلهيـةً مـن كـل ذلـك، لأن كمـا كـان يعمـل روح الشـيطان في الإنسـان السـاقط لكـي مـا يُنتـج الجسـد أو الإنسـان العتيـق، كذلـك **الـروح القـدس كـان يعمـل في بشـرية يسـوع لكـي مـا يخلـق بنيـة القيـم الداخليـة، الـتي هـي "الإنسـان الجديـد" أو "الإنسـان الداخلـي" ببسـاطة، "الـروح"**. ويمكنـك أن تـرى في شـكل ١٣ أصـول وعلاقـات وسـلطان هـذا الإنسـان الجديـد.

إن القيم الداخلية لهذا الإنسان الجديد تُوصَف في (غل ٥: ٢٢- ٢) على أنها: "... محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف".

وضد هذه الأشياء، كما يقول بولس ليس هناك ناموس، أو بمعنى آخر، "ناموس الله ليس ضد هذه الأشياء". بل على العكس إنها في توافق وتواصل تام مع الناموس ونفس الإنسان الجديد يُوصَف أيضاً في (أف ٤: ٢٤) على أنه: "... *الذات الجديدة، التي قد خُلقت على صورة الله في صلاح وفي حياة يسوع وقداسة الحق*".

وكانت نتيجة هذا التوافق بين القيم الداخلية والناموس الداخلي هو الطاعة التامة. ومن هذه الطاعة التامة جاءت الحرية التامة. وبمعنى آخر، أن يسوع كان حراً في أن يفعل بتلقائية وحرية أي شيء يحب لأن نظام القيم الذي كان يوجه تفضيلاته ورغباته كان في توافق تام مع ناموس المحبة غير الأنانية.

إن يسوع لم يكن محتاجاً لأن يتوقف ويسأل نفسه في كل موقف ماذا يكون ناموس السلوك الصحيح إزائه. لقد كان ذلك الناموس في قلبه حتى أنه كان يعيش بطريقة طبيعية تلقائية وحرة في توافق معه.

يمكن التحكم في الناس أو استغلالهم باللعب بعاملين في طبيعة الإنسان، الطمع والخوف. لم يكن هناك طمع في يسوع. لم يكن يريد شيئاً

لذاته. لقد قال:

"... للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه"

ولم يكن هناك أبداً ما يجعله يضطرب بأي طمع. ولم يكن لديه أي خوف. فلقد نام وسط العاصفة، وكانت كلمته للتلاميذ دائما "لا تخافوا". كيف تمسك أي خطأ على إنسان مثل هذا؟ وحتى الشيطان لم يقدر على ذلك. لذا كان يسوع قادرا على أن يقول في النهاية: *"رئيس هذا العالم آت وليس له فيّ شيء"* (يو ١٤: ٣٠).

لقد كان حراً جداً لدرجة أنه كان قادرا على أن يقول، *"لا أحد يأخذ حياتي مني بل أضعها أنا من ذاتي"* وهذه بالتأكيد هي الحرية القصوى.

الفصل الثالث عشر

اختبار حرية العهد الجديد

لقد كان لنا فرصةً قبل ذلك لتأكيد حقيقة أن استجابة الله لاحتياج الإنسان تُوجَد في عملين متكاملين غير مرئيين: عمل الصليب، وعمل الروح. وسنرى أن نفس الشيء ينطبق على الحالة الحاضرة.

عمل الصليب

إن كل الذي فعله يسوع، حتى هذه المرحلة، في إدخال ناموس الله كان، مغلقاً عليه في بشريته الشخصية، وكان يجب أن تكون هناك طريقة لنقل هذا إلى إنسان العهد الجديد. ويوضح العهد الجديد كيف تم عمل ذلك.

"الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرَح رئيس هذا العالم خارجاً. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مُزمعاً أن يموت" (يو ١٢: ٣١-٣٣)

ما أشار إليـه يسـوع هنا هو موته وما قصده كان هذا: عندما أتى يسوع إلى الصليب، أصبحت بشريته الشخصية بشرية جامعة. لقد أدمجت كل هؤلاء الذين سيؤمنون به. أما الشيطان، رئيس هذا العالم، فهو يُطرَد عنا ونحن ننجذب إلى يسوع حتى نصبح واحداً معه وجزءاً منه.

في يوحنا إصحاح ١٣ نقرأ سرد ما حدث في العُلية عندما بدأ يسوع يغسل أرجل التلاميذ. وفي عدد ٨ نقرأ: قال له بطرس، *"لن تغسل قدميّ أبداً"* فأجابه يسوع، *"إن لم أغسلك فلن يكون لك شركةً معي"*.

ومعكوس قول يسوع هذا يعني إذن، "إذا غسلتك، يكون لك شركة معي." فلأننا لنا شركة معه، فهكذا تتحد بشريته معنا أيضاً، ويكون أيضاً من الحقيقي أننا، عندما مات هو، متنا نحن وعندما دُفن، دُفنا أيضاً وعندما قام من الأموات قمنا فيه.

"أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته. فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة" (رو ٦: ٣– ٤).

والآن يجب أن نرى تأثير ذلك الاتحاد في المسيح على علاقتنا بالجسد وعبوديتنا لناموس الخطية والموت.

"عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبَد أيضاً للخطية" (رو ٦: ٦).

ماذا يعني هذا؟ يعني أن الصليب يمحو أو يبطل تأثير السلطان الذي يوثقنا بناموس الخطية والموت. فنحن أحرار من السلطان الذي جعلنا عبيداً للخطية. فالتأثير المسيطر والمهيمن للقيم الداخلية للجسد يصير عديم القوة. وعداء هذا السلطان لناموس الله، بالرغم من أنه لم يتغير، لا يمكن أن يبقينا في القيود بعد ذلك فنحن قادرون بقرار بسيط من إرادتنا، أن نصبح أحراراً من الجسد، ليس بسبب قوة إرادتنا، ولكن بسبب الصليب، وموتنا هناك، قد أنهى القوة التي له علينا.

عمل الروح القدس

في يوحنا ٧ نجد تسجيلاً لزيارة يسوع إلى أورشليم في عيد المظال. وكجزء من طقوس العيد كانت هناك مراسم لصب مياه من بركة سلوام عند قاعدة المذبح. وبينما يسوع يتأمل هذا وقف وصاح قائلاً:

"وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي" (يو ٧: ٣٧-٣٨).

ثم يستمر يوحنا ليشرح أن يسوع كان يتكلم عن الروح القدس الذي كان الذين يؤمنون به سيقبلونه: *"لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد".*

لماذا لم يكن الروح قد أُعطَى بعد؟ كان ينتظر شيئاً. لقد كان ينتظر أن يُكمل يسوع بنية القيم الداخلية التامة التي كنا نتكلم عنها. ولكي نبني عليها كل مقدرة وكل إمكانية يمكن أن نحتاجها في أي وقت في هذه الحياة: محبة كاملة، إيمان كامل، طاعة كاملة، تسامح كامل.

كان ينتظر حتى يأتي يسوع إلى الصليب وتصير شخصيته الفردية شخصية مشتركة باتحادنا معه. كان منتظراً حتى يكون الإصلاح عملاً متمماً، وحتى تكون مشكلة خطيتنا التي تفصلنا عن الآب قد تم التعامل معها.

لقد كان من المنتظر أن يحطم يسوع الموت ذاته وأن يكون، قد أُقيم إلى قيامة الحياة، والموت لم يعد له أي سلطان عليه. بعد ذلك أُعطَى الروح.

"ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠ : ٢٢).

إن الإنسان الجديد، الإنسان الداخلي، ويُدعى أحيان "الروح"، جاء إلى التلاميذ عند تلك النقطة. وعندما دخل رأس الجسد إلى حياة القيامة، نفخ حياة القيامة هذه في أعضاء جسده. لقد دخل حياتهم بنية جديدة من القيم وناموس مُدخل غير مكتوب على ألواح حجرية وإنما على القلب.

طبيعة واحدة أم طبيعتان

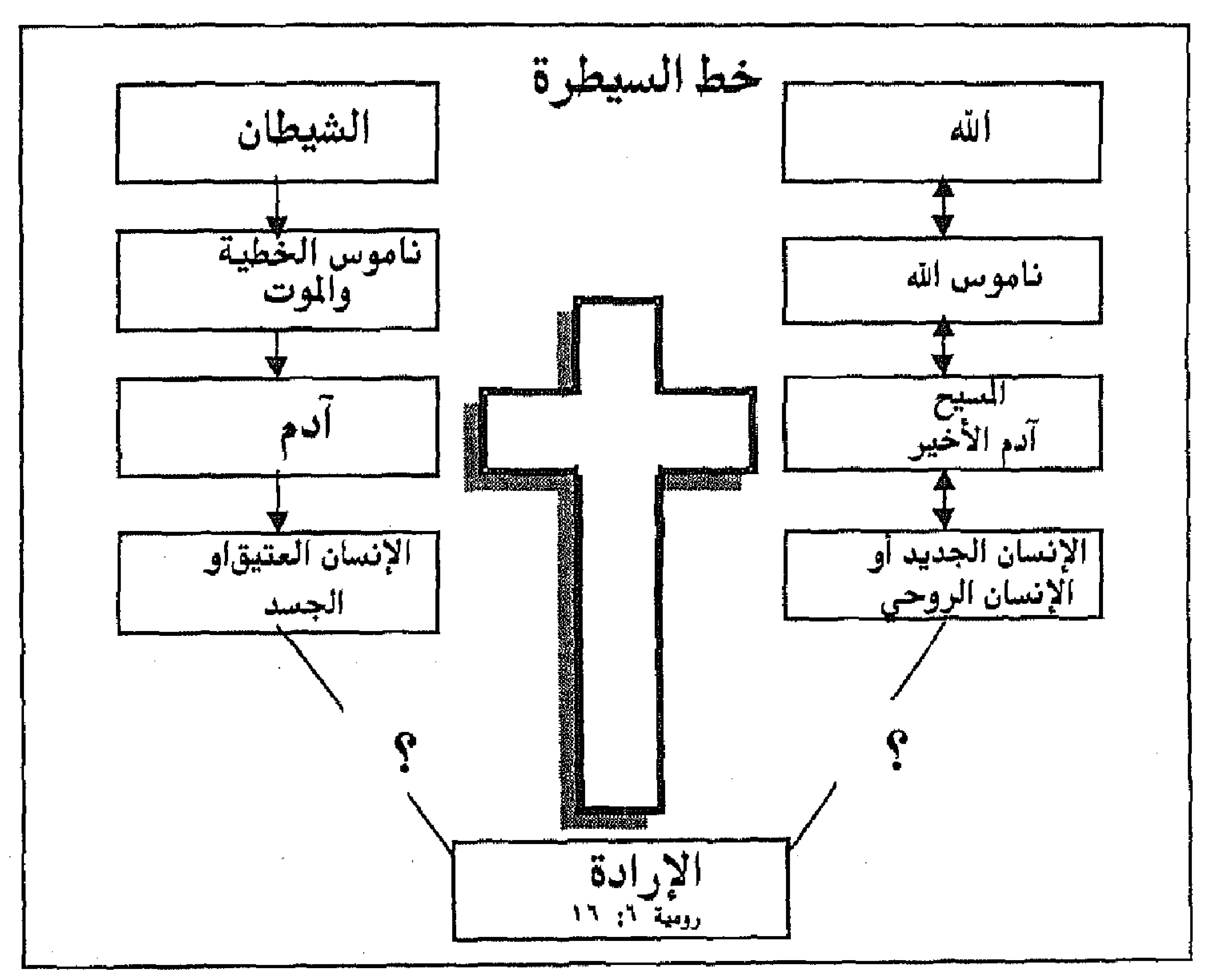
إنني أدرك أننا الآن في مجال قد وَلّد في كثير من الأحيان نزاعاً، وهو السؤال عن ما إذا كان المسيحي له طبيعة واحدة أم طبيعتان. وبعبارة أخرى، هل هناك "طبيعة عتيقة لي" تريد أن تخطئ و"طبيعة جديدة" لا تريد؟ وإن أخطأت، من سيكون المسئول؟ الذات العتيقة أم الطبيعة الجديدة؟ من هي "الأنا" التي تخضع للأنا العتيقة؟ هل إنني في الحقيقة أكون ذاتي وأنا أخطأ أم أكون في الحقيقة ذاتي عندما أفعل الصلاح؟

إنني شخصياً لا أعتقد أن المسيحي له طبيعتان. إنني هو ذاتي، ولذا فأنا مسئول عن كل شيء أفعله. وأنني اعتقد أن الحقائق يمكن أن تُفهَم بصورة أفضل إذ نراهما كنظامي سلطان متنافسين وكبنيتين متنازعتين من القيم الداخلية. إن الإنسان غير المولود من جديد له بنية واحدة من القيم الداخلية، الجسد. أما المسيحي فهو فقط الذي له اختياران، (شكل ١٤).

دعني أعطيك اختباراً شخصياً سيوضح ما أعنيه. لقد اعتدت أن أدخن كثيراً. وبالرغم من أنني حاولت مرات عديدة أن أُبطل هذه العادة، لم أنجح. بالاختصار، "غلبتني" هذه العادة. وبالرغم من هذا، ففي ليلة عمادي بالروح القدس، خلصني الرب يسوع، خلصني في التو وكليةً من كل رغبة للتدخين. لم يعد لديّ أي تشوق للتدخين كأنني لم أدخن أبداً

من قبل. كان هذا عجيباً، إذ لم يحدث لي مثل هذا الأمر قبل ذلك على الإطلاق.

وبعد ثلاث سنين مررت بأزمة شخصية قاسية جداً، وعندما أنهار كل شيء في حياتي. وفي وسط تلك المحنة الطاحنة، أعطاني أحدهما سيجارةً. فأشعلتها ودخنت. ثم واحدة أخرى. لقد كنت تماما وكأنني لم أبطل التدخين على الإطلاق. وأمكنني أن أسترجع بسهولة عادتي القديمة في تدخين ٤٠ سيجارةً في اليوم. لقد كان هذا منذ ١٧ عاماً، لم أدخن منذ ذلك الوقت، لم أرد حتى أن أدخن.



شكل ١٤ – تحرير الإرادة

إن النقطة التي أريد أن أوضحها هنا هي أنه ليس هناك اثنان باسم توم، مكتوباً عليهما لافتة مثل عربات السكك الحديدية، "تدخين" أو "ممنوع التدخين". ليس هناك إلا توم مارشال واحد فقط. ولكن كل أنواع العادات التي شكلت أسلوبي في الحياة مازالت موجودة (والتدخين ما هو إلا واحدة منها). ولقد تم إعدادهم كلهم للإقلاع عنهم. وفي أي وقت يمكن أن تكون الطاعة لهم مثيرة. وربما تكون طاعتي لهم تفعل هذا. ولكنني لست متمسكاً بهم. والحقيقة المجيدة هي أنني لا أحتاج لأن أكون تحت قوة أي منهم، لأن الصليب يوقف تأثيرهم ويطلقني حراً. يمكنني أن أتركهم ليبلوا ويتراكم عليهم التراب.

إن هذا يشبه وجود بروجرامين للكمبيوتر. فالبروجرام لا يُنتج إلا ما قد وُضِع فيه. والإنسان غير المولود من جديد ليس له إلا برنامج واحد، الجسد. وهو لا ينتج إلا ما فيه: أعمال الجسد التي يصفها بولس في (غل ٥: ١٩). والمسيحيون لهم برنامجان: لأن الصليب يمكن أن يفصل الاتصال بالإنسان العتيق، الجسد، ويوصلنا بالإنسان الجديد، وهذا البرنامج يمكن فقط أن يُنتج ما هو بداخله: ثمار الروح التي توصف في (غل ٥: ٢٢). وإليك كيف تتم مقارنة البرنامجين:

الجسد (الإنسان العتيق)	الروح (الإنسان الجديد)
- عدائي تجاه الله	- عدائي تجاه الشيطان
- غير خاضع لناموس الله	- غير خاضع لناموس الخطية والموت
- ينتج: ظلمة في الروح	- ينتج: نوراً في الروح
خطية في النفس	صلاحا في النفس
مرضاً في الجسد	شفاءً في الجسد
- القيم الداخلية: أعمال الجسد	- القيم الداخلية: ثمار الروح

إن البرنامجين متضادين، فنحن لا نقدر أن نعيش على اتصال بالاثنين في نفس الوقت.

"لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون" (غل ٥: ١٧).

وبقطع اتصال الجسد والسلوك في حياة الإنسان الروحي، سنكتشف توافقاً مجيداً بين القيم الداخلية والناموس المُدخَل، حتى أن الطاعة لذلك الناموس، ناموس المحبة غير الأنانية، تصبح ليست فقط ممكنة وإنما

طبيعية أيضاً ولأنـها طبيعيـة، ستكون هـي نفسـها حريـةً.

السلوك بالروح

كثـير مـن الصعوبات الـتي نراهـا في الصليـب تـأتي مـن إهمالنـا لعمـل الـروح القـدس الحيـوي، الـذي يكـون دائمـاً مكمـلاً وغـير قـابل للانفصــال عــن عمـل الصليـب. وفي هـذا السياق بـالتحديد يكـون عمـل الـروح ذا جـانبين:

١. إنـه القـوة الـتي تحـرر إرادتنـا مـن عبوديــة الاستسـلام المعتـاد لمطـالب الجسـد.

٢. إنه ذلك الـذي يربينـا علـى العيـش بالنـاموس المـزروع بـالداخل.

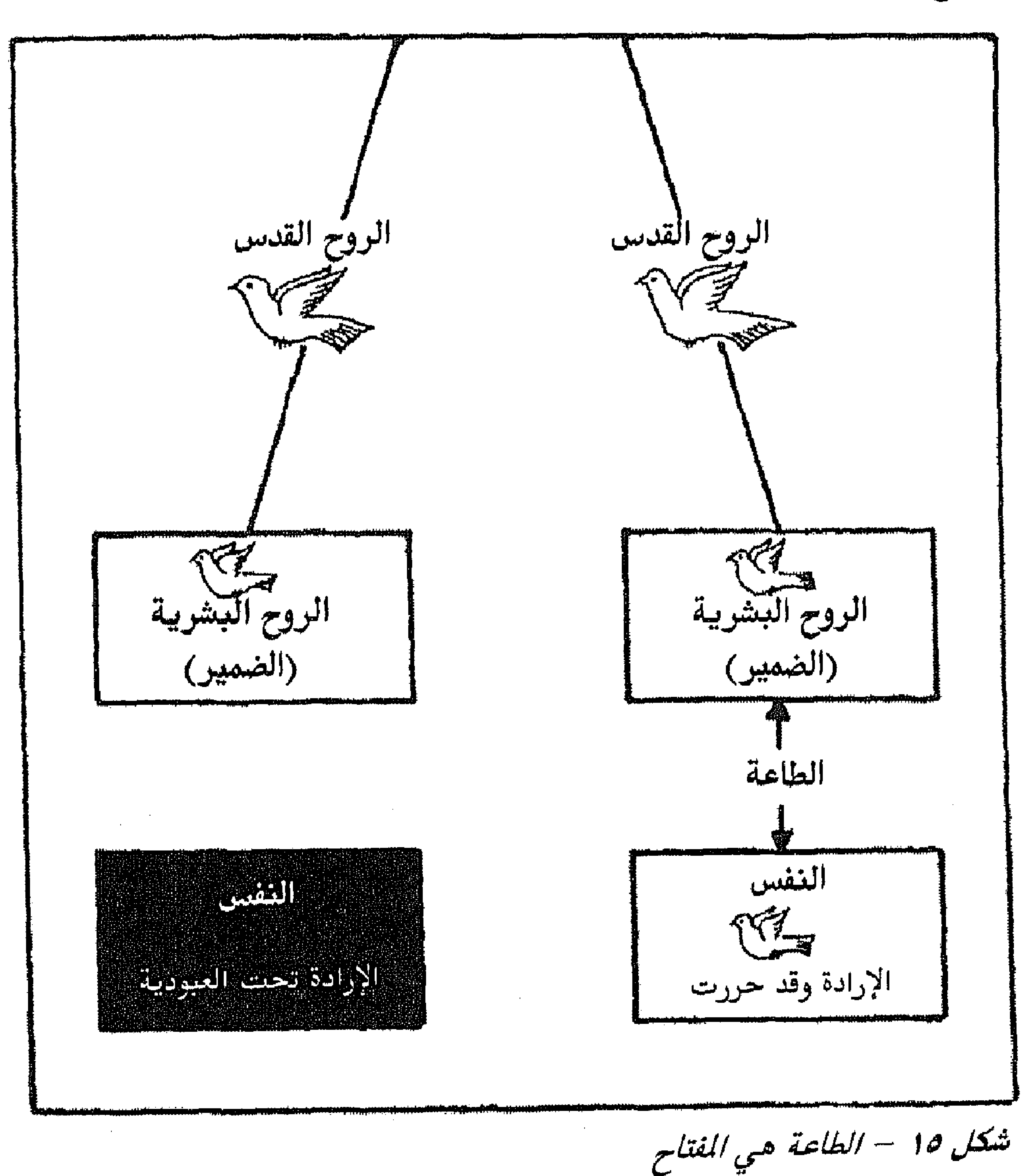
يجـب أن نتـأمل باختصـار مـع التدقيــق كـل مــن هذيــن الجــانبين علــى حـدة. فالإنسـان، المخلـوق علـى صـورة الله الثـالوث هـو أيضـاً مثلـث الطبيعــة، بمعنــى أنــه روح، ونفـس وجسـد (١تــس ٥ : ٢٣).

- **الروح البشرية** هي ذلك الجـزء مـن الإنسـان الـذي قـد وُلـد مـن جديـد، بمعنى، أنه الجــزء الـذي يصـير مكانـاً لسُكنَى الـروح القـدس بداخلنـا.

- **النفـس (باليونانيــة *psyche*)** هــي ذلــك الجــزء مــن الإنســان الــذي يتكـون مـن العقـل، الإرادة، الانفعـالات أو المشــاعر.

وفي الإنسـان غـير المولـود مــن جديـد، وفي كثــير مــن المسـيحيين، يكــون

هدف النفس أن تحكم أو تسيطر على الإنسان. لكن في نظام الله تكون الروح هي ذلك الجزء من الإنسان الذي يُقصد له أن يحكم شخصيته وأن يكون المركز المتكامل لكيانه. والسلوك في الروح يعني أن تُسلم النفس رغبتها في الحكم، وتخضع لسلطان الروح البشرية، التي يسكنها الروح القدس.



شكل ١٥ - الطاعة هي المفتاح

الله لن يرغم أبداً الإرادة الإنسانية. وهذا يعني أن قوة الروح القدس داخل الروح البشرية لن تنطلق أبداً إلى منطقة النفس، بدون الاستجابة الحرة للنفس. وبالنسبة للإرادة، تكون الاستجابة التي تعبر الهوة من النفس إلى الروح هي **الطاعة**. وعندما نبلغ باستجابة الطاعة، تنطلق قوة الروح القدس إلى نطاق الإرادة وتكسر نير العبودية. إن الروح القدس بمسحته هو الذي يكسر النير، وهو الذي يأتي *"للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق"* (إش ٦١ : ١). فليس هناك عادة، ولا قسر، ولا عبودية، ولا قيد على الإرادة، لن يكسره روح الرب لكي يحررنا.

ثم هناك أيضاً العمل التربوي للروح القدس. ويمكنك أن تسميه تقديساً إذا أحببت أن تتكلم بلغة لاهوتية، ولكن، مرة أخرى، يجب علينا أن نفهم بوضوح ماذا يعني هذا.

إن عمل الروح القدس هو تطبيق ناموس الله على حياتنا، بالأسلوب الذي لا نقع فيه في الروحانية الذاتية. فلقد قُصد لنا أن نثق بحقيقة عمل الله فينا، حتى نحيا بحرية وتلقائية، وطالما نحن نستجيب إلى عمل الروح القدس التربوي فينا. ماذا يفعل؟ إنه يفعل ما فعل في يسوع، إنه يكتب الناموس على قلوبنا. والناموس يحررنا!

إننا من خلفيتنا الكتابية يمكن أن نجد صعوبةً في أن نؤمن بقوة الناموس التحريرية. ولكن الهدف من الفداء كان، كما يقول بولس في

(رو ٨: ٤) *"لكـي يتـم حكـم النـاموس فينـا نحـن السـالكين ليـس حسـب الجسد بـل حسـب الـروح"*.

- ***النـاموس المكتـوب علـى قلوبنـا:*** إن الـروح القـدس سيأخذنا بيـده، مـرة ومـرات، ليعلـو بنـا فـوق تعدينـا لنـاموس المحبـة غـير الأنانيـة، وإن استجبنا سيُكتَب جـزءاً مـن هـذا النـاموس علـى قلوبنـا. ودعـني أقـول لك هـذا: أنـه عندمـا يُكتَـب ذلـك النـاموس علـى قلوبنـا، سـنصبح غايـة في الرقة في ضميرنـا مـن بعـد تلـك اللحظـة وإلى الأبـد.

إننـا نحتـاج أن نتعلـم، بوعـي، أن نَعـهّد بأنفسـنا في يـديّ الـروح القـدس من أجـل هـذا. ربمـا أنـه مـن الأصعـب أن نتعـهد بعضنـا بعضـاً في يـدي الـروح القـدس لأن يفعـل هـذا بطريقتـه وفي وقتـه هـو. فنحـن لدينـا تلـك الفكـرة الغريبـة بأننـا نحتـاج لأن نشـرف علـى الـروح القـدس كـي مـا نتـأكد أنـه يقـوم بوظيفتـه على الوجـه الأكمـل.

وأحياناً ما يمكنـه أن يأخذنـا فـوق مـا يبـدو أمـراً صغـيراً، ولفـترة مـن الوقـت يدعنا نمرر الأشـياء الـتي نعتبرهـا نحـن أو الآخريـن، أكـثر أهميـة بكثـير.

أتذكـر أنـني كنـت ذاهبـاً إلى الكافيتريـا الـتي بـالعمل. وإذ جلسـت كـان هنـاك رجـل يحكـي قصـة. وإذ انتـهى تذكـرت شـيئاً كـان قـد حـدث لي. لقـد جعلـت قصتي أكـبر قليـلاً مـن الحجـم الحقيقـي. وطرزتـها بشـيء أو اثنـين لم يحدثـا فعليـاً، وحكيـت للسـامعين، لكنـها جعلـت القصـة أكـثر إضحاكـاً.

وفجأة أصبحت مُداناً لدرجة أنني تركت الشاي وذهبت لتوي لأُصلح الأمر مع الرب.

والآن، إذا ما قصصت ذلك في بعض الأماكن، يمكن أن يفكر الناس قائلين "يالك من قديس يا جو! قليلاً من المبالغة والروح القدس يدينه!" هذه ليست المسألة. فهناك كانت ومازالت قضايا أكبر بكثير في حياتي والرب لم يواجهني بها حتى الآن. ولكن ذاك اليوم اختار أن يكتب ناموساً في قلبي عن الكذب. وعندما ندعه يأخذ تلك المبادرات المُنعمة والإلهية ونتعلم أن نستجيب لما يفعله في حياتنا، فإن كل الأمور يتم القيام بها، وتُحل المشكلات، ويتم اكتمال الأشياء.

ونحن، في الحقيقة نتغير من درجة في المجد إلى أخرى، ولكن دائماً في اتجاه الحرية *"وحيث روح الرب هناك حرية"* (٢كو٣:١٧). هناك حرية في أن نحيا بتلقائية وبصدق مستجيبين لإرشاد الناموس المزروع داخلنا، ومكتشفين أن الطاعة يُقصد بها أن تكون، ليست فقط ممكنة لأبناء الله، بل أيضاً طبيعية لهم.

الجزء الرابع

الفصل الرابع عشر

الحرية في أن تكون أنت نفسك

من الأسئلة المحيرة التي تواجه المسيحي المخلص السؤال الذي يتعلق بالاتجاه الذي نهتم باتخاذه تجاه أنفسنا. فمن جهة، نحن نحذر باستمرار من الكبرياء، الخطية الأكثر دماراً التي دمرت أعلى الكائنات التي خلقها الله. وأكثرنا، يميل أكثر إلى الإشفاق على ذاته، وإشباعها وحمايتها، أكثر من ميلنا للكبرياء الفعلي ولكن من الملائم أن نتخذ إنكار الذات والاتضاع كمثاليات مسيحية.

ومن جهة أخرى فإن هناك فقرات في الكتاب المقدس تتمسك بوضوح بتقدير الذات كنموذج يجب أن نؤسس عليه علاقاتنا مع الآخرين. *"وأحب قريبك كنفسك"* (مت ١٩ : ١٩)، على سبيل المثال، *"كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يُحب امرأته يُحب نفسه"* (أف ٥ : ٢٨).

هل يعني هذا إذن أننا يجب أن ننكر، أو نمحو هؤلاء الآخرين؟ إن كل مرشد مسيحي قد قابل أناساً يحبون جيرانهم في الحقيقة بنفس الطريقة التي يحبون بها أنفسهم، مع نتائج مؤسفة جداً! إن شعرنا إننا غير كافيين، بلا قيمة، غير مرغوب فينا، أو غير محبوبين، فهذا يمكن أن يكون له تأثير مدمر، ليس فقط على شخصيتنا ولكن أيضاً على قدرتنا على تكوين علاقات مُرضية مع الناس الآخرين، ومع الله ذاته. فالجراح العميقة والتقدير الذاتي المجروح أو المحطم الذي يصيب كثيراً من الناس في الطفولة المبكرة يُعّوق وأحياناً ما يُعّجز حياة حتى المسيحيين المكرسين.

إلا أنه، بعدما قيل كل هذا، يجب علينا أن نعترف أن هناك مركزية ذات مستعصية. حتى على المستوى الروحي أحياناً، يكون التركيز مغلقاً على احتياجاتي **أنا** واختباري **أنا**، شفائي **أنا**، وخدمتي ومواهبي **أنا** وبذلك نبقى متمركزين حول الذات أكثر من كوننا متمركزين حول الله.

كيف يجب إذن أن نتعايش مع الذات؟ لو بدلنا في سلوكنا، بين المقاييس الجافة المُحبطة والإباحية الزائدة المتهاونة، فلا يجب أن نندهش إذا ما فشلنا في تحقيق النضج. فما سيبدو بالفعل نتاجاً من ذلك هو النتيجة التي يحققها الوالدان اللذان يعاملان طفلهما تبعاً لهوى اللحظة، طفل "مُدلَل"!

ولقد عشت أكثر حياتي المسيحية بهذا الاتجاه المشوش عموماً

والمتناقض تجاه ذاتي. وبعد ذلك جاءني اختبار إرشاد منذ أعوام فقادني إلى إعادة بحث الموضوع كله في ضوء ما كان يقوله الكتاب المقدس بالفعل.

كنت أتكلم مع امرأة شابة متزوجة كانت تمر بظروف صعبة تعقدت بمشاعر التشكك الذاتي وغياب اليقين عموماً تجاه ذاتها. لقد كانت تشعر بأنها عديمة النفع وميئوس منها، وأنها تُعتبر مشكلة لزوجها أو أولادها، وخيبة أمل محزنة للرب وللجميع، وبعد بضعة سنوات من الاختبار المسيحي. جلست معها، تكلمنا بعض الوقت ثم صلينا معاً. وبينما كنا نصلي، أعطاني الرب كلمة من أجلها. وأدهشني جزءاً منها للغاية لدرجة أنني لم أقدر أن أصدق لبرهةٍ من الوقت أن ما قد تلقيت كان صحيحاً. أترى، الرب كان يقول إلى هذه المرأة الشابة أنه كان حقاً معجباً بها! والآن، عرفت، بالطبع أن الرب يحبنا. ولكنه يمكن أيضاً أن **يُعجَب** بنا وهذا لم أتخيله أبداً من قبل. ماذا؟ **يُعجَب** بنا؟ يستمتع بصحبتنا؟ يُعجب بذوقنا؟ يستمتع بشخصيتنا أو مزاجنا؟ أو حتى يبتهج بمظهرنا؟ كل هذا كان شيئاً جديداً عليّ.

ولقد احتاج الأمر وقتاً، لكنني عندما أصبحت قادراً على التخلص من رؤيتي المُسبقة للأمور التي كانت في الحقيقة تعبيراً لاحتياجاتي في هذه الناحية، بدأت أسمع بوضوح ما كان الكتاب المقدس يقوله طوال الوقت. وأكثر من هذا، بدأت ألمح نواحي الحرية والشفاء التي كانت مثيرة بالفعل.

ومنذ ذلك الوقت، بدأت أعيش بما يكفي من ذلك الاختبار لكي أعرف أن ذلك ليس سراباً ولكنه جزء أصيل من ميراثنا. إنه في الحقيقة، جزء من الحرية المجيدة التي تخص كل ابن من أبناء الله. ولكننا لكي نجد سبيلنا إليه، يجب أن نرجع في الحال إلى البداية الأولى لتاريخنا.

الذات المخلوقة

إن الإصحاحات الأولى من سفر التكوين أساسية فيما يتعلق بفهم الطبيعة الحقيقية والكيان الجوهري للإنسان. وهناك نصان يتعلقان بالإنسان الذي خلقه الله وهما غاية في الأهمية.

أولاً، الكتاب المقدس يعلن أن الإنسان خُلق لكي يكون مخلوقا مُحباً.

ففي (تك ١ : ٢٦) تقرأ أن الله قال، *"نخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا"* ماذا يمكن أن نستنتج من هذا؟ الإنسان على صورة الله يمكن أن تُفسَر بأشكال مختلفة ولكنني اعتقد أنها يمكن أن تُفهم كما يلي:

في الخليقة المادية، أظهر الله قوته وحكمته حتى يراها الكل.

"لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدركةً بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر" (رو ١ : ٢٠).

ولكن الله إذ هو الآب، استهدف شيئاً أكثر روعة. لقد استهدف أن

يمد طبيعة محبته إلى الكون المخلوق، بخلقه الإنسان على صورته ومثاله. وبمعنى آخر، أن الإنسان قد خُلق لكي يعكس في ذاته صورة الديناميكية الداخلية، الثالوث الإلهي، وهذه الديناميكية الداخلية قد أُعلنت لنا على أنها المحبة. (يو ٤ : ٨). وهكذا خُلق الإنسان بالمحبة في قلب كيانه، لقد خُلق كيانا مُحباً. ومن أجل هذا، نجد أن الإنسان، حتى على مستوى إنسانيته المخلوقة، لم يكن كاملاً بدون شخص آخر مثله يحبه. فلقد قال الله، *"ليس جيداً أن يبقى آدم وحده"* (تك ٢ : ١٨). لذا خُلقت حواء، لحماً من لحمه، وعظاما من عظامه، حتى أنهما معاً في وحدة الحب يمكن أن يكونا آدم، البشرية.

ومن أصعب الأشياء علينا في فهم الإنسان: قساوته. إنها صفة تكمن وراء كل خطية بشرية تقريباً. وأحياناً ما تكون ظاهرة وأحياناً ما تكون مخفية، أحياناً ما تكون جسدية وأحياناً ما تكون نفسية. إنها القوة الدافعة وراء شر اجتماعي طاغٍ مثل الخلاعة كما يؤكد أطباء النفس. وللخلاعة يجب أن يكون هناك ضحية، ولهذا، "لا ضحية – بلا خلاعة".

وبالرغم من هذا فنحن كل مرة نرى أو نختبر القساوة، نجد أنها لم تزل شيئا يسبب لنا صدمة عنيفة، لأننا حدسياً نعرف أن الإنسان لم يكن مُخططاً له أن يكون هكذا. ونحن نُسمي القساوة "لا إنسانية". فالإنسان، الذي نعرفه جيداً، خُلق لكي يحب. وهو يكون إنسانا فقط عندما يحاول

أن يكون صادقاً ربما مع نفسه في هذا الاتجاه.

> **ثانياً، سفر التكوين يوضح أن الإنسان قد خلقه الله ذاتا أو أنا.**

في (تك ٢ : ٧) نقرأ، *"وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض. ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسا حية."* وبعبارة أخرى، الإنسان لديه أنا أو ذات لأنه خُلق بهذا الشكل. إن هذا هو الشكل الذي قصد الله له أن يكون به. ومن الأهمية أن نعطي هذه الحقيقة وزنها الكامل، لأنه سيتبع ذلك بالضرورة أنه إذا كان الله قد صنع الذات، فلن يمحوها أو يبيدها. وإنما سيأخذ على نفسه أن يفديها ويجددها، ولكنه لن يدمرها. إلا أنه غالبا ما يبين وعظنا وتعليمنا، أن تدمير الذات هو هدف الله. ففي التقديس، على سبيل المثال، يهدف الروح القدس أن يمحو الذات الإنسانية فيحل محلها المسيح. وبالرغم من أن الإنسان يمكن أن يسلك ويعبر كل طرق العيش، فالذات، مثالياً، قد اختفت والمسيح قد حل محلها. وإن كان الأمر كذلك، فالمسيحي المقدس حقيقةً مُحيت منه كل فردية وكل تميز حتى يظهر المسيح وحده فيه.

وحتى لما كنت غير عالم بما يعيب هذا النوع من التعليم، شعرت بشكل ما أنه لم يكن متفقاً مع الحقائق. وقد أدهشني أن ما كنا نبينه بالوعظ بدا لي أنه ينتج نتائج عكسية تماماً على مستوى الممارسة. فعلى سبيل المثال، أكثر المسيحيين روحانية بين من عرفتهم كانوا أيضاً أكثر

الصادقين في تفردهم. لقد كانوا أناساً حقيقيين بما لا يدعو مجالاً للشك. والشيء المتشابه الوحيد بينهم هو أنهم مختلفين الواحد عن الآخر! إنني أفهم الآن أن تلك الفردية هي، في الحقيقة، من تدبير الله. لقد ذهب الخالق إلى أبعد الحدود غير العادية لكي يخلق كل واحد منا إنتاجاً مميزاً من قطعة واحدة، لن يكون أبداً منسوخاً مرة أخرى. وأنا الآن بصراحة، أتشكك في أي نوع من التدريب أو التعليم أو أساليب العبادة التي تحاول أن تجبر الناس على الدخول في قوالب مشتركة. والله لا يغير المسيحيين الروحيين إلى حزم من عشرات، حيث يفكر الكل مثل بعضهم ويصلون مثل بعضهم ويؤمنون مثل بعضهم ويتعبدون مثل بعضهم. إن هذا هو أسلوب الإنسان في إنتاج الجملة، وليس إبداع الله في عمله. إن هدف الله، كما تعلمته من العهد الجديد، هو أن يملأ الكون بتنوع لا نهائي يبقى في توافق تام، وهذا ما يسميه بولس *"حكمة الله المتنوعة"* (أف ٣: ١٠) ومن أجل هذا التوافق المجيد يحتاج الله أن يتم التعبير عن فرديتنا بالكامل، ولكنها تبقى في توافق مع فردية بعضنا بعضاً.

الهدف من الخلق

من الإعلانات الأساسية في الكتاب هي أن الله مثلث الأقانيم قد تواجد منذ الأزل في علاقة بين الآب والابن والروح القدس، وهذا يعبر بالكامل عن

الملء اللانهائي للكيان الإلهي. ويوحنا، بنوع خاص، يجاهد كي يعبر عن هذا من خلال محدودية اللغة البشرية. إنه يستخدم ثلاث كلمات بالغة الغنى تبين في مجموعها، بنوع من التأثير المجسم، شيئاً عن غنى كيان الله العجيب. ونجد الثلاث في (يو ١٧).

- الأول هو **الحياة**، "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو ١٧ : ٣).
- والثاني هو **المجد**، "والآن مجدني أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو ١٧ : ٥).
- والثالث هو **المحبة**، "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (يو ١٧ : ٢٤).

إن الإنسان الذي خُلق على صورة الله لم يكن فقط مرآة للديناميكية الموجودة بداخل الله: وإنما كان سيصبح **مشاركاً** لحياة ومحبة ومجد الطبيعة الإلهية. لقد كان هذا في قلب الله منذ البدء.

"... كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب" (أف ١: ٤- ٦).

إن هذا هو المجد الحقيقي الذي تُوج به الإنسان عند خلقه، *"وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله"* (مز ٨: ٥).

ولكن كيف كان للإنسان أن يشارك الله في هذا المجد؟ الإجابة هي أن الله قد وضع في باطن كيان الإنسان، آلية **المحبة** العظيمة. ولقد قُصد لتلك المحبة أن تفيض إلى الله، حتى يمكن لله، في مقابل ذلك، أن يشارك بمحبته وحياته ومجده الإنسان.

إن الله، بشكل ما، يعمل كل شيء ويوصي بكل شيء بما ينتهي دائما بنفع الإنسان لا نفعه هو. فغالباً ما نعتقد أن وصايا الله قد وُضعت كي ما تأخذ، ولكنها وُضعت دائماً لكي ما **تعطي**.

"فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه وتحبه وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي أنا أوتيك بها اليوم لخيرك" (تث ١٠: ١٢-١٣).

إن وصايا الله هي لصالحنا نحن. فعندما يوصينا بأن نحبه، فهذا لصالحنا، وليس لصالحه. وليس الأمر كأن الله يحتاج محبتنا، بل نحن الذين نحتاج أن نحبه وأن نحب به. فكل صحتنا وسعادتنا تعتمد على إشباع احتياجنا للمحبة. وإن لم ننجح في عمل هذا، سنقاسي بلا شك روحياً وذهنياً وانفعالياً وجسدياً.

الذات كآلية موجهة إلى هدف

إن غاية الله من الخلق كانت مشاركة طبيعته المُحبة مع الإنسان. لقد كانت هذه دائماً هي نية الآب المعلنة.

"لأن الذي سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين أخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٩).

كيف كان يمكن لهذا أن يتحقق؟ الإجابة هي أنه في تأسيس طبيعة الإنسان، خلق الله فيه القدرة على عمل هذا. لقد خلق الذات والذات هي آلية موجهة لهدف. إنها توَلِد في طبيعة الإنسان أي شيء تُركز عليه. لقد خُلقت هكذا. وليس هناك أي وسيلة أخرى يمكن أن تعمل بها.

فأيما أغلقت نفسها عليه ستوّلِده فينا. إنها تعمل بوعي وبلا وعي، متيقظة أو نائمة، لتنتج فينا نسخةً مما كان يشغلها. وفي آدم قصد الله للذات، إذ كانت موجهة تجاه شجرة الحياة، أن تنتج شبه صورة المسيح في الإنسان المخلوق. وبعبارة أخرى، أن الكلمة الإلهي كان عليه أن يصير جسداً في آدم وحواء.

الفصل الخامس عشر

الذات الساقطة

ماذا حدث بالفعل في الجنة؟

يمكننا أن نشعر مسبقاً أن شيئاً فظيعاً قد حدث للإنسان، شيء قد جعل الدوافع العميقة والقوية داخل طبيعته تعمل بأسلوب مدمر، بالرغم من أنها أصلاً كانت موضوعة لأهداف إبداعية. إن الإنسان ليبدو كآلة انقلب وضعها، ولكن محركها مازال يعمل، وعجلاتها تدور، وكباسها يضخ، ورافعتها تدور. ولكنها لا تذهب إلى أي مكان ولا تحقق شيئاً، لقد صارت خطرة على نفسها وعلى كل ما حولها. ونحن يجب أن نرجع إلى تكوين ٣ لنرى ما حدث بالفعل للإنسان الذي خُلق على صورة الله ومثاله. وفي التسجيل الكتابي للسقوط، نجد شيئاً عجيباً. الشيطان، أكثر كيان مركزي الذات في الكون، يأتي إلى حواء ويتهم الله بأنه أناني. فهو يقول "الله يريد كل ما يمكن أن يحصل عليه منكما. ولكن هل سيشارككما شجرة معرفة الخير والشر؟ لا يبدو أن هذا سيحدث". دائماً "*بل الله عالم*

أنه يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (تك ٣ : ٥). والاحتمال المُبهر الذي وُضع أمام حواء وصل إلى هذا : لماذا تضيعان محبتكما على الله الذي لا يُقدّرها؟ لتصلا إلى الثمرة المنوعة، **وستكونان آلهة أنفسكما**. وبهذا يمكن أن يكون نبع المحبة العظيم هذا الذي في داخلكما كله لكما.

إننا نسيء بقدر كبير فهم المشكلة الأساسية للإنسان إذا ما فكرنا بأن الخطية الأولى كانت مجرد العصيان، فالخطية كانت أولاً **ظلماً**، وليست عصياناً، بالرغم من أن العصيان أتى إليها. فأنت ترى، أنهما قد أخذا شيئاً خاصاً قال الله عنه "هذه لي. كل شجر الجنة لكما، ولكن هذه لي أنا فقط". إن الإنسان لم يكن ليقبل أن هناك شيئاً لا يقدر أن يحصل عليه لنفسه. فتخطى بدون عدل حداً رسمه الله. لقد تعدى، أخذ شيئاً لم يكن يخصه، لكي ما يشبع ذاته أو أناه هو. وإنك ترى نفس الشيء حتى في الأطفال الصغار. فأصعب درس يجب أن يتعلمه الطفل ليس الطاعة وإنما العدل، "لا يمكن أن تحتفظ بهذا، فهذا لا يخصك" أو "لا يمكن أن تحتفظ بكل الحلوى لنفسك، فبعضها للأطفال الآخرين أيضاً".

إن ثمرة شجرة معرفة الخير والشر قدمت تلك الإمكانيات الرائعة: الغذاء والمتعة والحكمة. وهذه تناظر الاحتياجات الحقيقية المخلوقة التي خلقها الله بداخل الإنسان: الاحتياج للحياة، وللحب، وللحكمة.

والخديعة كانت تكمن في حقيقة أن كل الأشياء لم تكن أبداً في شجرة معرفة الخير والشر. لقد كان يمكن الحصول عليها فقط من شجرة الحياة، التي هي المسيح، وليس من أي مصدر آخر.

"فيه كانت الحياة والحياة كانت نور للناس" (يو ١ : ٤).

"فاسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة طيبة" (أف ٥ : ٢).

"المُذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو ٢ : ٣).

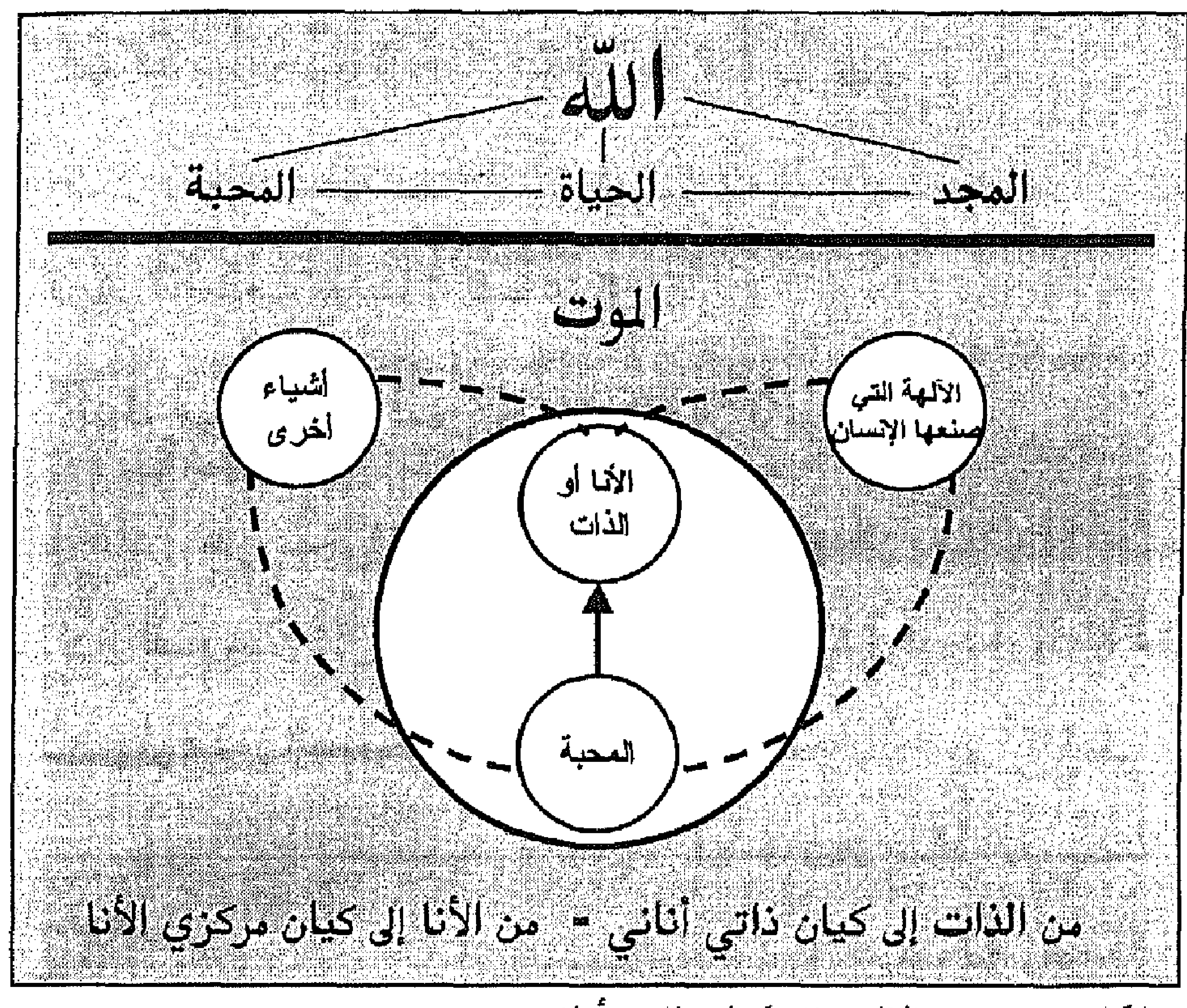
ولكن الأكل من شجرة الحياة كان يعني أن الإنسان يجب أن يحب الله من كل قلبه ومن كل نفسه ومن كل فكره ومن كل قدرته. وكان عند نقطة الاختيار هذه: المحبة التي تُعطى لله. إن الإنسان أُختِبر، وفشل.

آثار السقوط

لقد أثر السقوط جذرياً في كل بنية طبيعة الإنسان ونتيجةً لذلك، كل علاقاته الخارجية أيضاً. يمكنك أن ترى ذلك في شكل ١٦.

- **أولاً**، لقد حدث استثمار عميق للمحبة في الذات أو الأنا الإنسانية. صار الإنسان كياناً ذاتياً أنانياً. صار مركزي الأنا.

هـذا يتضـح مـن البـدء في تكويـن ٣ : ٦. كـانت الثمـرة شـهية للأكـل (لحـواء)، كـانت مبهجـة لعينيـها (هـي)، وكـانت مرغوبـة لتجعلـها (هـي) حكيمـة. والله لم يدخـل في الاعتبـار علـى الإطـلاق.



شكل ١٦ – من الذات إلى كيان ذاتي أناني

➢ **ثانياً**، وكنتيجـة مباشـرة لخطيتـه، فقـد الإنسـان عشـرته وعلاقتـه مـع الله. لقد سقط في حالـة مـن المـوت، و مُنـع مـن الدخـول إلى شجرة الحيـاة.

"وقـال الـرب الإلـه هـوذا الإنسـان قـد صـار كواحـد منـا عارفـاً الخـير والشـر. والآن لعلـه يمـد يـده ويـأخذ مـن شـجرة الحيـاة أيضـاً ويـأكل

ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها" (تك ٣: ٢٢- ٢٣).

إن هذا الطرد كان رحمة من الله . لأن الله الآن لو شارك حياته ومجده مع الإنسان، الذي يُركز محبته هذا التركيز على ذاته ، كان يمكن أن يُضخم الأنا الإنسانية لتصل إلى أبعاد شيطانية. كان يمكن أن يكون الإنسان تجسيداً للشيطان، صائراً خارج حدود إمكانية الخلاص.

لهذا طُرد الإنسان من الجنة حتى يمكن أن تُحل مشكلة خطيئته. فدخوله في المستقبل إلى شجرة الحياة يمكن فقط أن يتم تحقيقه عن طريق شجرة أخرى، شجرة الجلجثة.

- ثالثاً ، الإنسان الذي قُطع عن العشرة الحية مع الله، قد أُنتزع أيضاً عن الحصول على المعرفة الحقيقية به. لقد تردّى في عبادة مفاهيمه المشوهة عن الله.

"لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي. وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء. وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات" (رو ١: ٢١- ٢٣).

والإنسان إذ خُلق على صورة الله، يخلق الآن آلهةً في شبه صورة الإنسان. وبعبارة أخرى، أصبح يعبد إسقاطه للأنا التي له. والتاريخ

الإنساني تسوده فوضى الآلهة الفظيعة التي خلقها الإنسان: آلهة ظالمة، إباحية، مشوهة، فاسدة، مخلوقة من أعماق كيان الإنسان المُحطم المضطرب. وأسوأ من ذلك أنه إذ ركز على تلك الآلهة المشوهة، أصبح يوّلِد بشكل متزايد هذا التشويه في ذاته. فبني الإنسان *"ساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً"* (إر ٢ : ٥) ماذا يمكن أيضاً أن تفعله الذات؟

- **رابعاً**، وليس فقط أن الإنسان في حالته تلك من مركزية الذات غير قادر على محبة الله، ولكنه أيضاً قد فقد القدرة على محبة الآخرين بطريقة غير نفعية موجهة للآخرين.

فنحن نحب الآخرين حتى يمكن أن يحبونا نحن ويسدوا احتياجنا للمحبة. وإن كانت المحبة غير متبادلة سنشعر بأننا خُدعنا، وقد أُزدرَى بنا ورُفضنا. وآجلاً أو عاجلاً "سنهجر" تلك العلاقة التي من طرف واحد حتى نبحث عن أخرى إلى حيث سيكون بعض العائد لاستثمارنا للمحبة لصالح ذواتنا.

وهذا البحث عن الذات الذي يبلغ أقصاه يُعترف به من كل الذين يلاحظون الطبيعة الإنسانية ملاحظة عامة. كتب مؤخراً طبيب نفسي قائلاً "عندما يقول شاب لشابة "أحبك" فما يقوله في الواقع هو "أريدك – أحب نفسي!" ويقول كاتب آخر أن كل علاقة حب إنساني ما هي إلا تعبير عن ثلاث رغبات: "دعني أفعل ما أحب. اعطني ما أريد. أثبت لي أنني

شخص ذو قيمة".

- خامساً، إن الذات موجهة نحو هدف. لكنها قُطعت عن هدفها الحقيقي، أي عن شجرة الحياة. ومازالت تعمل بالطريقة الوحيدة التي يمكن بها أن تبحث عن هدف وتؤدي هذا الهدف في الطبيعة البشرية. تُرى أي هدفٍ مُتاح للإنسان الآن؟ إنه مجرد الانطباعات والمشاعر والاستجابات التي نختبرها في علاقاتنا مع الناس الآخرين. إن **هذا هو أصل الصورة الذاتية**، مفهومنا عن ذواتنا الذي اكتسبناه في البدء كأطفال صغار ونضيفه إلى كل حياتنا. لقد تم بناؤه من مصادر مختلفة: الأسلوب الذي يعاملنا به والدينا، سواءً كأطفال شعرنا بأننا محبوبون ولنا قيمة أو غير ذلك. النجاح أو الفشل الذي نختبره في المدرسة، مع الصداقات، وما إلى ذلك. حتى صورة جسدنا، سواءً كنا بالغي البدانة أو قصر القامة، أو الطول.

ولكن لأننا الآن نركز على أناس معيبين مشوهين في عالم معيب مشوه، هكذا فإن صورتنا عن ذاتنا تكون أيضاً معيبة. إنها ليست الصورة الدقيقة عن ذواتنا. إنها تعكس مشاكل والدينا وأصدقائنا على قدر ما تعكس صورتنا نحن، ولكنها الصورة الوحيدة لأنفسنا التي علينا أن نمضي بها في حياتنا. إن قوة صورة الذات هي أننا نميل لأن نحياها بأمانة ونعمل جاهدين لأن نجعلها صورة صادقة لنا. ولهذا فإذا ما كانت صورتنا عن

ذواتنا سلبية، أو إذا ما شعرنا بفشل، أو اعتقدنا أننا بلا قيمة، ونظرنا لأنفسنا كنفس ساقطة فالذات ستعمل جاهدة لأن تنتج شخصاً يفشل ويبدو كالساقط وبلا أية قيمة.

- وأخيراً، فالكون المتمركز حول الذات الذي أغلق الإنسان نفسه فيه صار مصدراً خصباً للخوف والقلق والإحباط. فأي شيء يبدو خطراً أو مهددا للذات يُدخِل الخوف أو القلق أو الغضب أو الأذى. لماذا؟ *"لأنه حيثما يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً"* (لو ١٢ : ٣٤).

وبالمثل فنحن نجد أنه من الصعب أن نقبل الفشل. إننا نطلب، بلا وعي تماما، معايير إلهية للكمال، لذواتنا. وعندما نفشل، نكون عرضة للإحباط والكآبة وفي أقصى الحالات الانسحاب الكلي.

ماذا عن المسيحي؟

إننا نريد أن نقول بوضوح تام إن التحول أو الميلاد الجديد لكثير من المسيحيين وربما كلهم، لا يحل في ذاته مشكلة التركيز أو المحبة العميقة للذات. إن هذه المسألة اختبار شائع ولا نحتاج أبداً لإثباتها، ولكننا نحتاج أن نرى لماذا هي هكذا، لكي ما نجد الإجابة.

إن الإنسان غير المُجدَد تتم صحوته أولاً لحاجته بواسطة الروح القدس

إذ يأتي بالإقناع لضميره. والضمير هو تلك الوظيفة التي تقوم بها روح الإنسان لتحكم على السلوك، ولكن الضمير يكون أكثر حساسية بكثير للأفعال الخاطئة أكثر من الدوافع الخاطئة. وقبل التجديد، يجعلنا الضمير نحس بالذنب على الخطايا التي اقترفناها، وعندما نتوب ونرجع بالإيمان إلى المسيح لأول مرة، تكون المغفرة على هذه الأشياء هي أكثر ما نشعر به.

إلا أن المشكلة الحقيقية هي الاستثمار العميق لحب الذات الذي يحدث في مستويات اللاوعي. وهذا يؤثر أساساً على دوافعنا. وبعبارة أخرى، نحن نعمل أشياءً صحيحة في ذاتها، ولكننا نعملها من أجل أسباب خاطئة تبحث عن الذات. وضميرنا لا يكون في أول الأمر حساسا لتلك الحقيقة. والعقل البشري لديه، علاوة على ذلك عدته الكاملة من آليات الدفاع النفسية اللاواعية التي تعمل لكي ما تمنع الضمير من تحديد المشكلة، ومن تعرضنا إلى إدراك يؤلم الذات.

دعنا ننظر على بعض أسلحة الأنا تلك التي قد طورناها بداخلنا.

١ – **التبرير العقلاني**: وهو يعني، اختراع أسباب معقولة زائفة لشيء قد قررنا مسبقاً عمله. فبيلاطس إذ غسل يديه معلنا برائته من دم يسوع، كان يبرر موقفه عقلانياً. والحقيقة أنه كان جباناً. إذ خشي قول اليهود *"إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر"* (يو ١٢ : ١٩).

٢ – **الإسقاط**: هو آلية أخرى من آليات الدفاع. فنحن نرى بوضوح في

الآخرين نفس المشاكل التي نعاني منها نحن ولكننا لا نقدر على مواجهتها. فالشخص الذي له روح منتقدة يظهر وكأنه دائماً يشكو من نقد الآخرين له، والشخص غير المحب لا يرى إلا نقص المحبة في الآخرين وهكذا. إن هذا هو الدافع الرئيسي وراء مَثل القذى والخشبة. فالإنسان الذي عنده خشبة في عينيه يكون خبيراً في رؤية القذى في عيون الآخرين.

٣ - **الكبت** هو الأسلوب الثالث، والأكثر خطورة. فالإدراك غير المرضِي الذي لا نجرؤ على مواجهته يُدفَن عميقاً جداً حتى أننا ننسى في الحقيقة أنه موجود على الإطلاق.

"لأن قلب هذا الشعب قد غلظ. وآذانهم قد ثقل سماعها. وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم" (مت ١٣ : ١٥).

إلا أن ما قد كُبت أو دُفن، لم يزل حياً ونشطاً. وبرغم أنه يكون منسياً من العقل، إلا أنه يُفرّغ مرارته في مجرى حياتنا.

إلا أن الله، ليس معنياً بعمق بأفعالنا فقط، وإنما بدوافعنا. فأنقياء القلب هم الذين سيرون الله. وبر الملكوت الذي يجب أن يزيد على بر الكتبة والفريسيين هو بر النوايا والدوافع. ولهذا، فإن الاختبار الشائع للمسيحيين هو أننا بعدما نولد من جديد وبعدما نصير أبناءً لله يبدأ الروح القدس في أن يسبر غور شخصيتنا ليتعامل مع القنوات الخفية لدوافعنا وهنا نصبح

على وعي لشيء أكثر من مجرد الخطية. إننا نصبح واعين للمبدأ الأناني الذي يبدو أنه يسمم كل أعماق كياننا. استمع إلى صرخة الألم التي صاح بها بولس في رومية إصحاح ٧:

"... ليس ساكن فيّ، أي في جسدي، شيء صالح ...، حينما أريد أن أفعل الحُسنى، أن الشر حاضر عندي ... ناموس الخطية الكائن في أعضائي ويحي أنا الإنسان! من ينقذني من جسد هذا الموت؟"

وهناك إجابة. أجل، فليتمجد الله! هناك إجابة! ولكننا يجب أولاً أن ندع الروح القدس يعلن احتياجنا. فهو وحده يمكن أن يخترق دفاعات الأنا، لأنه له مدخل إلى كل مستويات العقل، واعيةً وغير واعية. وفي الحقيقة إن ذلك بالتحديد بسبب أن جذر المشكلة عميق جداً في الشخصية لدرجة أنه يخرج خارج حدود قوة العقل حتى لا يفعل أي شيء حياله. ولهذا السبب فمن العبث أن ينادي الوعاظ شعبهم لكي يسلكوا بلا أنانية ما لم يوضحوا لهم كيف يفعلون ذلك. فالضغط الشديد من منصة الوعظ قد يجعل الناس يشعرون بالذنب ويجعلهم يحاولون أن يسلكوا بلا أنانية. ويمكن حتى أن يقوموا بأعمال تبدو بعيدة عن الأنانية. ولكن هذا لا يزال يترك بلا إجابة تساؤلهم عن سبب اختيارهم ذلك الفعل ليفعلوه؟ هل هو انطلاقاً من المحبة غير الأنانية ومحبة الآخرين أو هروباً من الإحساس

بالذنب؟ من المحبة الأنانية أم من أجل التوافق مع المفهوم المقبول عند المسيحي؟ كثير من الدوافع وراء الأعمال غير الأنانية يمكن أن تكون هي نفسها أنانية في الأساس.

وهذا الاكتشاف يضع المسيحي الجاد منفتحاً على تشكك ذاتي إزاء نقاء دوافعه. هل أنا أخدم حقيقةً المسيح من أجله هو أم من أجل دوافع أنانية تحقق لي الأمان؟ هل أنا أحب الله حقاً أم إنني أقول هذا فقط لكي ما يكون مُنعِما عليّ؟ ويمكن أيضا أن نمر بآلام امتحان النفس وإهانتها. دعني أقول لك شيئاً رائعاً، الله يريدنا أن نكون متيقنين من جهة دوافعنا، حتى نعرف متى نكون راغبين بصدق في إرضائه وحتى نعرف أين يتسلل سعينا وراء ذواتنا. استمر في القراءة لتجد وسائل هذا التحرر أيضاً.

الفصل السادس عشر

تحرير الذات

لقد بدأنا نرى كيف يكون تمركز الذات، الذي جاء به السقوط، عميقاً واستعبادياً. وكيف أنه يُدعم في كل جيل بالاختيارات الأنانية. ومن الواضح أن إجابة السؤال، يجب أن تكون جذرية بالمثل. قال يسوع:

"إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن من أراد أن يُخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها" (متى ١٦: ٢٤-٢٥).

إن يسوع يقول بكل صراحة أن الإجابة على مركزية الذات أو الأنانية هي الصليب.

الصليب   تهديد أم خلاص؟

عندما كنت أصغر، كنا نسمي رسالة الصليب إذ تُطبَّق على الحياة

المسيحية "خطاب تحدي". وهذا يعني أنها غير مريحة للاستماع إليها وأنك تنساها سريعاً بعد ذلك! فنحن بشكل ما نجد الصليب موضوعاً يهددنا. فالصليب ليسوع؟ نعم، هذا رائع ونحن نشعر بالامتنان له أنه عَبر به إلى الخلاص. أما الصليب لنا؟ فهذا شيء مختلف تماماً!

وبطرس، بلا شك، كان له نفس رد الفعل عندما بدأ يسوع، يبين للتلاميذ أنه ينبغي أن يصعد إلى أورشليم لكي يُصلَب (متى ١٦). فلقد أخذ الرب جانباً وبدأ يوبخه وأنا أعتقد أن بطرس يمكن أن يكون فكر في الأمر هكذا، "إن هذا لشيء سيء. فبعد ذلك يُحتمل أيضاً أن يصلبوا تلاميذه وهذا يعني، أنا أيضاً!"

إن هناك أمراً في الصليب يهدد شيئاً ما في داخلنا. **لكن ما هذا الذي يهدده الصليب؟** الذات – أم محبة الذات؟ إن هذه لنقطة محورية يجب التفكير فيها. فالذات كذات ليست المشكلة: إنها الذاتية. إن الأمر ليس في أننا ذات: وإنما في أننا الآن ننتسب إلى الذات بأسلوب خاطئ كلية. فلقد أصبحت الذات بدلاً من كونها وسيلة لنا كي نُعبر عن المحبة، غاية وهدف المحبة نفسها.

إن تركيز المحبة هذا على الذات، كغاية وهدف، هو الذي يجب أن نتعامل معه، حتى يمكن أن نكون أحراراً في أن نحب الذات بالطريقة التي قُصِد لها أن تُحَب بها، أي كوسيلة تؤدي إلى غاية. وتلك الغاية هي

أن نحب الرب إلهنا من كل قلبنا وكل نفسنا وكل عقلنا وكل قدرتنا ، وأن نحب جيراننا كأنفسنا.

ولكن يسوع أوضح أيضاً أنه لا يوجد إلا شيء قاسٍ مثل الصليب يمكن أن يحطم هذا التركيز العميق لمحبة الذات. واللغة التي يستعملها يسوع قوية جداً: "ينكر" وهي تعني حرفياً "يتخلى تماماً".

ولكي نفهم المبدأ الذي نحن بصدده، فلنرجع إلى قصة إبراهيم في سفر التكوين ٢٢. تذكر كيف أعطى الله إبراهيم ابناً في شيخوخته،

"خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق وأذهب إلى أرض المُريا وأصعده هناك محرقةً على أحد الجبال الذي أقول لك" (تك ٢٢ : ٢).

ما الذي فعله الله؟ اسحق، كما ترى، لم يكن البذرة الموعودة. لقد كان الوسيلة التي كانت البذرة ستأتي من خلالها، كما يقول لنا بولس في غلاطية ٣، لأن البذرة كانت المسيح. وبعبارة أخرى، كان اسحق وسيلة، وليس غاية. لقد كان الله يتعامل مع إبراهيم كرجل إيمان. وكان عليه أن يُخلص إبراهيم من التركيز على اسحق كغاية، عليه أن يراه كوسيلة تؤدي إلى الغاية التي كان يراها الله. كيف صارع إبراهيم مع المشكلة التي رُويت لنا في عبرانيين ١١. لقد كان على إبراهيم أن يقدم جسد ابنه اسحق محرقة. ولأن الوعد كان سيأتي من خلال اسحق، فالله كان يجب أن يقيمه من الرماد. ونحن نعرف ما حدث بالفعل. فعندما وصل إبراهيم إلى

النقطة التي رفع فيها السكين ليذبح اسحق، تحطمت في قلبه التركيبة الكامنة لمشاعره. تحرر. فاسترجع اسحق "من الأموات"، وتمتع بوجوده حتى يوم موته.

وهذا هو غرض الله فينا أيضاً، أن يحررنا من التركيز على محبة الذات كهدف أو كغاية حتى نستطيع بدون خطر، أن نحب ذواتنا بحريةٍ كوسيلة يمكن أن تتحقق من خلالها غاية الله.

أي صليب؟

والسؤال الآن يفرض نفسه: أي صليب يمكن أن يتعامل مع الأنانية المتوغلة في حياتي حتى أتحرر؟ إن تكلمت مع بعض الناس عن الصليب في حياتهم يستاءون، فصليبهم يحبطهم ويضايقهم. وبالنسبة لآخرين، فإنهم يحتملون الصليب آملين أنه سيجعلهم، بشكل ما، يتقدسون أكثر. فبعض الناس يعتبرون المرض كصليب، أو فقد عزيز لهم كصليب، أو قلة الرزق أو الظروف الصعبة التي يُجرّبون فيها كصليب.

إذا كنت تأمل أن واحداً من تلك الصلبان سيحررك من الذات، أو سيجعل موكزية ذاتك أقل، فسأكون حقا آسفاً لك. لن يقدر أي شيء منها على هذا. لا شيء. فالضيقات والمرض يمكن، في الحقيقة، أن تجعلنا أكثر تمركزاً حول ذاتنا أكثر من قبل، على عكس ما قادنا البعض للاعتقاد. خذ

على سبيل المثال، مزمور ١٠٢ الذي هو صلاة لإنسان متألم طلب الرحمة. نجد أن الأعداد الإحدى عشر الأولى يُستخدم فيها الضمير الشخصي، أنا وإياي ولديّ، ما لا يقل عن ٢٨ مرة، بمتوسطمرتان ونصف في كل عدد. أين مركز انتباهه؟ على ذاته. ضع في مقابل هذا بداية مزمور ١٠٣ الذي هو مزمور تسبيح لراحم الرب: *"باركي يا نفسي الرب ... باركي اسمه ... لا تنسي كل حسناته"*.

نحن لا نقدر أن نصلب ذواتنا. لا نقدر أن نضع ذواتنا على الصليب. لقد حاول البعض أن يصلبوا ذواتهم بقسوة لدرجة أن الأمر كاد ينتهي بهم إلى إفساد ذواتهم بالنسبة للعمل العادي في الحياة. علاوة على ذلك فإننا لو استطعنا أن نصلب ذواتنا، فإن النتيجة ستكون أكثر دماراً، لأننا في هذه الحالة سنبني ضريحاً لذاتنا التي استشهدت ونتعبد لها هناك كل البقية الباقية من عمرنا! وأحياناً ما يفعل الآباء والأمهات ذلك، إذ يضحون بأنفسهم من أجل مستقبل أطفالهم، فيدمرون علاقات الأسرة بأكملها بتذكير أبنائهم باستمرار بما أعطوه لهم.

ليس هناك إلا صليب واحد يمكنه أن يُحررنا من ذواتنا، وإذ يفعل ذلك يُحرر الذات لكي تكون هي نفسها، وهذا هو صليب يسوع.

في الجنة

إن مشكلة أنانية الإنسان بدأت في الجنة، جنة عدن، والحل وُجد في جنة أخرى، بستان جثسيماني.

كنت أتعجب في أغلب الأحيان من بعض الظواهر العجيبة لاختيار يسوع عندما أتى إلى جثسيمان. لقد حزن وأكتئب. كان حتى على وشك الموت. ويخبرنا مرقس أنه كان *"في دهش شديد"*. وكنت أتعجب ماذا أدهش يسوع في بستان جثسيماني. ليس الصليب، بالتأكيد. فلقد كان يعرف هذا دائماً. فكل حياته كانت تتحرك تجاه تلك الساعة، ساعة رفعه وقت ذهابه إلى الآب. وبعد ذلك كانت هذه الصلاة الغريبة، *"لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت"*، التي لم يصليها مرة أو مرتين بل ثلاث مرات، وفي حالة من المعاناة العقلية والمعنوية لدرجة أن عرقه نزل كقطرات دم. ماذا كان ذلك الصراع؟ لقد كان يسوع دائماً حتى هذه النقطة واثقاً للغاية من قدرته على تحقيق مشيئة الآب، *"لقد أعلن أنه يعمل مشيئة الآب"*. ولكنه الآن في النهاية يواجه صراعاً عظيماً لكي ما يستسلم لإرادته.

والحقيقة أننا هنا نقف في عالم الأمور الأبدية التي ستبقى إلى الأبد فيما وراء ما يمكن أن تدركه قدراتنا كلية. ولكنني أعتقد أن هناك شيئاً ما حيوي جداً نحتاج أن نحاول فهمه، وأساسي جداً لكل خبرتنا لدرجة أنه يمكن أن يعوض مجهود الحصول عليه. دعنا نرجع إلى الوراء قليلاً.

لقد كان لدينا فرصة للرجوع أكثر من مرة إلى الإعلان الذي في التجسد. فعندما صار الكلمة جسداً، الإنسان يسوع، بدأ يحيا في علاقة مع الآب والروح القدس أختبر فيها حياة ومحبة ومجد الله. ولقد رأينا أن كل شيء فعله يسوع في بشويته فعله كإنسان مملوء من الروح القدس. وكل شيء عرفه من الله عرفه بإعلان من الروح. لقد فعل هذا، لا لكي يبين لنا شيئاً، ولكن ليشاركنا شيئاً. لذا فهو عندما جاء إلى الصليب، أصبحت بشويته الشخصية بشويةً جامعة. فاتحدت مع كل من يؤمن به. فلقد قال، *"وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع"* (يو ١٢ : ٣٢).

تذكر هذا الاستنتاج فيما قام به يسوع في (يو ١٣ : ٨) : *"إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب"* وبسبب توحدنا فيه، أصبح موته هو موتنا. فنشترك في قيامته ونشترك في قوته.

ولكن هذا التوحد له معناه بالنسبة ليسوع. فإذ صار فادياً لنا، أخذ على الصليب أكثر من مجرد ذنب خطيتنا. أخذ طبيعتنا الخاطئة. *"لقد جعل الذي لا يعرف خطية خطيةً لأجلنا"* (٢كو ٥ : ٢١).

وفي جنة عدن، أكل الإنسان من شجرة معرفة الخير والشر وفقد المدخل إلى شجرة الحياة. وفي بستان جثسيماني، اختبر ابن الله وابن الإنسان الذي بلا خطية ثمرة تلك الشجرة الميتة، حتى يعطي الإنسان طريقاً مرة أخرى إلى شجرة الحياة.

ماذا نعني بهذا؟ ليس أن يسوع قد أخطأ، لا، على الإطلاق. إننا نقصد أن يسوع في البستان صار بالاختبار، واعياً تماماً في ذاته للأنانية المتأصلة في الطبيعة البشرية التي جاء ليحررها. وهذا ما أدهشه. لقد اندهش، وحزن عندما اكتشف مدى عمق واستعباد مركزية الذات المتمردة داخل البشرية التي جاء ليفديها. تلك الأنانية تدفقت خلال كل طبيعة الإنسان من القمة إلى القاع، تنقل عدواها إلى كل شيء فعله، فصار الإنسان مولوداً في الظلم، مُتبنيا بأجيال من الطاعة الاستعبادية، قاسٍ كالصلب عنيداً.

لقد كانت تلك هي الإرادة الأنانية الجذرية للبشرية المتمردة التي صارعها يسوع في بستان جثسيماني. كانت تلك هي الإرادة التي أحناها ليخضعها لإرادة الله. كان هذا صراعاً يتعدى حدود الفهم. وكل ما نعرفه أنه تألم وصار عرقه كالدم، وجاء ملاك يقويه قبل القيام بهذا. ولكنه فعل ذلك، في ذاته وبذاته، من أجلنا، فعل ذلك، حطم التركيز العميق المتمركز حول الذات الذي بداخل طبيعة الإنسان، فجعل الذات في النهاية تختار إرادة الآب، وحررنا من الأنانية المستأصلة.

لقد علم يسوع بوضوح أنه بشكل ما كان يجب أن يعبر ألم الصليب كإنسان ومن ناحية طبيعته الإلهية كان بلا عيب بلا تغيير. فلو كانت بشريته قد تحطمت في الجلجثة، لما كان ليتغير أي شيء في الله. لا شيء يمكن أن يتغير في الله. الكلمة، الأبدي، كان في تلك الحالة سيرجع إلى

السماوات إلى يمين الآب، ولكننا نحن سنكون ضعنا بعيداً عن الفداء. كان على يسوع أن يعبر الجلجثة كإنسان، حتى يجعلنا نعبر نحن. وعندما جاء من صراعه في بستان جثسيماني ورأى التلاميذ نياماً، كان هذا بلا شك أسوأ ما في تجربته. إنني اعتقد أن الشيطان قال له هناك، "لن تفلح أبداً. لقد صُنعت من تلك البشرية نفسها مثلهم وانظر، لم يقدروا حتى أن يبقوا ساهرين من أجلك" ولكن مجداً الله! فلقد عبر كل هذا، عبر كل هذا كإنسان، ولذلك عبرنا نحن. ولأنه يحيا فنحن نحيا أيضاً.

عمل الصليب وعمل الروح

لقد قلنا مراراً إن إجابة الله على مشكلات الطبيعة البشرية تكمن في عمليتين إلهيتين لا تنفصلان: عمل الصليب، وعمل الروح القدس. دعنا نرى كيف يلبي هذا التدبير المجيد حاجتنا الحالية.

قد أوجد الصليب طريقةً تحطم تركيز المحبة البشرية على الأنا. فقوة وسلطان ذلك التركيز ينتهي عند الصليب،

"مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غل ٢ : ٢٠).

وعندما نتخلى على أرض الجلجثة، عن حق الذات في الحكم، فإننا

نصبح أحراراً من قوتها الاستعبادية. لذا فالذات يجب أن تأتي إلى الصليب، لا لكي تُدَمر وإنما لكي تتخلى عن حقها غير الشرعي في الحكم.

كيف يمكننا بذلك أن نجعل الصليب يعمل في هذا الموقف؟

١. يجب أن يكون هناك فعل **إنكار**، يمكننا فيه أن نجرد تماماً **الذات** كهدف لمشاعرنا وكمركز حاكم لحياتنا. فنحن، **الذين** أعطيناها موضع السلطان، ويجب أن ننزلها، بأنفسنا، عن عرشها.

يجب أن تكون على بينة بالنسبة لهذا. فبدون عمل المسيح على الصليب، ليس هناك وسيلة يمكن بها أن نهزم سلاح الأنا (أو الأنانية) ونخرج من تحت قوتها الخادعة الغادرة، ولكن بدون موافقة إرادتنا، ستبقى نصرة الجلجثة غير فعالة بالنسبة لنا.

٢. يجب أن نتعرف على عمل الجلجثة ونقدره بحيث يتمم هذا الخلاص ويتعامل مع هذه الأنانية المتأصلة في طبيعتنا.

وهذا يمكن أن يكون بعداً جديداً لعمل الصليب من أجلك. دعنا ننطلق من ما نعرفه مسبقاً كجسر يوصلنا إلى ما لم نعرفه بعد. عندما أتيت إلى الصليب بخطيئتك وذنبك أدركت أنك بلا عون حيال ذلك لأقصى درجة. ولكنك أدركت أيضاً أن يسوع على الصليب كان، قد تعامل مع ذنبك وخطيتك. وهكذا سلمتهما وفي ثقة بسيطة وقبلت غفرانه وتطهيره. فماذا اكتشفت الآن؟ إن هذا ما تحتاجه فالصليب يعطيني ضميراً طاهراً. فأنا حر

من الدينونة، وقوة الخطية الاستعبادية قد تحطمت في حياتي.

وتحت هذا يتعامل الصليب مع جذر الخطية، الذي هو الأنانية المتأصلة، بنفس الطريقة تماماً. إنني لا يمكنني أن أتحرر من مركزية الذات. ولكن الصليب يحررني منها. وإنني أنال هذه الحرية بنفس الأسلوب الذي نلت به حريتي من الخطية والذنب.

وعمل الروح القدس له أيضاً جانبان:

- أولاً، إنه يُمَكّننا من أن نجعل يسوع رباً. فإنه الوحيد الذي يقدر على ذلك، لأن خدمته الأساسية هي أن يمجد يسوع ويعلن الربوبية الجوهرية التي تنتمي إلى طبيعته. إن عرش قلبي لا يمكن أن يبقى فارغاً. لقد خُلق لكي يكون مشغولاً. وأنا اكتشف من خلال الروح القدس أنه قد خُلق لكي يكون مشغولاً بالرب يسوع المسيح.
- ثانياً، الروح يفيض بحب الله في قلوبنا. وسنصل إلى تدفق علاقة الثالوث التي قوامها الحب والحياة والمجد، التي خُلقنا من أجلها. فالمحبة لله ومحبة الله تفيض من خلال الذات، خروجاً إلى الله وخروجاً إلى الآخرين. الآن نستطيع أن نحب انطلاقاً من الامتلاء، لا انطلاقاً من الحاجة. الآن نحتلج آخرين لكي نحبهم حتى نُفَرّغ شحنة محبة الله التي في قلوبنا، لا لنحصل على المحبة التي نحتاجها.

إن أكثر ما يترك تأثيراً علينا إذ نقرأ عن شهادة هؤلاء الذين جاءوا إلى

مرحلة تسليم الذات هذه، هو ما يتبع ذلك من محبة إلهية فياضة: المحبة كحقيقة ملتهبة والتي أحياناً ما تغمرنا بضخامتها، محبة لا نؤمن بها فقط بالعقل وإنما نمارسها بكياننا الكلي، بكامل كياننا.

ويبدو أن الله ليس قانعاً بمجرد قبول محبتنا نحن بالإيمان. إذ مطلوب منا باستمرار أن نحبه من كل قلوبنا وكل نفوسنا وكل عقولنا وكل قدرتنا. لماذا؟ لأن الله يريدنا أن نختبر تلك المحبة. وبنفس الطريقة أجد نفسي مقتنعاً أن الله لا ينوي لنا أن نأخذ محبته هو بالإيمان فقط. إنه يريدنا أن نختبرها بكل كياننا.

فلماذا إذن، لا نعيش اختبار هذه المحبة في أغلب الأحيان؟ يمكن أن تكون هناك أسباب مختلفة، ولكن السبب الأكثر شيوعاً هو أن الذات مازالت تعترض الطريق، وتسعى لأن تكون الهدف، إنها تحاول أن تحصل وتتمسك بأشياء لنفسها. إن الله برحمته واهتمامه بنا لن يسمح لها بذلك. فلتترك الذات قاعة العرش إلى جناح الخدم حيث يجب أن تكون، وستصبح في مكانها المناسب تماماً: قناةً تتدفق من خلالها المحبة الإلهية، في مجرى لا ينتهي، لأن دافع قلوبنا الآن طاهر، فربوبية يسوع تصبح واقعا في حياتنا. والربوبية التي "تعمل مرةً وتتوقف مرةً أخرى" التي كانت موجودة من قبل، كانت في الحقيقة لا ربوبية على الإطلاق، لأن الذات كانت دائماً، بغض النظر عن النوايا الواعية، تعتلي العرش.

الفصل السابع عشر

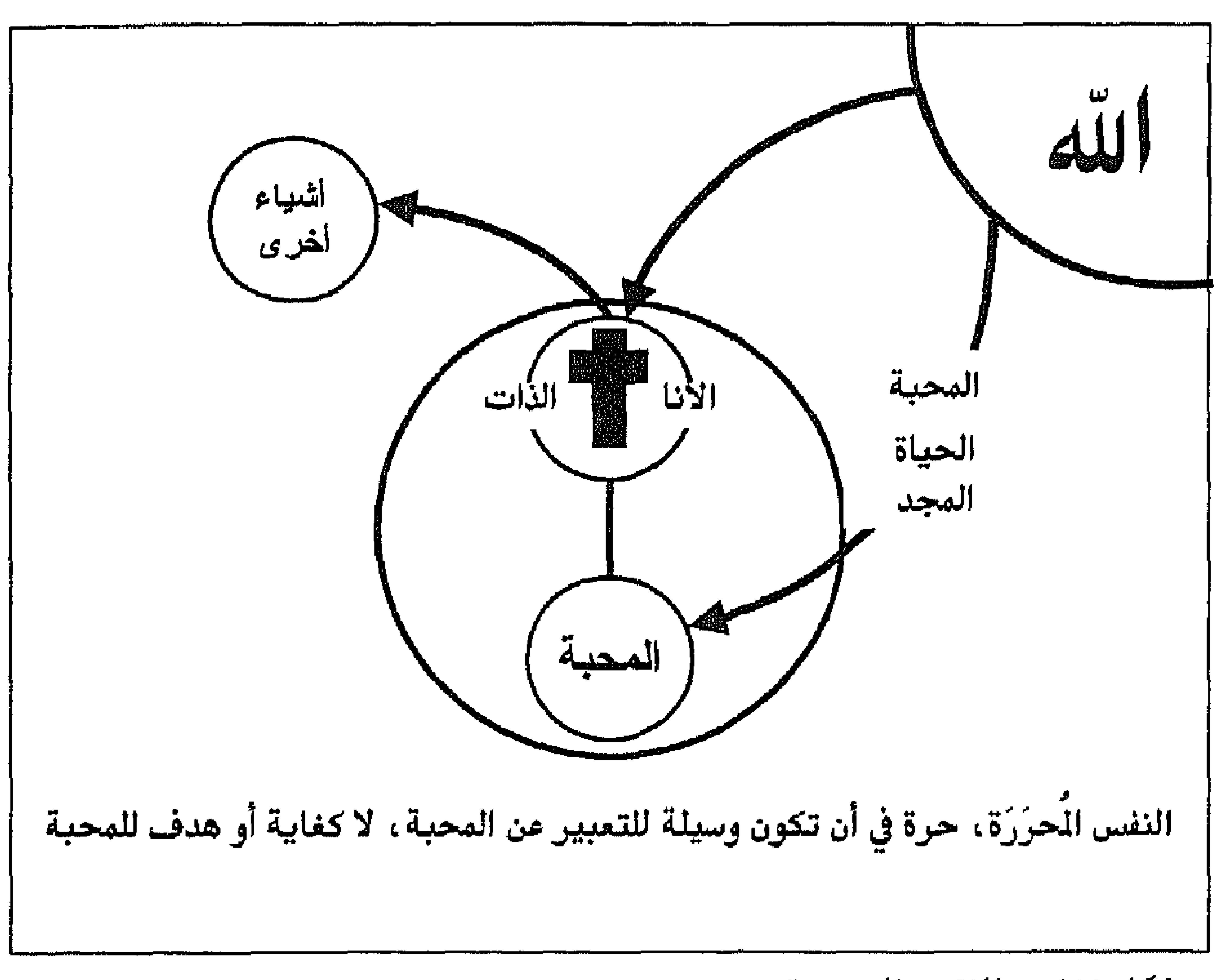
الذات المحررة

والآن يمكننا أن نكتشف أننا لسنا فقط قد حُررنا من الذات، ولكن الذات أيضاً قد تحررت. إن الهدف من إنزال الذات عن العرش ليس محوها، ولكن تكميلها. فبعد ما *"ضيعنا"* حياة ذاتنا، نجدها الآن. إذ وُضعت في علاقة صحيحة، وقد أصبح أمامها عمل مجيد لتنجزه.

لكن، **ليس هناك طريقة لتجنب الصليب.** فلو حاولنا من خلال الطرق الإيجابية التي تحترم الذات مع حياة ذاتٍ لم تزل تعتلي العرش، فنحن سنكون بالتأكيد متجهين إلى كارثة. وهناك الكثير جداً من أفضل وأصدق ما يُكتَب ويُعلَم اليوم عن الاتجاهات الإيجابية إزاء الذات وكلها أمور يجب أن تُهمل. لأنها لو كانت تأمل في أن تأتي بنجاح بعيداً عن الصليب، فسيُحكَم عليها بالفشل. وإذ تمم الصليب عمله، والذات قد حُررت حتى تكون وسيلةً لا غاية، ستصير الحرية الحقيقية ممكنة.

الحرية من الشعور بعدم الأمان

إن كل إنسان لديه احتياج لأن ينتمي لشيء، الاحتياج للمعنى، والاحتياج لأمان معقول.



شكل ١٧ – النفس المحررة

وإن تأملت شكل ١٦، فسترى أن الحياة مركزية الذات بها عدم أمان أساسي متأصل. ولا يمكن أن يكون هناك شعور بالانتماء لأن الحياة تكون منغلقة على نفسها. فهناك غياب للمعنى لأن الأنا هي المركز الكلي لكونها الصغير. وليس هناك أمان لأن هناك اختبارات خارجية كثيرة جداً تُفَسَر

على أنـها تـهديد للـذات، بسـبب اسـتثمار المحبـة الضخـم وغـير المتسـق لصالحـها. ولكـن عندمـا تتحـرر الـذات تصبـح قنـاة للمحبـة، كمـا في شـكل ١٧، فسـتأتي إلى حـيز الوجـود إمكانيـة علاقـات صادقـة لهـا معنـى، مـع الله أولاً ثم مع الآخريـن بعـد ذلـك.

لقـد سمعـت حديثـاً عـن صديـق لي: "إن عنـده دائمـاً علاقـة آمنـة مـع الله." فـالذات في دورهـا الصحيـح، إذ تتمـم وظيفتـها الصحيحـة، تفتـح الطريـق لذلـك لكي يكون اختبـار كـل ابـن مـن أبنـاء الله.

لأنـه، الله ذاتـه، قـد قـال، "لـن أهملـك ولا أتركـك" (عـب ١٣ : ٥) لـن أخذلك بأي حال، ولـن أتخلـى عنـك، ولـن أتركـك بـلا سـند، أو بـلا عـون.

فـالذات الآن تكتسـب معنـىً صادقـاً، لأنـها واعيـة بـأن لديـها شـيئاً تقـدر أن تعطيه. فغالبـاً جـداً مـا يكـون هنـاك شـعور بداخلنـا بـأن مـا نعطيـه إلى الله أو إلى الآخريـن هـو قليـل القيمـة. وغـير محتمـل أن يُعطَـى تقديـراً يُذكَـر. لهـذا فنحـن إمـا أن لا نقدمـه علـى الإطـلاق أو نقدمـه بـدون توقـع أي اسـتجابة أو انفتـاح لـه. ولكننـا الآن نكتشـف أن لنـا معنـى عنـد الله. فلقـد *"اشـترينا بثمـن"*. وما نقدمـه لـه، مـن خـلال العبـادة والمحبـة والعشـرة، لـه قيمـة عظيمـة عنـده، وهو يستجيب لنـا بمـلء جـوده.

الحرية في أن نكون نحن أنفسنا

في ليلة ما، بعد ما كنت أتكلم عن هذا الموضوع، قال لي أحد قادة كنيسة، "توم، لأول مرة منذ سنوات أشعر الآن أنني أستطيع أن أتنفس نفساً عميقاً وأن أكون أنا نفسي". كما ترى، لقد كان يحاول، كما يفعل الكثير منا، أن يعيش على مستوى توقعات الآخرين فيه. لقد كنت أعرف ماذا كان يمر به. وأنا أيضاً حاولت مرة أن أسقط الصورة الصحيحة لراعٍ ناجح في رعيته. لقد كان عملاً شاقاً بشكل مخيف، لأن هذا لم يكن أنا، ولقد حُكم عليه في النهاية بالفشل لأنه لم يكن حقيقياً! وشكراً لله لقد اكتشفت الآن إنني لا أحتاج أن أكون أي شخص أو أي شيء إلا .. ذاتي.

إن نكران الذات ليس هو تغييب أو نكران الفردية: ففي الحقيقة الفعلية، هو استرجاع إمكانية الفردية الحقيقية. ولقد ذكرنا مسبقاً (غل ٢: ٢٠). دعني أعرض لك النص بترجمة إجمالية حتى أعبر عما أعتقد أنه كان في قلب الرسول: "أنا، مركزي الذات، قد صُلِبت مع المسيح. إلا أنني، أنا الفرد، أحيا، لست أنا، مركزي الذات، لكن المسيح يحيا فيّ أنا الفرد"

دعني أريك شيئاً جميلاً جداً في (كو ٣: ٤). إن الترجمة الحرفية تُقرأ كما يلي: *"متى أظهِر المسيح، حياتنا، فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المجد"*.

وفي السياق، يرجع الإعلان بالدرجة الأولى إلى المجيء الثاني، ولكن هذا يعني أيضاً شيئاً أكثر قرباً. هذا يعني أنه عندما يُعلَن المسيح في حياتنا، فعندئذ، نحن أيضاً (الشخص الحقيقي الذي نكونه) سنُعلن معه. فهو لا يقدر أن يُعلَن فينا، إذا لم نكن راغبين في أن نُظهر ذواتنا الحقيقية. ليس هناك طريقة يمكن أن يُظهَر بها المسيح فيّ إذا لم أكن أنا راغب ومستعد لأن أجعل ذاتي الحقيقية تُرَى أيضاً. فلو أمكن أن تُرَى الذات الحقيقية بهذه الطريقة، فسيكون هناك انحسار مستمر لتلك الجوانب الخفية التي نحجبها بعضنا عن بعض.

إن هذا **لا** يعني إننا مُطالبين بأن نشارك كل تفاصيل حياتنا مع كل شخص في كنيستنا الخاصة أو في اجتماعنا. إن هذا **اتجاه هام** للقلب، اتجاهنا بأن لا نُبقي أو نبني حواجز دفاعية تحجب جوانب ضعفنا.

وفي أي موقف نقابله، يجب أن تكون المحبة والحكمة محور كل ما نشارك به ذواتنا مع الآخرين. وبعبارة أخرى، نحن نشارك الآخرين على مستوى الانفتاح الذي يمكنهم أن **يستجيبوا له بدون أن يشعروا بأنهم مُهدَدين**. فالمشاركة بمستوى أكثر مما ينبغي مع شخص غير مستعد لذلك يمكن أن يكون اختباراً مدمراً تماماً لهم.

ولكن مجرد الصدق في أن نكون نحن أنفسنا بالفعل هو شيء آخر. فالشيء الرائع هو أننا عندما نجد الشجاعة لكي نكون نحن أنفسنا تماماً،

نجد أن ما يظهر يكـون دائمـاً أكـثر جمـالاً بكثـير مـن الصـورة الـتي كنـا نحـاول أن نسقطها عن أنفسنا! بـل الأكـثر روعـة أيضـاً: إن المسيح يُكّرم دائمـاً إعـلان الذات هذا بـإعلان ذاتـه معنـا!

وإننـا نجـد بذلـك أيضـاً، خلاصـاً عظيمـاً مـن بعـض الاتجاهـات الزائفـة الشـائعة بـين المسيحيين. وأحدهـا هـو التواضـع الزائـف، أي عـدم القـدرة علـى قبـول المـدح أو الإدانـة بأسلوب طبيعـي. لقـد اكتشـفت تحـرراً عظيمـاً في جـانب الاتضـاع. فمـرةً كنـت أحـاول بشـدة أن أكـون متضعـاً، فوجـدت نفسـي أصـير مغـروراً تمامـاً باتضـاعي. وشـكرا لله، إنـني قـد تخليـت عـن كـل هـذا. لقـد اكتشـفت أن الله يـهتم بخطـر الكبريـاء أكـثر مـني بكثـير. وأكـثر مـن ذلـك، إنـه يقـدر أن يمـيز ظـهوره أسرع بكثـير ممـا أقـدر أنـا علـى تمـييزه، وعندمـا أحتـاج هـذا، يمكنـه أن يُفّجـر بـالونتي المنتفخـة ويـنزل بـي إلى حجمـي الحقيقـي بفاعليـة مذهلـة. لأنـه بـالفعل الراعـي الصـالح، ويمكـن أن أئتمنـه علـى هـذا وعلـى جوانـب أخـرى مماثلـة في حيـاتي.

وعندمـا نصبـح أحـراراً في أن نكـون أنفسـنا نصـير صـادقين، ولأننـا صـادقين سيصير من الممكـن تصديقنـا. فـلا تخـاف أبـداً مـن إظـهار ضعفـاتك مثلمـا تظـهر قواك، فشـلك مثـل نجـاحك. لقـد قـالت لي سيدة مـن سنين شـيئاً كـان عنصـراً مكونـاً لخدمـتي. قـالت، "لقـد سـاعدتنا كثـيرا لأننـا اسـتطعنا أن نتوحـد مـع ضعفـاتك." فالنـاس لا يتوحـدون مـع جوانـب قوتنـا. فربمـا يُعجبـوا

بانتصاراتنا، ولكنهم لا يستطيعون أن يتوحدوا بها. ولكن يمكنهم أن يتوحدوا مع جوانب فشلنا وإن كنا انطلاقاً من هذه الجوانب قد تعلمنا أموراً عن الله، فسيكون لدينا حقيقةً حيةً نعطيها لهم.

الحرية في أن نحب ذواتنا

عندما نكون أحراراً لأن نكون نحن أنفسنا، سنكون أيضاً أحراراً في أن نحب ذواتنا مرة أخرى. سنحبها هذه المرة ليست كغاية بل كوسيلة. وعلاوةً على ذلك، لا يكون هذا مجرد قبول آسف لما نحن عليه، لأنه ليس لنا خيار إلا أن نحتمل ذواتنا! وإنما ذلك سيكون نظرةً صادقةً إيجابيةً لما نحن عليه، كأفراد خلقهم الله على صورته ومثاله.

لقد أشرنا مسبقاً إلى الطريقة التي تخلق بها الذات، كآلية موجهة لغاية، صورةً للذات تسيطر على معظم اتجاهاتنا إزاء الحياة. وكثير من المسيحيين مازالوا يسكنهم صورة للذات بالغة السلبية. إنهم يشعرون بأنهم غير مرغوب فيهم، بلا قيمة، غير محبوبين. يصبح الإيمان شيئاً عسيراً إذ يبدو الله بعيداً قاسياً ويتضاءل اختبار الحياة الأفضل المفرحة التي قال يسوع إنه جاء ليأتي بها إلينا. مثل هؤلاء الناس هم في الحقيقة متمركزي الذات مثل غيرهم. إنهم منغلقون على أنفسهم وعلى جوانب عدم الكفاية التي يرونها أو يتخيلونها في أنفسهم. ولكن عندما يحررهم عمل الصليب

وقوة الروح القدس من مركزية الذات، سيكونون أحراراً ليكتشفوا حقيقة ذواتهم، وأن يكتشفوا من هم في الحقيقة.

فلنتذكر قصة يعقوب في سفر التكوين، مدركاً أن الاسم في الكتاب المقدس يعني دائماً الشخصية. "يعقوب" يعني "الآخذ بالتحايل" فمن سنيه الأولى كبر يعقوب وهو يسمع اسمه ومنه كان يتعلم صورته الذاتية. وإننا نجد أنه قد عاش انطلاقا من تلك الصورة الذاتية بانتظام. لقد انتزع حق البكورية من أخيه عيسو، وعزله من بكوريته، ثم ذهب إلى لابان وسلبه من أفضل قطعان غنمه. ولكنه أخيراً لما جاء إلى مجرى يابلوك، يائساً، إذ أدت به صورة ذاته إلى حافة الدمار. جاء صراعه العظيم، منازلته مع الله بسبب هذا:

"*ما اسمك* (صورة الذات)"؟

"*يعقوب* (المنتزع)"

"*اسمك* (صورة ذاتك) *لن يكون يعقوب* (المنتزع)،

ولكن إسرائيل (الأمير مع الله)." (تكوين ٣٢: ٢٧- ٢٨)

ولكن قبل أن يحدث هذا، كان على الله أن يلمس فخذ يعقوب ويشل مصدر اكتفائه الذاتي المتعالي. **فعندما فقط تُطرَح الذات يمكن بذلك فقط أن تمضي معها كل صورة الذات المزيفة التي قد حجّمَت وحددت نمونا.**

وعندئذ فقط نكـون أحـراراً حتـى نقبـل مـن الـرب فـهم شخصيتنا الحقيقيـة.

"مـن يغلـب فسأعطيه أن يـأكل مـن المـن المخفـي وأعطيـه حصـاةً بيضـاء وعلـى الحصـاة اسـم جديـد مكتـوب لا يعرفـه أحـد غـير الـذي يـأخذ"

(رؤ ٢ : ١٧)

إن الاسم الجديـد هـو شخصية جديـدة، إنـه صـورة ذاتنـا الحقيقيـة. إنـها معروفـة لذواتنـا وللـرب الـذي يعلنـها لنـا. ولقـد شَـكَّل الخـالق، في مسـتوى تأسيس كـل شخصية، فرديـةً متفـردة. فـهناك بداخلنـا مواهـب وإمكانـات وقـدرات لدرجـة أنـها في حـالات عديـدة تكـون كامنـة لأنـها لم تتحقـق أبـداً. والآن يسـتطيع الـروح القـدس أن ينفـخ في تلـك القـدرات الكامنـة، ليعطينـا إيمانـا لنؤمـن بـها وبالإيمـان نـأتي بـهم مـن مجـرد قـدرات كامنـة إلى قـدرات فعليـة. ولهـذا السبب نجـد في أغلـب الأحيـان ذلـك الازدهـار العظيـم للأنشـطة الخلاقة في كـل حيـاةً ملأهـا الـروح القـدس.

عندمـا نكـون في توافـق وراحـة مـع ذواتنـا، عندمـا نحـب ذواتنـا بالطريقـة الـتي قصدهـا الله، سـنكون في راحـة وتوافـق مـع الآخريـن وقـادرين أيضـاً علـى تقديم علاقة حيـاة ومحبـة لهـم.

الحرية في أن نحقق كياننا

إن الله الآب قد وضع في الإنسان دافعاً لأن يحقق كيانه، لأن تصبح كل قدراته الكامنة فعلية. إن هدفه لكل أبنائه هو *"صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح"* (أف ٤: ١٥).

وكل ما مضى من قبل ليس إلا شرطاً مسبقاً لهذا التحقيق. لقد كان ما قيل حقيقةً صادقة، "إن الذات غير المبذولة هي ذات لا تبلغ هدفها". فلنتحرر من الحياة مركزية الذات، إننا أحرار في أن نهب ذواتنا، وأن نعيش بانفتاح تجاه الآخرين وتجاه الحقيقة، أن نعيش والأسوار التي حولنا منهارة، وأن نصل إلى الإيمان والرجاء لنقدم للناس عطية الحياة التي في المسيح. إن هذا العطاء غالبا ما يكون باتصال غير كلامي. فليس من الضروري أن يكون هناك دائماً كلمات، لأنه لو كانت قلوبنا مفتوحة للناس، وأسوار الحماية التي بيننا منهارة، سنقدم لهم حياتنا.

"من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد. لأن يسوع لم يكن قد مُجِد بعد".

(يو ٧: ٣٨- ٣٩).

إنني أذكر أنه في اجتماع صلاة كانت تحضر سيدةٌ عملت مرة مع

زوجتي. وبعد أن انتقلت إلى مدينـــة أخـرى، عرفـت الـرب وقبلـت العمـاد بالروح القـدس. لقد قـالت لي، لقـد كـان هنـاك دائمـاً شـيء في زوجتـك، ولكـني لم أعرف مـا هـو. والآن أعـرف". وتقـول زوجـتي أنـها علـى قـدر مـا تتذكـر أنـه لم يكـن لهـا مـع تلـك السيدة أي حديـث أبـداً عـن الـرب: ولكـن، كمـا تـرى، لقـد جـرى النبـع. إنـي مقتنـع إن النـــاس عندمـــا يشـــعرون بلمســـته، ســـينالون انطباعاً لن ينسوه أبـداً.

وبـالطبع فالحيـاة بـهذا الشـكل تعـني التعـرض لأذى حقيقـي وأكيـــد. فالنـاس لـن يقبلـوا أو يسـتجيبوا دائمـاً لمـا نقدمـه لهـم مـن ذواتنـا، حتـى عندمـا نقـدم لهـم المسـيح والحيـاة، لأن هنـاك مـوت في العـالم. *"أجـرة الخطيـة"* ، كمـا يقـول لنـا بولس، *"هـي مـوت"*. والمـوت **الآن**، ليس فقـط فيمـا بعـد في الأبديـــة. لـــذا فعندمـــا تُقـدَم الحيـــاة، سـيقوم المـوت مـــراراً ليحـــاول أن يدمرهـــا فينـــا. وستكون هنـــاك في تلـك المواقـف جـراح كثـيرة.

لقد كنت أتكلـم عـن ذلـك مـرة في حفلـة بمـنزل تـابع لطلبـة الجامعـة. فـأتت امـرأة شـــابة إليّ بعـــد ذلـــك وقـــالت، "إن مـــا تقـــول مســـتحيل. لا يمكنـــك أن تعيـش هكـذا تجـاه كـل إنسـان **سوف** تصـاب بجـــراح كثـــيرة جـــداً". ســـوف تُجـرح. نعـم فـهذا لا يمكـن تجنبـه، إلا أن، الشـيء الرائـع حقـاً، هـو أنـك لـن تُدمَر أبداً. هـل تعـرف لمـاذا؟ لأن الحيـاة الـتي بداخلـك هـي **حيـاة قيامـة**. إنـها حياة المسيح التي عبرت المـوت مـن قبـل وخرجـت منـه بـالنصرة.

"عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً. لا يسود عليه الموت بعد" (رو ٦: ٩).

وبسبب حياة القيامة فينا، يمكننا أن نستمر في إعطاء ذواتنا بانفتاح "وبدون أن نتحطم"، مُعطين للناس حياةً، لأنها قد تجسدت، أخيراً، فينا. وفي هذه العملية ننمو إلى النضج، مُتممين ، الآن ومستمرين إلى الأبدية، ما خلقنا الله لكي نكونه.

كيف تعود الذات إلى أصلها

والآن تعود الذات حقيقةً إلى أصلها. تذكر كيف وصفناها، آلية تتجه إلى هدف. فهي إذ ترتكز على غرض، تعمل على توليد ذلك فينا. إن غاية الله من أجلنا هي أن يوحدنا بصورة ابنه. كيف يحدث هذا؟

إن الذات تفعل ذلك. الذات، ذلك المصدر الذي تأتي منه أكثر مشاكلنا، إذ لم توضَع في موضعها الصحيح وإذ أُثقلت بمهمة لا تلائمها على الإطلاق. إنها الآن تعمل من أجلنا. فإذ ترتكز على المسيح، ستعمل دائماً وبكل وسيلة، حتى تحقق فينا شبه صورة المسيح. أليس هذا رائعاً! إن الله لا يختار فقط الهدف لحياتنا، إنه لا يخلق فقط الدافع الذي يعمل بداخلنا لكمالنا، لقد خلق الأنا بالقدرة على تحقيق غايته. واحتياجنا

الوحيد هـو أن نحتفـظ بـها موجهـةً إلى يسوع.

"ونحن جميعـا نـاظرين مجد الـرب بوجـه مكشـوف كمـا في مـرآة نتغـير إلى تلـك الصـورة عينـها مـن مجـد إلى مجـد كمـا مـن الـرب الـروح" (٢كـو٣: ١٨).

لكننـا نجعـل الـذات ترتكـز علـى الخـوف، الشـك، الخطيـة والفشـل، وستوَلِدهم فينـا، إنـها لا تقـدر أن تعمـل أي شـيء آخـر. نحفـظ تركيزهـا علـى يسوع، وستنتج شبه صورتـه فينـا، فـهي لـن تقـدر أن تفعـل أي شـيء آخـر.

"... لذلك نحـن أيضـاً إذ لنـا سحابة من الشـهود مقدار هـذه محيطـة بنـا لنطـرح كـل ثقـل والخطيـة المحيطـة بنـا بسـهولة ولنحـاضر بالصـبر في الجـهاد الموضـوع أمامنـا. نـاظرين إلى رئيـس الإيمـان ومكملـه يسـوع الـذي مـن أجـل السـرور الموضـوع أمامـه احتمـل الصليـب مسـتهينا بالخـزي فجلـس في يمـين عـرش الله. (عـب ١٢: ١ – ٢).

إن الـذات سـيد سـيئ، تتحـول إلى خـادم كُفء مؤثـر لا يكـل، إذ تتحـرر لتـأخذ دورهـا الصحيـح.

وسيحدث أننـا سنحقق شبه صـورة المسـيح، لا بالكفـاح، وإنمـا سـنصبح مثله لمجـرد أننـا قـد اندمجنـا فيـه. وإذ نركـز حياتنـا علـى يسوع، إذ نتـأمل في أعمالـه وفي كلماتـه، سنتحول، بـدون وعـي منـا بذلـك، إلى مـا نُركـز عليـه. وسنجد أكـثر فـأكثر أننـا عندمـا نقـوم بالأشياء بالطريقـة الـتي يقـوم بـها الله،

ستسير كل الأمور بنجاح أمامنا. فكمال الحياة يكون النتيجة. وسنخطو إلى حياة الملكوت. وعلى المدى الطويل لن يكون هناك أمامنا إلا النجاح. وإن عملنا الأشياء بطرقنا نحن، وأتينا بالذات مرة أخرى إلى مركز القيادة، سنجد أن كل شيء سيكون ضدنا. ولكن أفضل وأكثر الطرق حريةً، هو أن نمضي مع الله. لقد خلقنا لكي نتوافق مع أسلوبه في عمل الأشياء. لقد خلقنا بصورته وكشبهه. وبهذا يصير الروحي طبيعياً أكثر فأكثر، والطبيعي روحياً أكثر فأكثر.

الجزء الخامس

الفصل الثامن عشر

الحياة بالروح

إن أحد أهم المبادئ التي ذكرها بولس الرسول للنجاح في الحياة المسيحية نجده في الإصحاح الخامس من الرسالة إلى أهل غلاطية:

"وإنما أقول لكم اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد. لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس". (غل ٥: ١٦- ١٨).

"إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح". (غلاطية ٥: ٢٥)

إننا غالباً ما نتغاضى عن النظام الذي يضع الله فيه الأشياء. إنه دائماً على درجة كبيرة من الأهمية. فعلى سبيل المثال، في الفقرة المذكورة نجد وصية مؤكدة، لما يجب أن نقوم به، أن نسلك بالروح. فإن سلكنا بالروح،

سيكون الناتج أننا لن نقوم بتنفيذ شهوات الجسد. ولكننا عادةً ما نعكس الأمر. فنحن نقوم بمجهود مضن لكيلا نحقق شهوات الجسد، آملين في أننا، إذا ما نجحنا، سنكون قادرين عندئذ على السلوك بالروح. والشيطان يُشجع هذا المنهج. إنه يبتهج بأن يربطنا في حرب طويلة مريرة في مواجهة جسدنا، فلتعلم جيداً أنه سينتهي بنا الأمر بالهزيمة والإحباط.

لماذا نصمم على المحاولة في الأمر بهذه الطريقة؟ إن من ضمن الأسباب هو أن أكثرنا لديه فكرة غير واضحة لما تعنيه الحياة بالروح، وليس لدينا فكرة كيف نمضي بها؟ وحتى الوعاظ غالباً ما لا يكونون معنيين بذلك بدرجة كافية. إنهم يجعلون الأمر مرغوباً فيه روحياً جداً، إنما كيف نقوم به بالفعل، فنادرا ما يُقال ذلك. ومن جهة أخرى، فنحن نعرف بوضوح تام ماذا يعني تتميم شهوات الجسد. إننا نعرف هذا أكثر مما ينبغي. فهذا العدو له ملامح معروفة لدينا. ولهذا فعادةً، ما نتورط في الحرب التي نعرفها وينتهي بنا الأمر مرات ومرات بطعم الهزيمة المعروف في أفواهنا.

لو حقاً أن هذا النصر لا نجده في محاربة الجسد ولكن في السلوك بالروح، فمن المؤكد أن الأمر يستحق كل جهد لأن نجد الطريقة إلى مثل هذا المسلك. تلك هي غاية هذه الدراسة: ليست اكتشاف جمال وقوة حياة الامتلاء بالروح بقدر توضيح المبادئ الأساسية "لطريقة عمل ذلك" وسوف نجد أيضاً حقائق مشوقة تفتح نافذة على الأهداف الأبدية التي بقلب الله

وأيضاً علـى أسرار كياننـا المخلـوق.

خلق الإنسان

كمـا أشـرنا مـن قبـل، فالكتـاب المقـدس يوضـح أن الإنسـان، المخلــوق علــى صـورة الله، هـو ذاتـه، وحـدة مثلثـة: روح ونفـس وجســد إلا أننـا الآن نحتــاج لأن نستكشـف، بتمعـن أكـثر، مغـزى هـذه النظـرة إلى طبيعـة الإنسـان.

نجـد في سفر التكويـن مـا يُعتـبر في العـادة قصتـين منفصلتـين عـن خلـق الإنسـان. سـنرى، إنـهما ليسـتا بقصتـين مختلفتـين علـى الإطـلاق بـل إعـلان موحـد عـن أصـل الإنسـان وطبيعتـه الجوهريـة. ارجـع أولا إلى (تــك ١: ٢٧).

"فخلـق الله الإنسـان علـى صورتـه. علـى صـورة الله خلقـه. ذكـراً وأنثــى خلقـهما".

إن الكلمـة العبريـة الـتي تُـترجَم "خلـق" هـي بَرَا. ولقـد قيـل إن بَـرَا تعـبر أفضـل مـن أي فعـل آخـر عـن فكـرة الخلـق المطلـق أو الخلـق مـن العـدم، بمعنــى مـن اللاشـيء. وهـي تُسـتخدم فقـط في العـهد القديـم لوصـف أعمـــال الله. فالفاعل لا يكـون إنسـان أبـداً.

إننـا نعـرف مثـلاً أن الله خلـق (بَـرَا) السـماوات والأرض مـن العـدم.

"بالإيمـان نفـهم أن العـالمين أتقنـت بكلمـة الله حتـى لم يتكـون مـا يُـرَى ممـا هـو ظـاهر" (عـب ١١: ٣).

وهكـذا فإننـا في تكويـن ١ : ٢٧ نقـرأ أن الله خلـق الإنسـان مـن العـدم. وعـلاوة على ذلك فإنه خلق الإنسان على صورته وكشبهه. ماذا يُشبه الله؟ إن يسوع يخبرنا في (يو ٤ : ٢٤) أن *"الله روح"*. والسؤال الآن هو هذا، *"عندما خلق الله الإنسان، ماذا صنع من لا شيء ليكون على صورة وشبه كيانه الروحي؟"* والإجابة هي أن **تكوين ١ يسجل خلق الروح البشرية للإنسان بواسطة الله.**

وإذا رجعنا إلى تكوين ٢ : ٧، فسنقرأ شيئاً مختلفا تماماً. *"وجَبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض. ونفخ في أنفه نسمةً حياة. فصار آدم نفساً حية"*.

إن الكلمة العبرية للفعل جَبَل ليس "برا" وإنما "ييصير"، والتي تعني "خَلَق من مادة موجودة مسبقاً". وهكذا، فمن التراب، شكل الله جسد الإنسان.

إذن فيجب هنا أن نتساءل، "ماذا نفخ الله في الجسد الذي شكله؟" إننا نجد أن في العبرية كلمة نفخ هي نفس كَلمة "روح". وهكذا فإن (تكوين ٢ : ٧) يخبرنا أن الله جَبل جسد الإنسان من مادة مسبقة، ونفخ فيها روح الإنسان التي قد خلقها من العدم.

أخيراً نستطيع أن نستخلص من هذه الفقرة أنه عندما دخلت روح الإنسان جسده، جاءت حياة نفسه إلى الوجود. أصبح آدم، *الإنسان ذو نفس حية*. وليس فقط أن الروح تعطي الحياة إلى الجسد، لأن *"الجسد*

بدون *الروح ميت"* (يع ٢ : ٢٦)، وإنما أيضاً العلاقة بين الروح والجسد تخلق النفس، التي هي قدرات الإنسان العقلية والانفعالية والإرادية: عقله وانفعالاته وإرادته. إن روح الإنسان ونفسه هما، بذلك، منذ البدء مختلفان جوهرياً سواءً من حيث الطبيعة أو الوظيفة. وذلك الاختلاف له أهميته الأساسية بحيث أننا يجب أن نبحثه بتفصيل أكثر.

دور الروح الإنسانية

لقد قُصد للروح البشرية في الإنسان، إذ خُلقت على صورة وشبه الله، أن تحقق وظيفة ذات جانبين:

١. لقد كان دور الروح البشرية هو عقد علاقة بين الإنسان والله وبذلك تمكين الإنسان من نوال كل من الحياة الإلهية والحكمة الإلهية.

إن العلاقة بالله هي ما يسميها الكتاب "حياة". فعندما يتكلم الكتاب المقدس عن الحياة والموت فإنه دائماً ما يتكلم عن علاقة، وليس وجود. فعندما نكون على علاقة صحيحة بالله الحي تكون هذه هي الحياة، وإن قُطعنا عنه يكون الموت. وربما كنا باقين لم نزل في حالة الموت هذه، ولم نزل نتجول ونضحك ونتصارع ونبكي ونعمل، ولكننا أموات لأنه لم يعد لنا أي اتصال بالله مصدر الحياة.

إن روح الإنسان قُصد لها أيضاً أن تعطي له مدخلاً إلى الحكمة الإلهية، حتى ينظم ويوجه حياته. **ومن الأساسي أن ندرك أن الإنسان لم يُقصد له أبداً أن يكون، بالاستقلال عن الله، مصدر الحكمة التي تُمكّنه من تحقيق النجاح في حياته.** إن غياب الحكمة هو مشكلة الإنسان الكبرى في يومنا هذا. إن لديه ذكاء متألقاً، ولكن بدون الحكمة سيصير ذكاؤه مدمراً. لذا نجد أن كاتباً يصف الجنس البشري بشكل محزن بهذا التعبير، "إن الجنس البشري، ليس أكثر من سلالات من القردة الذكية على وجه الخصوص والمؤذية على وجه الخصوص أيضاً".

ما هي الحكمة؟ **الحكمة هي القدرة على اختيار أهداف صحيحة وإنجاز تلك الأهداف بأفضل الوسائل.** إن الكتاب المقدس يخبرنا بأمرين بخصوص ذلك.

- ***أولاً:*** إن مصدر الحكمة نجده في الله وحده.

"ليكن اسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة والجبروت" (دا ٢ : ٢٠).

"والرب أعطى سليمان حكمةً كما كلمه". (١مل ٥ : ١٢).

- ***ثانياً:*** ولأن الحكمة تأتي من الله وبالتالي يجب أن ننالها منه، فهي بذلك تُوجَد في الإنسان دائماً في القلب وليس في الرأس. في

الـروح وليـس في العقـل. ولذلـك فــهي ليــس لهــا أي اعتمــاد ضــروري علـى الذكـاء أو التعليـم.

"ويشوع بـن نـون كـان قـد امتـلأ روح حكمـة" (تـث ٣٤: ٩).

"كـي يعطيكـم إلـه ربنـا يسـوع المسيح أبـو المجـد روح الحكمـة والإعـلان في معرفتـــه" (أف ١ : ١٧).

٢. **وبسـبب اتصالهـا بالحكمـة الإلهيـة، كـانت الـروح البشـرية في ذلـك الجـزء مـن كيـان الإنسـان الـذي يمـارس الحكـم والتوجيـه علـى حياتـه.**

في آدم غـير الساقط حكـم العقـل الجسـد، والـروح حكمـت العقـــل، والـروح القـدس حكـم روحـه. وفي النظـام الإلهـي، كـان آدم بالتمـام كيانـاً كـامـلاً صحيحـاً بـدون أي خلـل في طبيعتـه، تلـك الـتي اسـتطاع أن يدخـل فيـها المـرض والخطيـة بعـد السقوط. لقـد كـان آدم متمركـزاً حـول الله ولهـذا كـان متوازنـاً توازنـاً تامـاً. فبتحكـم روحـه، الـتي تصلـه بـالمركز الحـي للكـون، كـانت كل قدراته ودوافعـه منضبطـة في توافـق تـام وتـوازن بديـع.

لقـد كـانت مشـكلة التـوازن هـي أحـد المشـكلات الدائمـة في الكنيسـة. ومـازال الأمـر كذلـك، لأننـا نجـد في كثـير مـن المسيحيين أن الاعـتراف بـالروح كمركـز حـاكم للحيـاة الفرديـة قـد ضـاع، وضـاع معـه تحقيـق حضـور الـروح

القدس كمركز خلاق وعامل اتزان لحياة الجسد المتحد معه.

دور النفس البشرية

أحياناً ما يكون هناك ميل لأن نقلل من شأن النفس البشرية. وأحياناً ما تُوصَف "بالنفسية"، وكأن كل ما هو نفسي لابد وأن يكون شريراً. وذلك يوحي بأن النفس تخلق كثيرا من المشكلات للحياة الروحية حتى أننا نكون في أفضل حال لو عشنا بدونها. وما يقال هو أنه من الممكن أن نخرج من المجال النفسي تماماً ونعيش بالروح كليةً. إن هذا ليس مستحيلاً فقط، وإنما هو أيضاً فهم خاطئ بشكل خطير لما يعلمه الكتاب المقدس في حقيقة الأمر. حقيقي أن النفس لها مشاكلها وتخلق أيضاً المشاكل إذ لحقها التخريب بواسطة الخطية. ولكن الله قد خلقها، وهي في الحقيقة جزء من خطة الله الموضوعة من أجل الإنسان، جزء عزيز جداً على قلبه.

إن وظيفة النفس في الإنسان، كما رأينا في (تك ٢ : ٧)، هي أن توصل كيانه الداخلي الروحي إلى كيان الجسد والدم الخارجي. وبعبارة أخرى، فالنفس تجسد حياة الإنسان الروحية في هيئة جسدية. إن مبدأ التجسد هذا هو مبدأ يتميز به الجنس البشري وحده. هناك كيانات مخلوقة تسكن العالم الروحي: الملائكة، الأرواح الشريرة وغيرها. وهناك أيضاً كيانات مخلوقة تسكن العالم المادي: مثل المملكة الحيوانية. والفريد في الإنسان أنه يعيش في كلا العالمين، المادي والروحي. وهذه هي ملكات نفسه، التي

تصل الروح بالجسد، كان يجب أن تكون الوسائل التي يستطيع أن يحقق بها مصيره المجيد وذلك بإدخال قيم وحقائق العالم الروحي إلى عالم الطبيعة. ومن خلال الإنسان المخلوق بهذا الشكل، كانت غاية الله أن يشارك طبيعته مع الخليقة كلها، من أجل هذه الغاية أُعطيَّ الإنسان سلطاناً.

"فإنه لملائكة لم يُخضع العالم العتيد الذي نتكلم عنه. لكن شهد واحد في موضع قائلاً ما هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده. وضعته قليلاً عن الملائكة . بمجد وكرامة كللته وأقمته على أعمال يديك" (عب ٢ : ٥-٧).

عندما سقطت الملائكة، لم يقم الله، على قدر ما أعلن لنا، بتدابير لفدائهم. ولكن عندما أخطأ الإنسان، التزم الله بشدة بتلك المخلوقات الضئيلة، التي خُلقت على شبهه، لدرجة أنه ذهب إلى مدى عجيب إذ ربط ذاته بخليقته ومات على يدهم لخلاصهم.

"فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس. ويُعتق أولئك الذين، خوفاً من الموت، كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية" (عب ٢ : ١٤-١٥).

إن الإنسان يتفاخر بنفسه من أجل ملكات حياة النفس، وتلك، كما

سنرى، غالباً ما تكون مشكلته الكبرى. ولكن هذه الملكات ذاتها هي أيضاً مجده، وهي التي مات ابن الإنسان ليفديها لقد أعلِنت بكمال مرة فقط في آدم الأول كنموذج لما قُدر لها أن تكون. وفي آدم الأخير دخل الابن الأبدي ذاته في الجسد البشري والطبيعة البشرية.

"لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم تُرد ولكن هيأت لي جسداً" (عب ١٠: ٥).

إن حياة النفس التي قد أُعلَنت في ذلك الجسد جعلت يوحنا يكتب:

"والكلمة صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو ١: ١٤).

الفصل التاسع عشر

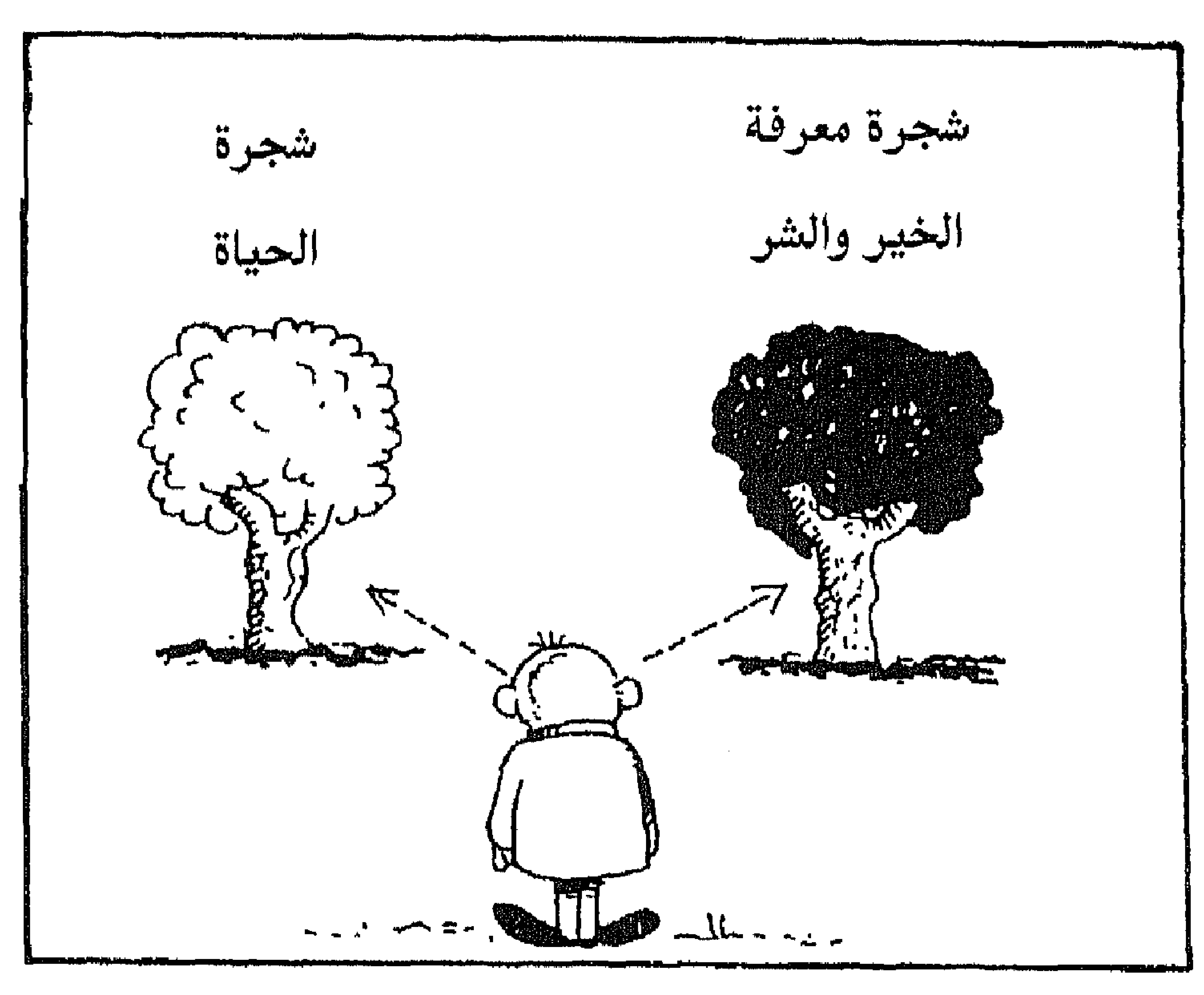
الإنسان المحطم

كما رأينا قبلاً، لم يُقصَد أبداً للإنسان أن يكون بداخله مصدر الحكمة، وإنما بدلاً من ذلك كان سيُعطَى له مدخلاً، من خلال روحه، إلى حكمة الله. والتجربة في جنة عدن تمركزت حول هذه القضية ذاتها. كانت نصيحة الشيطان للإنسان هو أن يتسلل من الحدود التي وضعها الله وأن يأخذ مصادر الحكمة لذاته. وبهذه الطريقة لن تبقى هناك حاجة للاعتماد على الله.

لقد خُدعت حواء، وكل الجنس البشري من بعدها. ومع كل ذلك لم تكن الحكمة في شجرة معرفة الخير والشر. فلقد كذب عليهما الشيطان. لقد كانت الحكمة دوماً حيثما كانت في شجرة الحياة، أي المسيح. (كو ٢ : ٣).

إن شجرة معرفة الخير والشر لم تأت بالحكمة بل بالموت. لقد طُرد الإنسان من الجنة، وبذلك فقد المدخل إلى شجرة الحياة، التي هي الحكمة، حتى جاء الفادي، من خلال شجرة أخرى في الجلجثة، وفتح

باباً للإنسان للرجوع. ولكن في نفس الوقت، كان الإنسان يحاول دائماً أن يحيا بحكمته هو. لقد اختار أهدافاً كانت دوافعها الطموح الأناني والغيرة الدنيئة. لقد بدع طرقاً لكي يصل إلى غاياته ولكنه سقط فريسةً لـ "حكمة" أرضية، غير روحية بل شيطانية. (يع ٣: ١٥). وما يُسمَى بحكمة الإنسان لم تفشل فقط في معرفة الله، ولكنها قادته إلى صلب رب المجد فعلياً.



شكل ١٨ – أين توجد الحكمة؟

الروح وقد خُلعت عن عرشها

عندما أخطأ الإنسان، لم يفقد المدخل إلى الحكمة الإلهية فقط، وإنما النظام الإلهي في الطبيعة سقط في الفساد. روح الإنسان، التي قُطعت من الله، فقدت قوتها وسلطانها وفي نفس الوقت ضخمت شجرة معرفة الخير والشر قوة نفسه وشهواته الجسدية. ولقد كان من التراكمات المتزايدة لفعل الخطية أن المركز المسيطر على كيان الإنسان أصبح لملكاته النفسية الجسدية وليس ملكاته الروحية.

إن بعض الناس يحكمهم عقل قوي، والآخرين يكونون تحت رحمة طبيعة انفعالية قوية، أو إرادة متسلطة، وآخرون لا يزالون تحت سيطرة الشهوات الجسدية أو الدوافع البدنية. والنتائج تكون دائما مدمرة، لأن لا النفس ولا الجسد كان مقصوداً لهما أن يحكما، ولا أياً منهما قادر على فعل هذا. ولكن ما يحدث هو صراع قوي مستمر بين الرغبات المتنافسة، كل منهم يصرخ طلباً للإشباع وكلهم يَدّعون الزعامة. وينتهي الأمر بالإنسان إلى صراع في حرب بلا أمل مع ذاته، منقسما وغير متوازن، عبداً للخطية الكامنة في أعضائه.

تذكر أن روح الإنسان البشرية مازالت موجودة، ومازالت تعمل. والموت يعني أن الروح قد فقدت اتصالها بالله، مصدر الحياة، ولكنها مازالت هناك، بالرغم من أنها ليست أفضل حالاً من بقية طبيعة الإنسان. وإذ

خُلقت الروح لكي تتصل بمصدر خارجي للقوة والسلطان إذ بها تسقط تحت سيطرة الشيطان.

"وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية " (أف ٢: ١-٢).

إن الإنسان غير المُجدَد مازال له روح بشرية تعمل، وهو يستطيع أن يكون له من خلالها اختبارات روحية صادقة. إنه يمكن أن يتصل بروحه بالعالم الروحي. ولكن لأنه قد انفصل من الله بالخطية، فالعالم الروحي الوحيد الذي يمكن أن يصل إليه هو العالم الذي هو أيضاً في حالة الموت. يجب أن تدرك هذا، لأن هناك الكثير من الاختبارات الروحية المتاحة اليوم تأتينا من عالم الموت وليس لها أي علاقة بالله. وإن هذه الخبرات لا تتضمن فقط المذهب الروحاني وعلم الغيبيات و العقائد الوثنية، ولكن أيضاً عبادة الأوثان بكل أشكالها القديمة والحديثة. وأساسها كلها النشاط الشيطاني الذي يسعى وراء روح الإنسان، لا لكي يعطيها الحياة، وإنما ليمتصها حتى الجفاف.

ويضاف إلى المشهد الجسد حامل الأمراض والضعفات ولن يكون أمامك إلى أن تصرخ مع إشعياء: *"كل الرأس مريض وكل القلب سقيم من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تُلين بالزيت".*

الفصل العشرون

الإنسان المتجدد

يحتاج الإنسان إلى أن يتجدد لأنه، من الناحية الواقعية، أصبح محطماً. إنه يحتاج إلى تحول ينقله إلى الجانب الأيمن مرة أخرى. والأخبار السارة التي في الإنجيل هي أنه في ملء الزمان، جاء المسيح: آدم الأخير، روحاً يعطي الحياة، كي يعيد تكوين كيان روح الإنسان وفي اختبار الميلاد الجديد، يُعاد خلق روح الإنسان البشرية وتعود لها علاقة حياة مع الله. فعندما نولد من جديد، أي جزء يتأثر فينا؟ ليس جسدنا، ولا نفسنا، ولكن روحنا:

"المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (يو ٣: ٦).

"الله أبونا هو أبو أرواحنا" (عب ١٢: ٩).

وروحنا هي: *"المخلوقة بحسب الله في البر وقداسة الحق"* (أف ٤: ٢٤)

ولكن الفداء لا يقف عند الروح فقط. فالمسيح مات ليفدي الإنسان بكامله، ولكنه يفعل ذلك وفقاً لتدبير الخلق الأصلي للإنسان. إن الخلق

الأصلي للإنسان لم يكن غلطة: لقد كان تصميماً كاملاً. والفداء لا يتعامل بعنف مع هذا التصميم. لذا فهناك مرحلتان تدخلان بالضرورة في الخلاص، بالنسبة لطبيعة الإنسان.

١. الروح البشرية لا تُرَد فقط لعلاقة الحياة مع الله، وإنما تُرد إلى موضع رياستها الأولى على النفس والجسد.

٢. النفس، لكي تخلص، يجب أن تأتي إلى الصليب، لا لكي تُدمَر وإنما لتتنازل عن حقها في الحكم، بهذا فقط يمكن أن تتحرر.

"فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه" (متى ١٦: ٢٥- ٢٦).

عندما تفقد حياة النفس ذاتها (أي، تطرح حقها في أن تحكم)، وتمتلئ الروح البشرية بالروح القدس، تنطلق قوة الروح القدس في داخل الروح البشرية كي تقدس وتضع في توافق كل قدرات النفس وتشفي الجسد. إن أعضاء "حركة مواهب الروح القدس" (الكاريزماتية) الكاثوليكية يستخدمون اصطلاحا للعماد بالروح القدس صاغوه بأنفسهم. إنهم يسمونه "إطلاق قوة الروح القدس" ولقد لمسوا، ربما بدون وعي بذلك ولكن بغريزة روحية صادقة، واحداً من أكثر مظاهر العماد بالروح القدس حيويةً، وهو الطبيعية بالغة العمق للاختبار الروحي. إن قوة وسلطان الروح القدس قُصد لهما من

الله دائماً أن يتخللا حياة الإنسان كلها، ١. الروح ٢. النفس ٣. الجسد. على الترتيب.

"وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكنا فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له. وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحية بسبب البر" (رو ٨: ٩- ١٠).

*"لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام (*تركيز العقل على*) الروح* هو حياة *وسلام" (رو ٨: ٦).*

"وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة *أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١).*

هل تستطيع أن ترى الترتيب الإلهي؟

١. الروح **حية**.

٢. العقل هو **الحياة** والسلام

٣. **الحياة** تُعطَى للجسد الفاني.

والغاية من بقية هذه الدراسة هو أن نبين كيف يمكن أن تُترجم تلك الحقيقة إلى اختبار فعلي.

الفصل الواحد والعشرون

وظائف الروح البشرية

إن الدور الذي قصده الله للروح البشرية، إذ تم ردها بالميلاد الجديد، هو أن تمارس حكماً وتوجيها على النفس، ولكن لكي يكون لهذا معنى عملي نحتاج أن نتلاقى ونتعرف على روحنا البشرية.

إن الروح والنفس هما ظواهر غير مادية، إننا لا نرى أياً منهما. إننا نعرفهما فقط عندما نختبر قيامهما بوظائفهما. إنني أعرف نفسي، ولكن لأنني واعٍ بقيامها بوظائفها الثلاث: العقل والانفعال والإرادة، إذ فكر وأشعر وأقرر. فعندما أفعل أياً من هذه الأشياء أعيش من خلال النفس.

والروح، مثل النفس، لها ثلاث وظائف، فكما نرى في شكل ١٩، وهذه الوظائف تناظر بطريقة مباشرة، وليست متضادة، الوظائف الثلاث للنفس. وعندما نكون على وعي بتلك الوظائف أو عندما نفعل هذه الأشياء، فنحن نحيا انطلاقاً من الروح.

المعرفة

إن أول وظيفة للروح البشرية هي المعرفة، ولكنها معرفة من نوع خاص. إنها المعرفة المباشرة التي تأتي حدسياً (بديهياً)، وليس كنتيجة للعمليات العقلانية الاستنتاجية الفكرية. ومن الأهمية أن نعي أننا بهذا المعنى لا نعرف بعقلنا. إننا نفهم بعقلنا ولكننا **نعرف** بروحنا.

"لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله" (اكو٢: ١١-١٢).

ومن الطريف هنا أنه لم يكن هناك اكتشاف عظيم للعلم قد تحقق بالأسلوب الاستنتاجي، بمعنى جمع المعلومات، تنظيم المعلومات في تصنيفات، واستنتاج القوانين من المعلومات. فكل اكتشافات الإنسان قد تمت بالإدراك الحدسي: فهو في روحه قد "رأى" الحقيقة، وبعد ذلك وضع تجارباً لإثبات صحة أو عدم صحة ما عرفه بالحدس. والحدس الإنساني ليس معصوماً من الخطأ، ولكنه روحي، إن الروح البشرية هي التي تتلقى المعرفة. ولأننا أصبحنا محدودين وتضررنا بالخطية، فإننا ندرك المعرفة بشكل غير كامل وغالباً ما نسيء تفسير ما ندركه.

معرفة الله

من أكثر الأشياء القادرة على تغيير الحياة في اختباري الخاص كانت استكشافي أننا نتصل بالله بنفس الملكات التي نستخدمها للاتصال بالناس الآخرين. إن هذا غالباً ما يُساء فهمه لذا فهو يحتاج لأن نؤكده. الله شخص، وعلاقتنا معه هي علاقة شخصية، لهذا فإننا نستخدم نفس الملكات في معرفة الله والاتصال به كما نستخدمها في معرفة الأشخاص الآخرين والاتصال بهم. وأنت لا يمكنك أن تعرف شخصاً من خلال حواسك وعقلك. فالشخص يُعرَف حدسياً بالروح. يمكنك أن تصل إلى بعض الناس وتعرفهم بهذه الطريقة في بضع دقائق. وأناس آخرون لا يمكنك، بشكل ما، أن تصل إليهم. لقد سمعت زوجات يقولن، "لقد كنت متزوجة طوال عشرين عاماً، ولكنني لا أعرف زوجي". أو والد يقول "يبدو أنني غير قادر على الوصول لأبنائنا. فأنا أشعر إنني لا أعرفهم على الإطلاق". وفي كل حالة تكون الروح هي التي تُصاب بالإحباط، لأنها لا تستطيع أن تحصل على المعرفة التي تريدها.

ومن المهم أن نفهم أن معرفة الله تأتي بهذه الطريقة المباشرة الحدسية. ربما لا نكون قادرين على شرح أو وصف كيفية معرفتنا لهذا ولكننا "نعرف فحسب" بطريقة أكيدة لا تتزعزع أن الله قد تكلم إلينا، أو أن الله قد سمع صلاتنا، أو أننا في حضرة الله. ولأننا لا نفهم هذا، فمرات كثيرة لا نكون

على وعي بأن الله هو الذي كان يكلمنا. ولقد سألت أناساً كثيرين على مر السنين، ولم أجد أبداً واحداً، إذا ما أمعن التفكير، غير قادر على تذكر اختبار حدسي مباشر يدرك الآن أنه كان بالفعل اقتراباً من الله نحوه. والمأساة هي أننا قد جعلنا من الإيمان المسيحي بالأكثر معرفةً عقلية حتى أن اختبارات الروح البشرية تلك تكاد تكون قد أُهملت كلية.

ويجب أن ندرك أيضاً أن معرفة الله الآتية إلى الروح البشرية (وليس إلى العقل) ليست اختياراً من الله لأصعب الطرق إمكاناً لنا. بل إنها عمل الله بالطريقة الوحيدة الممكنة. إن الله يريد أن يوصل لنا ليس فقط مجرد المعلومات، ولكن المعرفة (يو ١٧ : ٣).

إن العقل لا يقدر أن يقبل الحياة: يمكنه فقط أن يتناول المعلومات. ولكن روح الإنسان فقط هي القادرة على تلقي الحياة. ولهذا فالروح فقط قادر أن يقبل معرفة الله التي هي أيضاً اتصال الحياة. حتى على المستوى الإنساني فقط، أن معرفة شخص هي اختبار حياة. فعندما يكون هناك شخص ما يشارك بحق حياته معك، فمهما كانت المقابلة قصيرة، ستشعر بأن هذه المقابلة أكثر حيوية. لقد كانت هناك مشاركة في الحياة من روح شخص آخر. وعندما تكون هذه المشاركة من الله الحي الذي يشترك معنا في ذاته، يكون هناك اختباراً للحياة الأبدية.

الضمير

الوظيفة الثانية للروح البشرية هي الضمير. إننا كلنا على معرفة بعمله، بالرغم من أنه ربما لم نعرف أنه لا يجب مساواته بالعقل.

"كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم" (تي ١ : ١٥).

إن الضمير ليس هو صوت الله، بالرغم من أن صوت الله يتكلم إلى ضميرنا. إنما الضمير هو وظيفة من وظائف الروح البشرية خُلق بالقدرة على أن "يرى" الحقائق الأخلاقية العامة (مثل الشرف والأمانة) والقدرة على تطبيقها في حالات خاصة حتى نقول الحقيقة، مهما كلفنا هذا، ونحافظ على وعودنا حتى وإن لم يناسبنا أن نفعل ذلك.

ولكي نفهم كيف يقوم الضمير بوظائفه، يجب أن نميز **شكله** ومضمونه.

الشكل هو الطريقة التي يعمل بها الضمير. وهذا هو نفس الشيء بالنسبة لكل إنسان، بغض النظر عن الجنس أو السن أو النشأة أو الثقافة. إنه يقول لنا **متى** نكون فاعلين للصواب **ومتى** نكون فاعلين للخطأ.

"... الذين يُظهرون عمل الناموس مكتوبا في قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مُشتكية أو مُحتجة" (رو ٢ : ١٥).

والمضمون هو الأساس الذي يصنع الضمير عليه أحكامه. فهو يقول لنا ما هو صواب وما هو خطأ. فمضمون الوعي يختلف بحسب الثقافة والسن والخلفية والتعليم حتى أن ضمير شخص ما قد يدينه من أجل شيء معين يكون ضمير شخص آخر حيادياً تجاهه أو حتى موافقاً.

ومن جهة أخرى، فعندما يوقظ الروح القدس الروح البشرية ويعرض للضمير معايير قيم قداسة الله ومحبته، فاقتناعه بالخطية، الذي يمكن أن يؤدي إلى التوبة، يمكن أن يحدث. وعندما تكون هناك توبة صادقة، فإن عمل الروح القدس هو أن يشير إلى فاعلية دم الجلجثة للتعامل مع ذنب الخطية وأن يتكلم بالسلام إلى الضمير المضطرب.

"فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ... لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومُغتسلة أجسادنا بماء نقي" (رو ١٠: ١٩).

والطاعة إزاء الضمير تكون أساسيةً للسلوك الأخلاقي، وفي التقديس يكون عمل الروح القدس المستمر هو أن يكتب ناموس الله على قلوبنا، حتى أن الروح، إذ ينظر إلى ناموس الحرية المُنعِم هذا، يصير حساساً بشكل متزايد، مؤدياً إلى طهارة صادقة للسلوك والدافع.

وهناك وظيفة للضمير ذات أهمية قصوى ونادراً ما تُقدر أهميتها ولكننا نحتاج أن نفهمها اليوم أكثر من أي يوم مضى: **وظيفة الضمير في الشهادة**

للحق. فلتدرك هذا جيداً: إن الحق أو الباطل يتم تسجيلهما أساساً في الضمير، وليس في العقل. فأنت يمكنك أن تسمع قصة مقبولة جداً لدرجة أنك لا تقدر على تكذيبها، ولكنك بشكل ما "تعرف" مجرد المعرفة أنها مشكوك فيها. بينما قد يحكي شخص آخر رواية بلا أي سند وبها تفاصيل لا تتفق أبداً ولكنك "تعرف" أنه يقول الحقيقة. ما الذي يعرف الحقيقة والخطأ؟ إنه الضمير. إنك لتجد مثلاً في (رو ٩: ١) حيث يقول بولس، *"أقول الصدق في المسيح. لا أكذب وضميري شاهد لي بالروح القدس."* لهذا لم يكن التبشير الرسولي موجهاً إلى عقول السامعين، ولكن إلى ضمائرهم. لقد عرف الرسل أنك لا تحتاج لإثبات الحقيقة وإنما تحتاج فقط لإعلانها لأنها تحمل صلاحيتها المتأصلة بداخلها أمام الضمير.

"بل قد رفضنا خفايا الخزي غير سالكين في مكر ولا غاشين كلمة الله بل بإظهار الحق مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان قدام الله" (٢كو ٤: ٢)

أذكر إنني كنت أتكلم مرة في اجتماع لرجال الأعمال. وفي البداية قلت لهم "سوف أعرض لكم طريقة لا تخطئ لاكتشاف ما إذا كان ما سأقوله الليلة حقيقيا أم لا". ولقد جذب هذا انتباههم بشكل مُرضٍ! بعد ذلك قلت، "لاحظوا فقط كيف سيُسجَل في ضمائركم." يمكنك أن تشعر بهم متكتلين في الوسط. إن الاعتراضات التي يرمي بها الناس الإنجيل ما هي،

في أغلب الأحيان، إلا دفاع من الضمير أمام هجمات الحق.

من المستحيل، أن نغالي في التركيز على أهمية الإبقاء على ضمير نقي. لقد قال بولس أنه كافح *"ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس"* (أع ٢٤: ١٦). إن الضمير الذي يُحفَظ نقيا بدم يسوع هو وحده القادر على أن يشهد للحق بكل تدقيق. إنني أظن أنك لو تتبعت كل بدعة أبتليت بها كنيسة الله على مر تاريخها ستستطيع أن تجد في موضع ما في بدايتها ضميراً ملوثاً غير قادر على تمييز الحقيقة من الخطأ. وفي ضلال الأيام الأخيرة، يبدو أن حمانا الوحيد سيكون الضمير النقي.

"ولكن الروح يقول صريحاً إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مُضلة وتعاليم شياطين في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم" (٢تي ٤: ١-٢).

الشركة

إن الوظيفة الثالثة للروح البشرية هي العبادة أو الشركة، أو ببساطة، الشركة. لقد قال يسوع للسامرية، *"الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا"* (يو ٤: ٢٤).

إننا لا نتصل مع الله فقط بروحنا ولكننا نتصل الواحد بالآخر بنفس

الطريقة. فإذا كنت لا أبلغ بروحي وألمس بشكل ما روح الشخص الآخر، فلا تكون هناك شركة حقيقية. يمكنني أن انقل البيانات أو المعلومات التي يمكن أن تُفهم، ولكن ليس هناك شركة بيننا كأشخاص.

لقد اكتشفت ذلك عندما عرفت فتى، اسمه "جرُبي"، كانت عادته عندما كان يشعر بالملل، أن يضايق ويثير حساسية كل شخص يلقاه، بما في ذلك أنا. وإبداعه كاد يكون بلا نهاية، ومعدل نجاحه كان رائعاً، وفي ليلة يوم جمعة جرب "جرُبي" صبري إلى درجة فوق الاحتمال. لقد كنت جالسا وحدي ومعي فنجان قهوة، أكافح لكي استرجع روحانيتي، فجاء هو، وأنتصب كلوح الخشب أمامي تماماً. فجأة وصل الروح القدس الذي فيّ إلى الفتى. كنت أعرف أنه الروح القدس لأن كل ما كنت أشعر به في داخلي كان القنوط والألم. بالإضافة إلى أنني، في تلك الأيام، لم أكن أعرف كيف أصل إلى الناس. وجدت نفسي أقول، "جربي، قل لي لماذا تتصرف هكذا؟ لا أعتقد أنك في الحقيقة تحب هذا على الإطلاق" وفجأة وجدت أنني قد لمست روحه. لقد جلس الساعة التي تلت ذلك وصب كل إحباطاته وحياة الأسرية الفظيعة، وحدته وسقطاته. ولم يسبب لي بعد ذلك أبداً لحظة من الضيق. إنني تعلمت في ذلك الموقف إننا فقط عندما نبلغ بروحنا ونلمس روح الأشخاص الآخرين نقدر بحق أن نساعدهم.

إن الكثير جداً من الناس لا يعرفون كيف يتواصلون. وهناك أزواج

وزوجات تزوجوا منذ سنين، ولا يعرفون كيف يتواصلون. إن بعض الأبناء يقولون، "نحن لا نقدر أن نتواصل مع والدينا" ماذا يعنون بذلك؟ ليس أنهم يتكلمون بلغة أخرى، وإنما المقصود أنهم لا يجدون روحاً تصل بالحب إليهم أو عندما يصلون إلى والديهم لا يكون هناك من يستجيب.

إن الرائع في الله هو أننا عندما نبلغ إليه بروحنا دائماً ما نتصل به لأنه دائماً ما يبلغ بروحه إلينا. فالروح القدس هو الله الذي يبلغ بروحه إلينا. الروح القدس "*الذي من عند الآب ينبثق*" (يو ١٥ : ٢٦). فلو كنا في صلاتنا لا نبلغ بروحنا لن يكون هناك أي تواصل: سنكون مجرد "مرددين لصلواتنا". ومن ناحية أخرى، إن بلغنا بروحنا يمكن أن يكون هناك شركة صادقة بدون أي كلمات على الإطلاق.

"*وكذلك الروح أيضاً يُعين ضعفاتنا. لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها*" (رو ٨ : ٢٦).

إلا أننا لا نقدر أن نشترك في حياة المسيح أو في معرفتنا به بدون اشتراكنا في روحه أيضاً. وأكثر حالات فشلنا في التبشير الشخصي أو الإرشاد المسيحي ترجع لهذا السبب. فلكي أكون قناة اتصال للروح القدس عليّ أن أصير "موجةً حاملة" يمكن أن تنتقل عليها قوة الروح القدس. فإذا لم أكن راغباً في أن أعطي ذاتي للآخر، فلن أقدر أن أعطيه المسيح.

الفصل الثاني والعشرون

صلة الروح بالنفس

إننا قد بدأنا الآن في التعرف على الاختلاف بين طبيعة وأداء وظائف النفس والروح، ليس فقط لاهوتياً ولكن كاختبار أيضاً. هناك آية هامة جداً في الرسالة إلى العبرانيين يمكن أن تساعدنا في هذا، *"لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته"* (عب ٤: ١٢).

وبعبارة أخرى، فإن روحنا هي ذلك الجزء الذي بداخلنا الذي تتكلم إليه كلمة الله الحي، إما بإعطاء معرفة مباشرة حدسية، أو بالشهادة لضميرنا، أو بتشجيع عبادة كاستجابة منا.

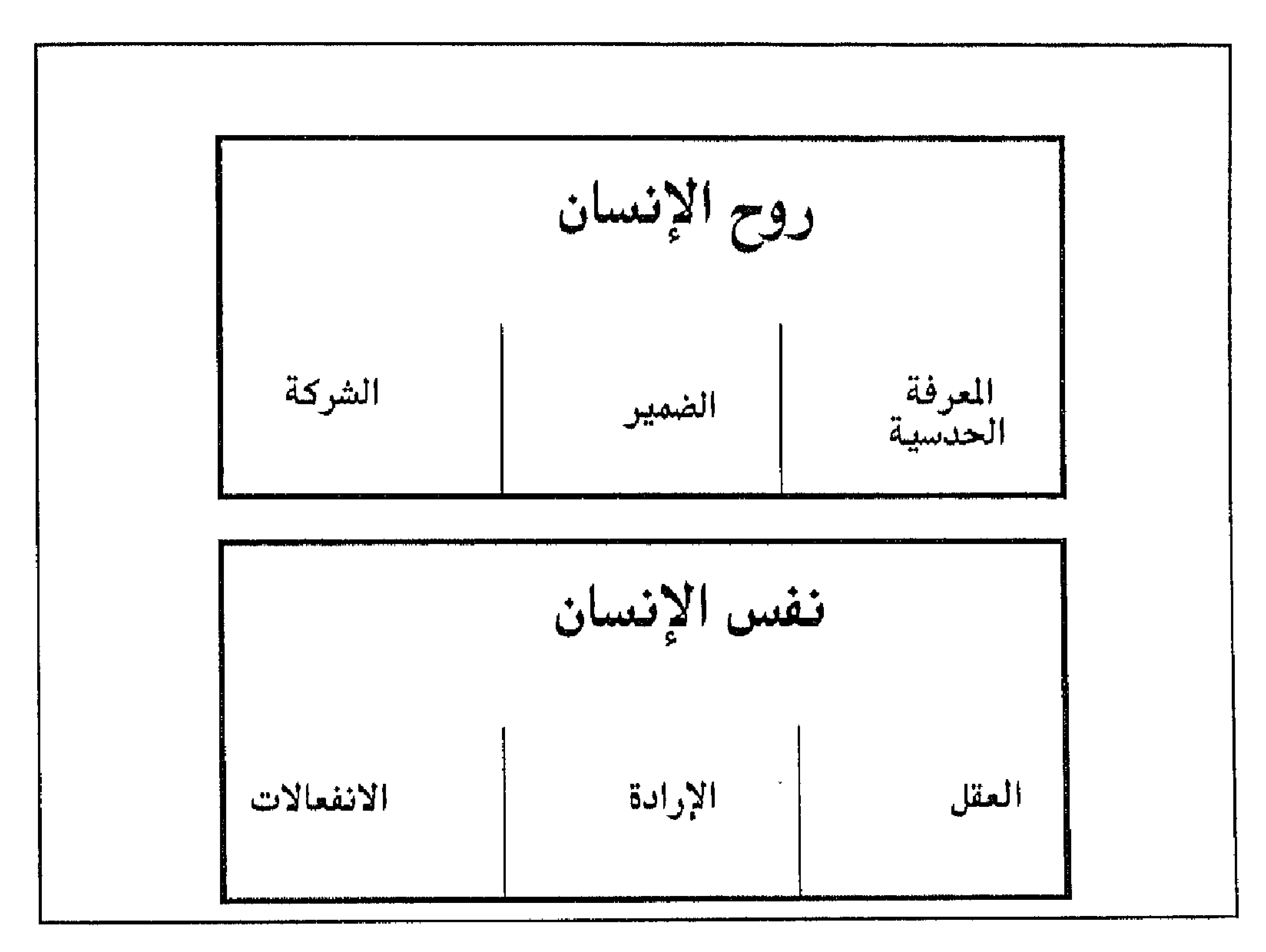
ونأتي الآن إلى جانب حيوي جداً ولكنه يكاد يكون غير مُدرَك بالمرة: **العلاقة بين روح الإنسان ونفسه.**

إن كانت الروح البشرية هي مركز الحكم والتوجيه في الشخصية، فمن الواضح أنها يجب أن تتصل بطريقة خاصة بالنفس والجسد. وعلاوة على

ذلك، إن كانت روحنا هي مكان سُكنى الروح القدس، فمن الأهمية أن نعرف كيف نفتح قنوات لتدفق نعمة وقوة الروح القدس من روحنا إلى مواضع الاحتياج داخل النفس والجسد.

➢ *أولاً:* كل وظيفة لروح الإنسان مقصود لها أن تصل بطريقة خاصة إلى أحد وظائف النفس. لذا فنحن نجد أن

- المعرفة التي يتم استقبالها في الروح مقصود بها أن تحكم تفكير العقل.
- الضمير مقصود له أن يوجه وأن يتحكم في قرارات الإرادة.



شكل ٢٠ – العلاقة بين الروح والنفس

- وظيفة الشركة يُقصد بها أن تحكم الانفعالات.

- *ثانياً:* بالرغم من أن الروح القدس يسكن في روح الإنسان، فهو لن يعمل أي شيء بدون رغبة وموافقة الإرادة البشرية. ولهذا السبب يمكننا إطفاء الروح. فيمكننا أن نقول "لا!" لروح الله وبالرغم من كلية قدرته لن يفرض أسلوبه على الجوانب المغلقة في حياتنا. فالروح القدس إذ يسكن داخل روحنا، يحيا بناموس حبه القابل للجرح. فهو يمكن أن يُحزَن أو يُسَر ويمكن أن يُمنع أو يُعطى حرية للعمل بسلوكنا واستجابتنا له.

والآن دعنا نبحث في المبادئ التي تتصل بواسطتها الروح بالنفس، حتى يمكن أن نبدأ في فهم ماذا تعني الحياة بالروح.

الروح والعقل والإيمان

لقد رأينا قبلاً أنه عندما يتكلم الله إلينا، سواءً مباشرةً أو من خلال كلمته، تصل المعرفة إلى روحنا. إننا نسمي هذه المعرفة **استعلانا**.

"بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه، فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (اكو٢: ٩- ١٠).

وعندما نستقبل بالحدس هذه المعرفة في الروح تظهر إمكانية الإيمان. فالعلاقة بين العقل والروح هي الإيمان. وهذا يتضح في شكل ٢٠. يجب أن نفهم ماذا يعني الإيمان. إن الإيمان ليس اعتقاد بلا برهان. إن الإيمان دائماً ما ينتج نتائج، لأن الإيمان يتأسس على المعرفة.

قبل أن أكون مسيحياً كثيراً ما كنت أفكر، "إن كنت أعرف فقط، لكنت استطعت أن أؤمن" وبعدما أصبحت مسيحياً اعتقدت، "لقد كنت مخطئا. إنك تؤمن أولاً ثم تعرف بعد ذلك". والآن أدرك أنني كنت بالفعل مصحا في أول مرة: أنت تعرف أولاً وبعد ذلك تؤمن.

إلا أن ما يجب أن نفهمه، هو أن المعرفة التي يتأسس عليها الإيمان هي نوع خاص من المعرفة. إنها المعرفة المباشرة الحدسية التي تأتي من الله إلى أرواحنا فعقلنا الواعي يجد صعوبة في تقبل هذا النوع من المعرفة.

"ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة. ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكَم فيه روحياً" (اكو٢ : ١٤).

لهذا، فعندما تأتي المعرفة الإلهية إلى روحنا، يكون علينا أن نختار بين تصديق تلك المعرفة، التي هي ممارسة الإيمان، أو عدم تصديقها، وذلك هو عدم الإيمان.

وعندما نستجيب بالإيمان، تنطلق قوة الروح القدس من روحنا إلى عقلنا

وإلى ما وراء هذا أيضاً. بمعنى لا يكون قدر الإيمان عنصراً أساسياً. إننا نجد أن وصلة كهربية أو مفتاح يكونا من الصغر البالغ ولكن الدور الذي يقومان به في إكمال الاتصال يكون هاماً جداً. لذلك السبب يقول يسوع إنك لو كان عندك إيمان "كحبة خردل" يمكن أن يتبع هذا نتائج فعالة.

ومن جهة أخرى، يمكننا أن نرى الطبيعة الخطيرة لعدم الإيمان. إنها ليست مجرد ضعف مؤلم وإنما هو رفض لمعرفة الاستعلان، وعائق لا يمكن تخطيه لتدفق الروح القدس في حياتنا. إن كانت رسالة العبرانيين تسترعي انتباهنا إلى جيل الإسرائيليين الذين نالوا الوعد بالدخول إلى أرض كنعان ولكنهم ماتوا في البرية فإنه يحذرنا لأن قبول الوعد ليس كافياً في حد ذاته.

"لأننا نحن أيضاً قد بُشرنا كما أولئك لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا" (عب ٤ : ٢).

إن رفضنا كلمة الله من خلال عدم الإيمان، فبالرغم من كونها هي الحق، لن تصل أبداً إلى الإثمار في حياتنا.

الحدس الروحي

هناك فقرة في متى إصحاح ١٨ يدعو فيها يسوع طفلاً إليه، ويوقفه في الوسط ويقول لتلاميذه،

"وقال. الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن

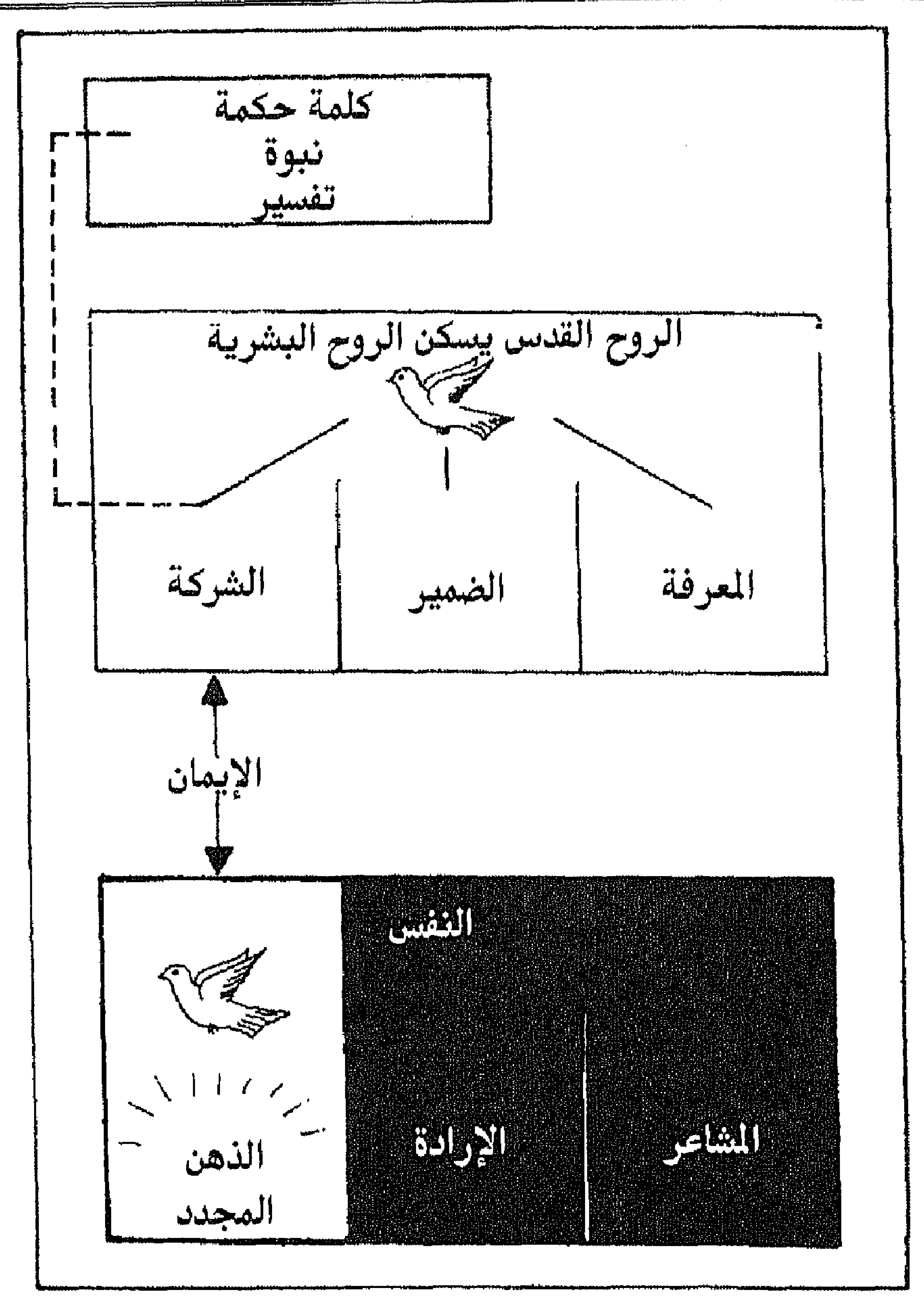
تدخلوا ملكوت السموات." (متى ١٨ : ٣)

لم أكن أبداً قانعاً بالتفسير المعتاد لهذه الفقرة. يُقال مثلاً إن علينا أن نصير متضعين ونصدق مثل الأطفال الصغار. إنني أعرف كثيراً من الأطفال لا يتحلون بالاتضاع على الإطلاق ولا يصدقوك مهما عملت!

إنني لا أعتقد أن الدافع الحقيقي لما كان يعنيه يسوع كان ذلك على الإطلاق. فإن دخلت بيتاً به طفل صغير، سيلخص شخصيتك بوضوح في أقل من ١٥ ثانية! إنه سيفعل ذلك بالحدس لأنه ليس عنده بيانات عقلية كثيرة عنك، وإن كانت هناك معلومات فلن يفهمها على أي حال! إنه يعطي رؤيته عنك فقط على أساس ما تقوله له روحه. والمثير في الطفل الصغير هو أنه يتصرف مائة بالمائة بما يقول له حدسه. فإن قرر أنك لا تروق له، فلن تقدر أن تقترب منه. ويمكن أن تكون كثير البسمات ومحمّلاً بالهدايا ولكن كل هذا لن يخرجه من وراء أمه أو من تحت منضدة المطبخ.

ومن جهة أخرى، فلو قرر أنك تروق له. سيلتصق بك ويحاول أن يشاركك، قطعة الحلوى التي كانت في فمه.

هل تفهم ما يقوله يسوع؟ **إن لم نكن مستعدين، مثل الأطفال، في أن نصدق المعرفة الإلهية التي نتلقاها بروحنا، فلن نفهم طرق ملكوت الله.** إن هذا هو ما يعنيه السلوك بالروح في مجال العقل.



شكل ٢٠- المعرفة والذهن

إن كنت تزور شخصاً ما في حالة صحية متأخرة. ستصلي صلاة معزية وتصل إلى الله فسيقول، دون أن تتوقع، في روحك "*هذه العلامات ستتبع*

المؤمنون" : سيضعون أيديهم على المرضى وسيشفوا. افعل ذلك!. إنك تعرف بالحدس إنها كلمة من الله من أجل الشخص المريض. ولكن عقلك يتدخل هنا ويقول "لا يمكنك أن تخاطر في هذا، إنه في مرحلة صحية سيئة، ماذا يحدث لو لم يُشفَى؟" في تلك اللحظة سيتحكم الإيمان أو عدم الإيمان. فإما أن يربطك العقل إلى المعلومات المادية، جسد يموت بالمرض، أو يصلك الإيمان بالمعلومات الجديدة من الله بأن هناك شفاء للجسد المريض. إن الإيمان لا يأخذ في الاعتبار معرفة الحواس لأن له مدخلا إلى معرفةٍ أرقى: معرفة إرادة الله وقدرة الله في هذه المواقف الخاصة.

أهمية العقل (الذهن)

ولكن العقل ليس مجرد عائق كبير للروح البشرية وإنما هو ضروري جداً في ذاته. إن من أكبر جوانب القصور في الكنيسة اليوم غياب العقل المسيحي، غياب أسلوب مسيحي أصيل في التفكير في الأمور. إن دور العقل هو قبول معرفة الإعلان من الروح في **كلمات**، أو في تصريحات مقترحة، حتى يمكن أن نلائم ما نتلقاه وما نشاركه مع الآخرين. في (١كو ٢) يشرح بولس أن الإعلان يأتي من روح الله إلى روح الإنسان. ولكنه يقول بعد ذلك.

"التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تُعَلمها حكمة إنسانية بل بما يُعَلمه

الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات" (١كو ٢ : ١٣).

وهناك مبدأ مهم وهو أن الإعلان إلى روح الإنسان غالباً ما يأتي كومض من الاستنارة. فنحن "ننظر" شيئاً في الله. ولكن غالباً ما نجد أن ما "نراه" بهذه الطريقة يصعب شرحه حتى لأنفسنا ويمكن أن يكون في الحقيقة غير قابل للمشاركة.

مرة كنت راجعا من الكنيسة يوم الأحد، فدخلت زوجتي في السيارة، وعلى وجهها التأثر البالغ. قالت لي: "اثناء التناول هذا الصباح رأيت فجأة شيئاً عجيباً عن اسم يسوع" قلت"رائع! قولي ماذا كان هذا!". قالت، "آه! لم أقدر أن أضعه في كلمات ولكنه كان رائعاً". لقد كان ذلك إعلاناً صادقاً ولكنه مضى نصف الطريق فقط. ففي أي وقت تأتي الاستنارة الداخلية، نحتاج أن نقول "يا رب، أريد الآن أن أفهمها بالكلمات، حتى أطيعها، وحتى أوصلها للآخرين" إن لم نفعل ذلك، فأكثر الاختبارات مع الله روعةً يمكن أن تتلاشى وتضيع.

تجديد الذهن

والذهن أيضاً يحتاج أن يتجدد حتى يستطيع أن يحكم بالصواب ويفهم حدس الروح. فتناول حدس الروح بذهن غير مُجَدَد يمكن أن يكون كارثة. وبالرغم من ذلك، فكل مرة نصدق الكلمة التي تأتي إلى روحنا،

يطلق الإيمان قوة الروح القدس من الروح إلى الذهن. وعندما تصبح تلك هي استجابته المعتادة سيصبح الذهن مؤسساً على الروح، وذلك كما تقول لنا رومية ٨: ٦، هو الحياة والسلام للذهن.

لقد تعاملنا في موضع آخر باستفاضة مع تجديد الذهن ولكننا نستطيع هنا أن نرى كيف يحدث هذا بالفعل. إن الروح القدس، الذي يعلم فكر الله، يأتي ليكون بجانب ذهننا ليرفعه إلى القدرة على التفكير بفكر الله على هداه.

الفصل الثالث والعشرون

الضمير والإرادة

إن فكرة أن الإيمان خط ربط أو جسر بين العقل والروح يمكن أن تكون رؤيةً جديدة، لكن خط الربط بين الوعي وبين الإرادة هو شيء معروف كليةً لنا كلنا. فهو، بالطبع، الطاعة. فعندما يقول الضمير "يجب أن تفعل"، يجب أن تستجيب إرادتي قائلةً "سأفعل". وعندما يقول الضمير "يجب ألا تفعل"، يجب أن تقول إرادتي "لن أفعل".

ليس هناك وظيفة للروح البشرية أكثر أهمية للحياة بحسب الروح من الضمير، ولكن هناك مظاهر للطاعة تحتاج لأن تُستكشف لأنه، قد أُسيء فهمها جداً، حتى بواسطة المسيحيين الناضجين وكثير من الوعاظ. فعلى سبيل المثال، نحن أحياناً ما نعطي انطباعاً، بأن الطاعة هي نوع من الدواء الأخلاقي. إنه غير سار ولكنه بالتأكيد مفيد لنا! وفي أوقات أخرى نخلط بين **الطاعة والامتثال**، والامتثال هو واحد من أخطر ملامح المجتمع الحديث. إنه أحد الطرق التي يتخذها الناس كي يتجنبوا المسئولية الشخصية والأخلاقية. ففي حالة الامتثال، يتم تفويض مسئولية

الاختيارات الأخلاقية إلى أعلى، أي إلى الزعماء والرؤساء والساسة أو الجهاز الحزبي. وكل ما على الفرد أن يفعله هو أن يطيع الأوامر، أن يقوم بالذي طُلِب منه أن يفعله. وطبيعة أو عواقب تلك الأوامر لن تعد تعنيه. وهذا يؤدي إلى ما نحن عليه اليوم: يقع الشر السافر الذي لا يجد من هو مسئول عنه. فالشخص الذي يضغط الزناد أو يزرع الألغام ليس مسئولاً: فهو كجندي مطيع أو كمرؤوس وفيّ لا يقوم إلا بإطاعة الأوامر. والشخص الذي يعطي الأوامر هو ذاته لم يقتل أحداً، ولم يسفك قطرة من دم بريء، إنه لا يشعر بالذنب وهو نفسه يطيع فقط الأوامر، منفذاً لقرار سياسي أُتخذ بشكل لم يزل أبعد عن الدموية من تنفيذه. والكتاب المقدس يوضح بجلاء أن الطاعة كمجرد طاعة ليست بالضرورة حسنة في ذاتها.

"ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة. أنتم عبيد للذي تطيعونه إما للخطية للموت أو للطاعة للبر" (رو ٦: ١٦).

المحبة والحرية

الله، بسبب طبيعته وغايته من أجل الإنسان، ألزم ذاته بأسلوب فائق كي يحافظ على حرية الإنسان. والاستجابة التي يسعى إليها الله من الإنسان هي المحبة، وكما قلنا في موضع آخر، إن المحبة إما أن تكون اختياراً أخلاقياً حراً، أو أنها لا شيء. والمحب أيضاً عليه دائماً أن

يخاطر بأنه من الممكن أن يقول من أحبه له "لا". لقد خاطر الله بأن يقول الإنسان "لا" لمحبته، وكانت الجلجثة هي الثمن الذي دفعه في النهاية من أجل تلك المخاطرة.

وبسبب التزامه بتكامل شخصية الإنسان، حدد الله دائماً تدخله في شئون الإنسان في حدود الاستعداد البشري. وحتى عندما أرسل الآب ابنه إلى العالم، كان من اللازم أن يكون هذا من خلال إرادة بشرية خاضعة. فعندما جاء جبرائيل بالبشارة إلى مريم، لم يحدث شيء حتى نطقت بكلمات الخضوع الرائعة،

"هوذا أنا أمة الرب، ليكن لي كقولك" (لو ١ : ٣٨).

وبنفس الطريقة لن يدخل المسيح، فادينا، القلب حتى تفتح الإرادة مغاليق الباب. وإذ يكون هو بداخل القلب، سيحترم الإرادة البشرية بنفس القدر. فالروح القدس الذي يسكن بداخل روح الإنسان المخلوقة من جديد لن يتحرك تجاه حياة النفس بدون الاستجابة الحرة لإرادتنا. إن إرادة الله كلية القدرة لن تحطم الإرادة البشرية المحدودة الضعيفة، إذ أن الله ملتزم بشدة بكيان الإنسان الأخلاقي.

المحبة والطاعة

تعبر المحبة عن نفسها بأساليب مختلفة في العلاقات المختلفة. ففي العلاقة بين الإنسان والله، أو المخلوق والخالق، أو الابن والأب، **يتم التعبير عن المحبة في المقام الأول بالطاعة.** وحتى بالمعنى البشري، نجد أن علاقة محبة الطفل بوالده هي *"أيها الأبناء أطيعوا والديكم"* ولأن الطاعة تعبر عن المحبة، لذا يجب أن تكون استجابة الإنسان هي طاعة القلب المعطاة بحرية كاملة. يجب أن تكون أكثر من الانحناء أمام القوة العليا، أو الامتثال على أساس الخوف أو الضغط. ولهذا السبب أعطيت وصايا الله إلى الضمير والإنسان دائماً حر في أن يختار أن يكون طائعاً أو عاصياً لها.

"فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها" (رو ٦ : ١٧).

ولأن الإنسان حر في أن يطيع أو يعصي، فالطبيعة الحقيقية للعصيان تفتضح أيضاً. إنها ليست ضعفاً، ولا سوء حظ، وإنما هي تمرد، رفض للمحبة ورفض للمحبوب.

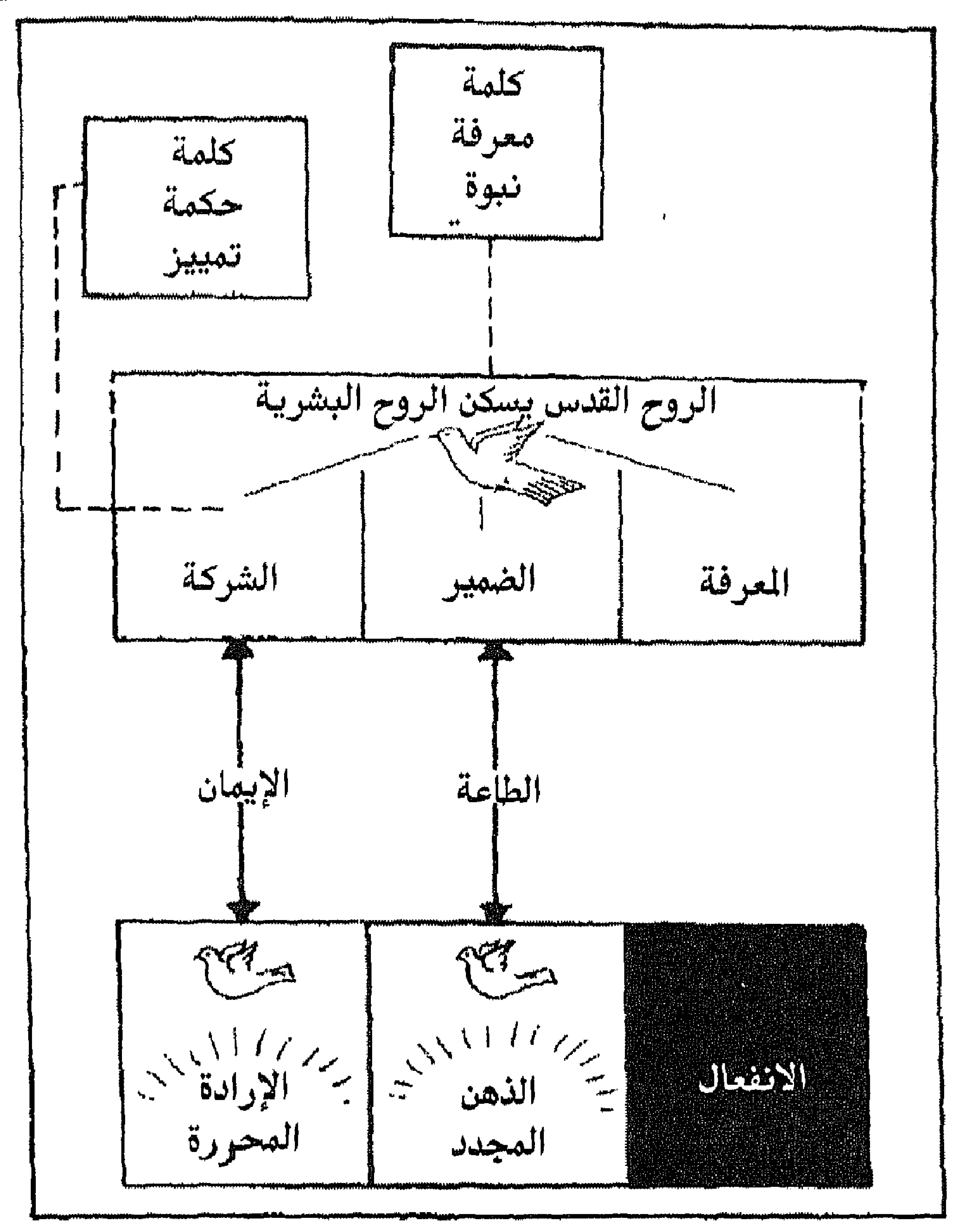
"هكذا قال الرب. قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم. ولكنهم قالوا لا نسير فيه" (إر ٦ : ١٦).

الطاعة والحرية

ومن المتناقضات الواضحة في الحياة المسيحية هي أن الطاعة تجعلنا أحراراً. "فإرادتي هي ليست لي"، كما قال كاتب الترنيمة، "حتى أجعلها إرادتك". إنه على حق، ومثله كل القديسين والروحانيين. فالطاعة والخضوع، يعنيان، الحرية والذاتية. (انظر شكل ٢١).

وبالرغم من أن الله لديه اهتمام عظيم للحفاظ على حرية الإنسان، إلا أن الشيطان ليس له هذا الأمر. لقد اكتشف الإنسان على الفور أن التمرد ضد المحبة الطائعة لله لا يأتي بالحرية: إنه يضيعها. لقد أتى الشيطان إلى فراغ القوة الذي خلقه التمرد. وسرعان ما وجد الإنسان نفسه في عبودية الخطية ووقع في شراك طغيان الظلمة. وحتى لما أُفتدينا كمسيحيين من قوة الشيطان، نجده يرمي بشباكه على إرادتنا. فهو يستخدم قوة العادة، ويلعب بالخوف والشهوات حتى يتحكم فينا ويستغلنا. كيف نتحرر إذن؟ ليس هناك إلا طريقة واحدة وهي الطاعة الكاملة لربوبية يسوع.

إن ظاهرة الربوبية تلك نتجاوز عنها عموماً. فنحن نهتم بجانبنا نحن في العلاقة بالله، بالطاعة والالتزام، بالتكريس والتلمذة. ولكن لماذا يريد يسوع أن يكون رباً؟ ليس لكي يستطيع أن "يتسيد" علينا. ليس هذا على الإطلاق.



شكل ٢١ – العقل والإرادة

"أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن

يغسل بعضكم أرجل بعض" (يو ١٣ : ١٣).

إن يسوع يريد أن يكون رباً حتى يستطيع أن ينفذ مسئوليات الربوبية من أجلنا. إنه يريد أن يكون رباً لأنه هو الأوحد الذي له الحكمة الكافية لقيادة حياتنا بالشكل الأمثل، وهو الأوحد الذي له القوة الكافية لإبقائنا أحراراً من الشيطان. ونحن نعرف تحت ربوبيته الحرية الكاملة. فإن حدنا عن حمايته لن تدوم حريتنا خمس دقائق: فالشيطان يسعى إلى ذلك.

كيف يحررنا يسوع اليوم؟ بنفس الطريقة التي حرر بها البشر خلال زمانه على الأرض، بقوة الروح القدس.

"روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشر المساكين. أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية ..." (لو ٤ : ١٨).

عندما حرر يسوع الناس من المرض، فعل ذلك بمسحة الروح القدس (أعمال ١ : ٣٨)، وعندما حرر الناس من الشياطين كان ذلك بروح الله (متى ١٢ : ٢٨). وإننا نتحرر بنفس الروح. فعندما نستجيب بالطاعة، ستُطلَق قوة الروح القدس إلى نطاق الإرادة البشرية.

"... وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية" (٢كو٣: ١٧).

ولأنه هو روح الحرية، فكل ما يلمسه يتحرر. إنه لا يقدر أن يعيش مع العادات، والقهر، وإدمان المخدرات، وإدمان الخمر. والاستعبادات الداخلية، لهذا، فهو يحطم النير ويطلقنا أحراراً. ليس هناك شيء على هذه الأرض يمكن مقارنته بأن نكون أحراراً لنبتهج بعمل إرادة الله.

"فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية" (غل ٥: ١).

الطاعة والقدرة

إننا نستطيع الآن أن نبدأ في رؤية أن وصايا الله هي أيضاً إعطاؤنا القدرة. فعندما نستجيب بطاعتنا البشرية الضعيفة لوصاياه، ستستطيع قوة الروح القدس أن تصل إلى إرادتنا البشرية حتى أن أضعف المسيحيين إرادةً سيمكنه أن يقول، *"أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني"* (في ٤: ١٣)

إننا نقرأ أوامر الله، *"كونوا قديسين كما أنا قدوس"*، أو *"أحبوا أعداءكم، وصلوا من أجل الذين يضطهدونكم"* فنصيح قائلين "مستحيل!" ولكن الله لا يُنزل من مقاييسه لأن الإنسان قد فشل. ولكنه بدلاً من هذا يسكن الإنسان بروحه القدوس، وعندما يستجيب الإنسان بالطاعة، يأتي الروح القدس بجانب الإرادة البشرية الضعيفة ويرفعها إلى القدرة على إتمام بر الناموس.

"لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو ٨: ٤).

"لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (في ٢: ١٣).

إن هذا هو أسلوب الله في التمكين: فمن خلال الطاعة نستطيع أن نكتشف في أنفسنا أن نعمته تكفينا أيضاً: *"تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل"* (٢كو ١٢: ٩).

الطاعة والمعرفة

كما قلنا، فإن العلاقة بين الضمير والإرادة هي علاقة حتمية في كل ما يتعلق بالسير بالروح. وليست قوة عمل إرادة الله يمكن أن تكون متاحة فقط من خلال الطاعة، ولكن الطاعة هي أمر هام جداً لمعرفة صوت الله. إن العصيان، لأنه يطرد الروح القدس من حياة النفس، هو عائق لا يمكن تخطيه لسماع الله. إنني أجد أنه من الصعب سماع صوت الله، ليس لأن الله لا يتكلم، ولكن لأنني لا أريد في الحقيقة أن أسمع الله، في حالة ما إذا أراد أن يتكلم عن عدم طاعتي! ربما أقول إنني أريد أن أسمع الله، ولكنني بالفعل أريد أن أنتقي ما أسمعه وهذا لا ينفع. ولهذا السبب يكون الإرشاد الروحي بالغ الصعوبة إذا ما كنا غير طائعين، أو هناك شيء يقلق

ضميرنا. وإنني لا أريد أن أقول هنا أن كل المشكلات في الإرشاد الروحي تنبع من عدم الطاعة أو الخطايا غير المعترف بها. على الإطلاق! ولكن ما أقوله هو أن عدم الطاعة أو الخطايا غير المعترف بها **دائماً** ما تخلق مشاكل في الإرشاد. إن هذا هو نفس الشيء مع الفهم الروحي. لقد أوضح يسوع أن الطاعة هي الطريق إلى معرفة الله.

"إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي" (يو ٧: ١٧).

والآن يمكننا أن نرى كيف أن الله خلق الإنسان لكي يكون قادراً على الحياة في طاعة مستجيبة للحكمة الإلهية بدون نفي أو تجاهل لملكات العقل والحكم البشري اللذين منحهما الله له.

وفي المواقف العادية نتلقى معلومات من الظروف والعوامل الداخلة فيها. ويعمل عقلنا ومشاعرنا على هذه البيانات محللاً ومُقّيماً ومعطياً حُكماً. ولكننا من خلال روحنا يكون لنا مدخل إلى بيانات من منظور الله، كيف تبدو الأشياء في عين الحكمة الإلهية. وعندما نحتاج لأن نصنع قراراً أفضل من ذلك الذي يمكن أن نصنعه من البيانات الزمنية، أو عندما تضللنا المعرفة الحسية، تصل إلينا الحكمة الإلهية بشهادة الروح القدس إلى ضميرنا. أي مصدر من التوجيه يمكن الإرادة أن تتبعه: العقل أم الضمير، الظروف الخارجية أم صوت الروح القدس؟ وهنا نرى كيف يتناول يسوع

مثل تلك المواقف.

"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً. كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني"

(يو ٥: ٣٠)

وفي النهاية، لم يقرر يسوع على أساس البرهان الحسي، وإنما بما "سمعه" بروحه: أي بضميره. فحكمه كان دائماً صحيحاً: لأن طاعته كانت كاملة، لذا فإن "سماعه" كان غير فاسد. إننا بالتأكيد لن نضاهي أبداً حكم يسوع، ليس لأننا لا نقدر على الوصول إلى نفس الحكمة، لأنه هو ذاته الآن قد جُعل حكمة لنا، ولكن لأن طاعتنا ليست كاملة. ولكن الروح القدس يفهم كل ذلك ومازال يريد وقادر على إرشادنا، بشرط استعدادنا للطاعة.

هناك إيضاح هام جداً لذلك في الإصحاح السادس عشر من سفر الأعمال. فمن الواضح أن بولس كان يحاول أن يجد إرشاداً من الروح بنفس القدر الذي نحاوله نحن في أغلب الأحيان: بالتجربة والخطأ!

ففي عدد ٦ نقرأ، *"وبعد ما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة في أسيا."* كان بولس يستجيب إلى ضابط في روحه. مُنع من التكلم بالكلمة في آسيا. لماذا؟ ليس هناك سبب من الظروف المحيطة وليس هناك توجيه غير هذا حتى يحاولوا شيئاً آخر.

عـدد ٧، *" فلما أتـوا إلى ميسيا حـاولوا أن يذهبـوا إلى بثينيـــة فلـم يدعـــهم الـروح."* لم يكـن هنـاك شـاهد علـى موافقـة الـروح القـدس علـى خططـــهم، لـــذا نجدهم تراجعـوا عـن تلـك الخطـط.

ولكنـــهم عندمـــا جـــاءوا إلى تـــرواس، رأى بولـــس في رؤيـــا رجـــلاً مكدونيـــاً يقـول، "تعـال إلى مكدونيـة وأعنـا"،

"فلما رأى الرؤيـــا للوقـــت طلبنـــا أن نخـــرج إلى مكدونيـــة متحققـــين أن الـرب قـد دعانـا لنبشـــرهم" (أع ١٦ : ١٠).

لقـد كـانوا علـى صـواب. ولكـن إن لم يكونـوا طـائعين للمنـع الأول الـذي مـن الروح القدس لما كـانوا في موقـف قبـول لإرشـاد الله عنـد مـا جـاء إليـهم.

بالنسبة للمواهب الروحية

إن مـا درسـناه لـه أيضـاً علاقـة بعمـل المواهـــب الروحيـــة الخاصـــة، فعلـــى سـبيل المثـال، مـا اختـــبره بولـــس في الرؤيـــة الـــتي في أعمـــال ١٦ كـــان **كلمـــة حكمـــة**، (١كـو ١٢ : ٨). والحكمـة، كمـا أشـرنا قبـلاً، تتصـل ببلـوغ الأهـــداف. إنها إرشـادية، ولأنـها إرشـادية، فإنـها تدعـو للطاعـة.

وأحد اختبـارات الارتكـان علـى كلمـة الحكمـة، هـو المـدى الـذي تكـون فيـه حيـاة النفـس للشـخص الـذي تـأتي منـه كلمـة الحكمـة في حيـاة طاعـة حقيقيـــة

متضعة. **فإن لم تكن طائعاً لإرادة الله لحياتك فلن تعرف أبداً إرادة الله من أجل حياة شخص آخر.** إن كلمة الحكمة هي موهبة تُمارَس بواسطة الناضجين، وليس بواسطة هؤلاء الذين، هم أنفسهم، لم يُختَبروا بعد في مدرسة الطاعة. إن فهما مثل ذلك يمكن أن يجنبنا كثيراً من المشكلات وكثيراً من المعاناة الناتجة من النبوات الموجهة التي تُعطَى بواسطة هؤلاء الجدد وغير المختبرين في مجال المواهب الروحية. هناك بالتأكيد خدمة تنبؤ إرشادية وتستطيع أن تفصح عن إرادة الله في حياتنا، ولكنها خدمة نضج. ليس هناك أنبياءً كثيرين في الكنيسة اليوم، والصادقين منهم هم أناس قد عبروا هم أنفسهم خلال بوتقة تجربة الله. وبالنسبة للباقين، فإجابة الرب لهؤلاء الذين يسألون، *"يا رب، ماذا سيفعل هذا الإنسان؟"*، تكون هكذا *"فماذا لك؟ اتبعني أنت!"* (يو ٢١: ٢٢).

وهناك موهبة روحية أخرى تتأسس مباشرة على عمل الضمير وهي **تمييز الأرواح.** (اكو ١٢: ١٠) وفي مناقشتنا السابقة عن دور الضمير، أشرنا أنه يشهد للحق. فالضمير هو الذي يشهد عن حق أو باطل روح، سواءً كانت بشرية أو غير ذلك.

ومن المستحيل أن نغالي في التركيز على أهمية الضمير النقي في خدمة الخلاص، لأن حضور الروح الشرير في النهاية، يُعرَف بالتمييز وليس بالأعراض الظاهرية. فلقد واجهت ظواهر كان لها كل دلائل الحالة

التقليدية للامتلاك بالشياطين، ولم أجد ذلك في النهاية إلا كنتيجة لجرح عاطفي عميق أو ضغط عقلي. ومن جهة أخرى، ذهبت أصلي مع شخص له احتياجات جسدية ووجدت أن تلك الحاجة هي شيطان. فالإفراز هنا هو معرفة الحقيقة بالنسبة لموقف روحي، ولأن الضمير هو الذي يشهد للحقيقة، فالإفراز الدقيق يحتاج لضمير نقي.

ويمكن تطبيق ذلك بالمثل على الحكم على النبوة، ففي الحقيقة، في (١كو ١٢)، يتصل الإفراز بالنبوة بنفس الطريقة تقريباً مثل ارتباط الترجمة بالألسنة. فالنبوة يمكن أن تأتي من أحد ثلاثة مصادر. يمكن أن تأتي من الروح القدس، ويمكن أن تأتي من مجرد الروح البشرية للشخص الذي يتنبأ، أو ، في حالات أكثر ندرة، قد تأتي من روح مُضللة. كيف يمكن إذن أن نقرر ما إذا كانت كلمة النبوة حقيقية من الرب أم لا؟

"بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله". (١يو ٤ : ٢)

إنه امتحان حيوي، ولكنه ليس بمعين في أكثر المواقف التي نواجهها شيوعاً: بمعنى، إننا عندما نقرر ما إذا كانت النبوة التي يأتي بها أحد الأخوة، هي في الحقيقة ما يتكلمه الرب أم مجرد شيء من روحه البشرية واعتقد هو أنه من الرب فالإجابة نجدها في (١يو ٤: ٦):

"نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع

لنا من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال" (ايو ٤: ٦).

في إنجيل ورسائل يوحنا، تشير الكلمات مثل الرؤية والسمع في أغلب الأحيان إلى الرؤية والسمع الروحيين. و"يسمع" قد أُستخدمت بنفس الشكل هنا. فيوحنا يقول إن الكلام الروحي الحقيقي هو ذلك الذي "يسمعه" شعب الله ليس فقط بآذانهم لكن أيضاً بروحهم. لذا، فإذا ما أردت أن تعرف ما إذا كانت نبوةٌ ما من الله أم لا، وأنت غير متأكد ما إذا كنت قد سمعتها بضميرك، اسأل حولك. حاول أن تجد ما إذا كان أخوتك الروحيون قد "سمعوها" أم لا. فتماماً مثلما يكون عمل موهبة النبوة حدسياً، كذلك يكون الحكم على النبوة بالحدس أيضاً.

وهناك ظاهرة أخرى للحكم على النبوة وهي هامة جداً. كلما كان ضميرنا منفتحا لدخول كلمة الله (كلما كانت كلمة النبوة أكيدة كما يدعوها بطرس) كلما تتدربت حواسنا الروحية على تمييز الحقيقي من الزائف والإلهي من البشري، عندما نسمع النبوة تُقال في اجتماع.

وأخيراً هناك موهبة **الإيمان** (١كو ١٢: ٩). إننا نذكره في هذا السياق لأن الإيمان يتطلب دائماً استجابة من الإرادة مثلما يتطلبها العقل. فإن كانت تلك الاستجابة لا تذهب أبداً أبعد من الموافقة العقلية فلن تؤثر إطلاقاً على سلوكنا ولن ترقى إلى إيمان الكتاب المقدس. فالإيمان بكلمة الله دائماً ما يكون له عنصر إرادي، لهذا فالثقة والطاعة يسيران دائماً معاً.

"بالإيمان إبراهيم لما دُعيّ أطاع ..." (عب ١١ : ٨). إن ملحمة قديسي العهد القديم الذين كان عندهم موهبة الإيمان هو سجل مدون عن هؤلاء الذين عملوا بهذا الإيمان: نوح يبني الفلك، إبراهيم يقدم اسحق، موسى يعبر البحر الأحمر، جدعون ورجاله الثلاثمائة، داود بمقلاعه ضد جليات. وهكذا، فإن كنا نسأل نوال موهبة الإيمان، فليكن واضحاً في فهمنا أنه سيتطلب طاعةً، تلك الطاعة التي أظهرها بطرس على بوابة المعبد.

"فقال بطرس ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فإياه أعطيك. باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش. وأمسكه بيده اليمنى وأقامه ففي الحال تشددت رجلاه وكعباه" (أع ٣ : ٦– ٧).

الفصل الرابع والعشرون

العبادة والانفعال

لقد أوضحنا أن الحياة من منطلق الروح تعني أن قدرة الروح الحدسية تأخذ أولويةً على تفكير العقل، وأن الضمير يوجِه الإرادة. والآن علينا أن نرى كيف أن وظيفة العبادة أو الاتحاد الذي للروح قد قُصد به أن يحكم ردود الأفعال الانفعالية للنفس.

إن هذا بالتأكيد لمجال غير معهود لنا. فربما يجب عليك، مثلي، أن تفترض أن أي تحكم في الانفعالات يجب أن يأتي من الإرادة. إننا نقول للشخص "تحكم في أعصابك!" أو "لا تترك نفسك للغضب!". ولكن مثل هذا التحكم له تأثير محدود جداً، وهو يبدو، على أي حال، أنه يعمل في اتجاه واحد فقط. بمعنى أن المشاعر يمكن أن تُكبَت بواسطة الإرادة، ولكنها لا يمكن أن تتولد بقوة الإرادة. إنني لا يمكن أن أريد أن ذاتي تكون سعيدة أو حزينة أو حتى خائفة. وكلما حاولت بشدة، كلما أصبح من الأكثر استحالة أن تتولد أي استجابة انفعالية من ذلك على الإطلاق.

لقد خلق الله الإنسان على صورته، لقد قصد أن تكون روحه البشرية

هي المركز الحاكم لشخصية الإنسان وليس إرادته. وأكثر من ذلك، أن المسيحي له مدخل من خلال روحه إلى أقنوم الروح القدس الساكن فيه ولكن ما دلالة هذا بالنسبة للحياة الانفعالية؟ من الواضح أن هناك دلالة ما، لأن الروح القدس يملك كل الصفات التي نحتاجها بشدة في حياتنا الانفعالية. المحبة، الفرح، السلام، طول الأناة، اللطف، الصلاح، الإيمان، الوداعة والتعفف (غل ٥: ٢٢- ٢٣). والسؤال الآن هو: "كيف نعطي الروح القدس، الذي يسكن في روحنا، مدخلاً لمنطقة مشاعرنا؟" وما هو الجسر الذي يصل الوظيفة الروحية للشركة والعبادة بمنطقة حياة النفس التي نختبر فيها المشاعر؟

إنه لسؤال على درجة كبيرة من الخطورة لأن منطقة الانفعال هي التي يكون الناس مجروحين فيها في أكثر الأحيان. والإجابة يمكن أن تتلخص في كلمة واحدة، (انظر شكل ٢٢).

الرجاء – الفضيلة المُهمَلة

لقد أنهى بولس ترنيمته الرائعة للمحبة في ١كورنثوس بالكلمات المعروفة:

"أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة" (اكو١٣ : ١٣).

وفي تسالونيكي الأولى يربط الثلاثة مرة أخرى،

"متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينا" (اتس ١ : ٣).

إلا أن هناك شيئاً غريباً جداً هنا. فلقد سمعت مئات العظات حول موضوع الإيمان، وربما بنفس القدر عن المحبة. ولكن على قدر ما أتذكر، طوال حياتي كلها سمعت عظتين فقط عن الرجاء، ولقد وعظتهما كلتيهما أنا نفسي. حقيقةً، أن بولس يقول أن المحبة هي الأعظم، ولكن ما كان يجب أن يُهمَل الرجاء بهذا الشكل المحزن. ولكن بولس كان محقاً. فالرجاء مفهوم رائع ويحول الحياة بأسرها، وذلك عندما نفهم ماذا يعني في الحقيقة.

دعني أعطيك تعريفاً كتابياً للرجاء.

- **الرجاء ثقة وتوقع محبب لشيء حسن.**

لاحظ أن ذلك التعريف للرجاء له جذور ثلاثة:

١. الثقة.

٢. التوقع.

٣. الأمان.

الرجاء، لأنه موثوق فيه، آمن ومتوقَع، يخلق في الشخص الذي يملكه اتجاهاً داخلياً للانفتاح تجاه الله، الانفتاح تجاه الناس الآخرين والانفتاح تجاه الحياة. إن هذا لمن الأهمية القصوى، لأننا سنختبر فقط ما نقبله وسنقبل فقط ما ننفتح إليه.

الانفتاح قبول يُعتبر نادراً نسبياً، حتى بين المسيحيين. فهناك نوعيتان رئيسيتان من البشر: يقول الذين ينتمون للنوعية الأولى "لا تتوقع أي شيء أبداً وبهذا لن تصاب بخيبة أمل" إنهم المتفائلون. بينما يقول المتشائمون "توقع الأسوأ دائماً، فلا تصاب بخيبة أمل مهما حدث". هل تظن أنني غير منصف في هذا؟ إذن فكر كم منا يقيم، في العادة، حواجز حماية ضد الحياة وضد الناس وضد الله، ثم اسأل نفسك لماذا لا ننال أبداً أي شيء!

الرجاء هو في الحقيقة الجانب الآخر من الإيمان. والإيمان يعني إنني ألزم نفسي بالثقة في آخر. والرجاء يعني أنني أتوقع أن ما قدمته سيُستجاب له، لذا فأنا منفتح لنوال تلك الاستجابة. ومن منطلق هذه الثقة وهذا التوقع تتولد إمكانية المحبة. فالأمر يحتاج كلا من الإيمان والرجاء لكي تتولد المحبة. ويجوز لنا أن نضع (١كو ١٣: ١٣) في شكل معادلة.

إيمان + رجاء = محبة

وكثير من المحاولات على مستوى العلاقات الشخصية تُجهَض، لأننا نخاف أن نلزم أنفسنا بثقة الآخر، أو لأنه ليس لنا ثقة بأن ما قد قدمناه

للآخر لـه قيمـة وسـيُقدَر ويُستَجاب لـه. إننـا نفشـل في عبـور الهـوة بيننـا : فإمـا أننا لا نصل إلى الآخـر، أو لا نسمح لـه بـأن يصـل إلينـا.

إن الإنسـان الخجـول، أو الشـخص الـذي يعـاني مـن عقـدة النقـص، يعـاني مـن مشـكلة رجـاء. أسـتطيع أن أتذكـر عندمـا كنـت أحـادث نفسـي في أيـام شـبابي، "لا تجعـل أبـداً النـاس يقـتربون منـك، لأنـهم إن اكتشـفوا مـن تكـون سيفقدون اهتمامهم بك علـى الفـور" لـذا فلـم أخـاطر بذلـك أبـداً.

وكثـير مـن النـاس عندهـم نفس المشـكلة مـع الله. ليـس كعـدم اسـتعداد لأن يثقـوا بـالله، ولكـن كغيـاب أي ثقـة مـن جانبـهم بـأن الله يُقَـدر مـا يقدمـوه لـه وأنه سيستجيب بأي طريقة لمـا ينفتحـوا بـه إليـه. وأحيانـاً مـا كنـت أسـأل مثـل هؤلاء الناس "لـو كـان عليـك الآن أن تسـأل الله مـن أجـل شـيء مـا، هـل تعتقـد بحـق أنـه سيسـمعك أو يجـاوبك؟" وفي أكـثر الأحيـان يبـدو عليـهم الانـهماك في التفكير ويقولون، "أتمنـى أن اقـدر علـى تصديـق هـذا، ولكـن لكـي أكـون صادقـاً معك، إنني لا أشـعر بـأن الله مـهتم بـي حقـاً".

والعكـس بـالضبط صحيـح. فقيمتنـا كـأفراد بالنسـبة لـلآب لا تُقـدّر بثمـن. إنـه يقـول لنـا إننـا قـد أُشـترينا بثمـن عظيـم وأن حتـى شـعور رؤوسنا مُحصـاة، لهـذا، فعندمـا نصـل بالثقـة، أو العبـادة أو الحاجـة إلى الله فإنـه دائمـاً ودائمـاً مـا يسـتجيب. ولهـذا السـبب يكـون التوقـع الواثـق للأشـياء الصالحـة مـن الله مؤسساً دائمـاً علـى أسـاس رصـين.

"والرجاء لا يُخزي لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا" (رو ٥: ٥).

والاتجاه الثابت للتوقع الواثق يجب أن يكون علامة للأمان لكل مؤمن، لأن الله هو إله رجاء.

"وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس" (رو ١٥: ١٣).

الرجاء والذهن

يجب أن أعترف أنني منذ زمن طويل كان فهمي محدوداً جداً لسلاح الله الكامل الذي في إفسس ٦. لقد كنت أستطيع أن أتخيل قطع العتاد المتنوعة (وأن أتصور نفسي أصارع فيهم مثل فرسان العصور الوسطى)، ولكن الأمر كان يبدو لي ذا دلالةٍ ضئيلة جداً. إلا أنني في يوم ما، إذ كنت أقرأ (١تس ٥: ٨)، رأيت شيئاً.

"وأما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص".

لقد كان الثلاثة هناك أيضاً، الإيمان والرجاء والمحبة مرة أخرى، ولكنني الآن أدركت أن **الرجاء قد قُصد له أن يكون حارساً للذهن،**

حمايةً كاملة ضد الإحباط، القلق، التشاؤم وكل أشكال التفكير السلبية. أين، بعد كل شيء، يمكن أن تتوالد مثل هذه الأشياء؟ في عقل منغلق في الظلام بلا أي رفيق سوى مخاوفه. وما الذي يطرد الظلام؟ النور. وكيف تُدخِل النور إلى الداخل؟ افتح! وماذا يطرد الخوف؟ المحبة الكاملة. وكيف تحصل على المحبة؟ الإيمان والرجاء، الثقة والتوقع، الشجاعة في أن نعطي والانفتاح لأن ننال!

لقد كان إبراهيم هو الذي شرح أصلاً هذا النوع من الرجاء.

"فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أباً لأمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك" (رو ٤ : ١٨).

ولكن يسوع ذاته كان المثل الأعلى للرجاء. فلم يكن أبداً من قبله أو من وقته، حياة رجاء مثل تلك. إن غمس اللقمة في صحفته بعد العشاء، ذلك التعبير المؤثر للمحبة والمصالحة، لم يكن حركةً بلا معنى. إنني اعتقد أن يسوع في آدميته المباركة ترجى حتى النهاية أن يرجع يهوذا ويخلص نفسه. ولقد عرف يسوع أيضاً خطأ بطرس القاتل. ولقد عرف أن بطرس سيسقط وينكره، ولكنه كان لا يزال يقول:

"وقال الرب سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة" (لو ٢٢ : ٣١).

الرجاء والانفعالات

ومع هذا، فإننا، بادئ ذي بدء، نحتاج لأن نرى موضع الرجاء بالنسبة للانفعالات. فلنأخذ داود في مزمور ٤٢، في واحد من أشد مواقفه كآبةً والتي يمكن أن نوحد أنفسنا بها بسهولة، *"لماذا أنت منحنية يانفسي ولماذا تئنين فيّ."* ولكن داود عرف، كما يبدو القيمة العلاجية الكبرى للرجاء لشفاء المشاعر المضطربة. فصرخ *"ارتجي الله لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه."* (مز ٤٢ : ٥).

إن اتجاه الانفتاح والتوقع الذي يدعوه الكتاب المقدس رجاءً يُعتبر من الأهمية الحيوية لتوازننا الانفعالي. إنه ليس مجرد تفاؤل أعمى أو قدرية نقول أمامها لأنفسنا "ستكون الأمور على ما يُرام". الرجاء اتجاه واثق منفتح تجاه الله، لأننا نعرف أن كل اختباراته من أجلنا تتحرك بدافع المحبة اللانهائية وتتوجه بحكمة غير محدودة. وكل موهبة صالحة كاملة، نتعلمها، تأتي من أبينا غير المتغير أبداً في إحسانه. (يع ١ : ١٧). وفي أصعب الأحوال نكتشف أن الله يعمل لخيرنا. (رو ٨ : ٢٨). من لا ينفتح لكي ينال بهذا الشكل؟

إننا غالباً ما نجد أنفسنا أمام مواقف مُهدِدة أو أعلى من قدرتنا على التصرف لذا نستجيب بأسلوب دفاعي أو بخوف أو غضب أو ضيق ولكن عندما يكون عندنا اتجاه للانفتاح تجاه الله، نستجيب أيضاً إلى معلومات من مصدر آخر،

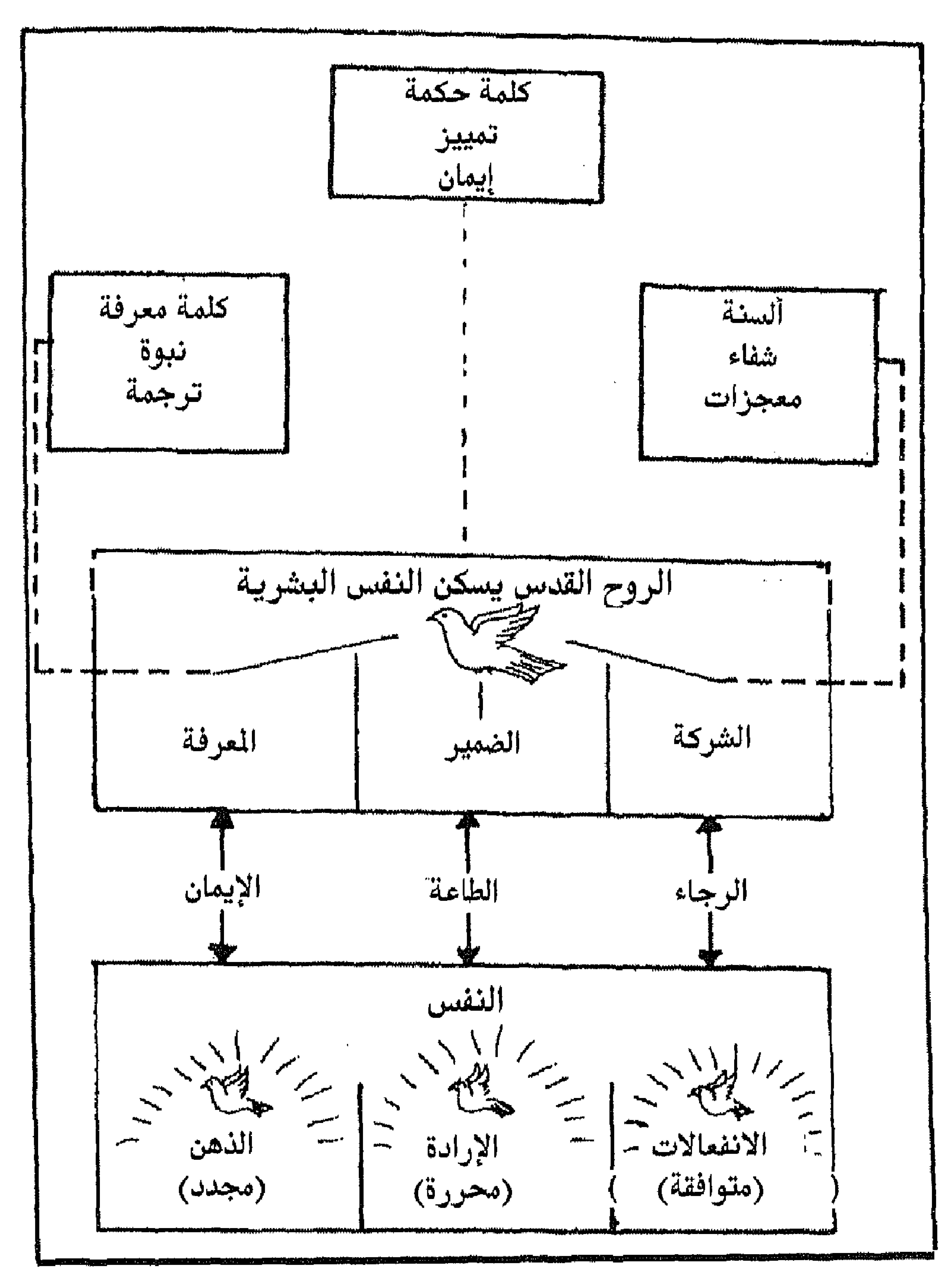
فنرى مواقف وظروفاً من موضع أمان داخلي، فإننا نقيس في تلك الحالة الصعوبات والمشكلات بمقياس قدرة الله الذي في صفنا ويعمل في جانبنا.

هناك مثل جميل في العهد القديم. إليشع في دوثان والمدينة محاطة بالجيش الآرامي. خادم النبي قد أمسكه الذعر، *"آه يا سيدي، كيف نعمل؟"* ولكن إليشع، كان لدهشة خادمه غير خائف، لقد كان هادئاً لأنه كان له معلومات أخرى يسلك بها *"لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم."* ثم صلى إليشع قائلاً، *"يا رب افتح عينيه فيبصر. ففتح الرب عيني الغلام فأبصر وإذا الجبل مملوءاً خيلاً ومركبات نار حول إليشع"* (٢مل ٦: ١٧).

إلا أن الرجاء له أهمية أكبر بكثير من مجرد إعطائنا معلومات أصدق وأكثر ارتكاناً لكي توجه استجاباتنا الانفعالية. وكما سترى من رسمنا التوضيحي، إنها تزودنا بالصلة الأساسية التي نحتاجها لكي نسمح للروح القدس بأن يأتي إلى مناطق مشاعرنا. لقد استكشفنا مدلول ذلك بمعنى الشفاء الوجداني، ولكنه يحمل ما نكرره بإيجاز هنا أيضاً.

- ***أولاً:*** إنه يعطي للروح القدس مدخلاً لكي يطهر ويشفي الجراح التي غالباً ما تكون مدفونة في مشاعرنا: اختبارات الرفض، الكراهية، الحزن، الفشل وما إلى ذلك. إنه انفتاح الرجاء المتوقع الواثق الذي يسمح للروح القدس بالدخول إلى العواطف لكي يتعامل مع الاحتياجات المدفونة. وعندما نسمح له بأن يفعل ذلك سنندهش

للبراعة اللانهائيـة والحنـان المتنـاهي في الرقـة الـذي يعمـل بـه.



شكل ٢٢ - الروح الانفعالات

- *ثانياً:* إنه يُمّكن الروح القدس من أن يمحو كل الموانع الوجدانية التي يمكن أن تكون قد عوقت النمو في منطقة شخصيتنا. يجب علينا، كما يقول بولس في (أف ٤: ١٥)، أن ننمو، *"في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح"*. فكثير من المسيحيين يكونون ناضجين روحياً وعقلياً ولكنهم غير ناضجين انفعالياً.

ما هي الإجابة؟ لا يمكن أن يُغفَر لنا لكوننا غير ناضجين. يمكننا أن نخرج من ذلك. إن الروح القدس هو روح التبني (رو ٨: ١٥). فالروح الذي يأتي بنا إلى النضج كأبناءٍ، يمكنه أن يمحو ذلك المانع، أياً كان: خوف من الفشل، عقدة نقص، صورة سلبية للذات، أو إحساس متأصل بغياب النيمة. لقد رأيت كل ذلك، وأكثر كثيراً، يُمحَى بالروح القدس، ويتحرر الناس لكي ما ينمو إلى نضج عاطفي رائع.

- *ثالثاً:* اتجاه الترحاب المتوقِع الذي يميز الرجاء يسمح للروح القدس أن يُعبر عن طبيعته فينا. **وهذا هو الأسلوب الذي تُحفَر فيه ثمار الروح القدس في طبيعتنا.** كنت دائماً أتعجب كيف كان لهذا أن يحدث. والعظات التي سمعتها كانت توحي بأننا، بشكل ما، يجب أن ننسخ أو نقلد الروح القدس. كيف يمكنك أن تقلد المشاعر بدون أن تكون غير صادق على الإطلاق؟ هل الطاعة تنتج الثمار؟ أم الإيمان؟ بالطبع لا شيء من ذلك. فالرجاء هو الذي يفعل هذا.

والانفتاح هو مفتاح هذا. لقد قُصد لثمار الروح القدس أن تختبر مشاعرنا، أولاً لأنها هي نفسها مشاعر، وثانياً لأن المشاعر هي أقوى دوافع للسلوك. وهنا يكمن، في الحقيقة، أروع اتزان.

- الله يشاركنا في **حقه**. أننا نقبل حقه **بالحدس الروحي** فينير **الذهن**.

- الله يشاركنا في **حكمته**. إنها تُمَيز **بالضمير** ويُستجاب لها **بالإرادة**.

- والله يشاركنا **محبته**. وهي تُختَبر، في **العبادة**، وتُحَس **بالانفعالات**.

- ومن هذه المشاركة الإلهية لذاته يمكن أن نعرف ليس ما يعنيه فقط أن يكون لنا فكر المسيح (١كو ٢ : ١٦)، وأن نختبر عمل الله فينا كي ما نريد ونعمل (في ٢ : ١٣)، وإنما أيضاً أن نشعر بمحبة المسيح. *"فإن الله شاهد لي كيف أشتاق إلى جميعكم في أحشاء يسوع المسيح"* (في ١ : ٨).

لقد قُصِد لنا أن نشعر في قلوبنا بفيض محبة المسيح غير المتغيرة وغير المشروطة تجاه الآخرين. وأحياناً ما عرفت فيها ذلك، ولكنها كانت كلها تُعطَى لي، بمعنى إننا لا يمكننا أن نعمل ذلك أو نولده من ذواتنا. لا يمكننا حتى أن نتخيل ماذا كان الأمر قبل حدوث هذا، لأن محبة الله تختلف

من حيث الكيف عن المحبة البشرية. لكن الله لديه الكثير جداً منها حتى أنه يفيض من ملئه ويصب محبته في قلوبنا بالروح القدس. فعطاؤنا الأوحد، لو أمكن أن يُدعَى كذلك، هو الانفتاح والتوقع الذي يُمكّننا من نوال ما نُعطَى.

الألسنة والشفاء والمعجزات

إن ما كنا نبحثه حتى الآن يمكن أيضاً أن ينير بعض مظاهر سوء الفهم لمواهبنا الروحية، وعلى الأخص موهبة الألسنة. إننا نتعامل مع الألسنة هنا لأنها أولاً وقبل كل شيء مسألة اتصال، كما أشرنا من قبل، والاتصال شيء نفعله بروحنا. فأنا أتصل بالآخر فقط عندما أصل إليه بروحي لامساً روحه. ومن الممكن، لذلك، أن يكون لنا لقاء حقيقي واتصال صادق بدون استعمال الكلمات على الإطلاق. يمكننا أن نتلاقى، ولا نتكلم كلمة. وفي مواقف الانفعال العميقة (الحب مثلاً أو الحزن أو التعاطف)، يكون هذا ما يحدث غالباً. ولكن إن كنا خلال صداقة عشرين سنة لم نتكلم بكلمات الواحد مع الآخر فذلك يكون نوعا محدودا جداً من العلاقة.

كيف إذن، يمكننا أن نفهم الطبيعة الأساسية لاختبار مثل العماد بالروح القدس؟ العماد بالروح ليس ألسنةً، وليس الفرح، وليس السلام، ولا القوة، ولا القداسة. فأي واحدة من تلك أو كلها معاً يمكن أن تصاحب

العماد بالروح، ولكنه هو في ذاته ليس شيئاً من تلك الأشياء. **العماد بالروح القدس هو أساسا لقاء شخصين.** أحدهما هو الله الروح القدس، والآخر هو روحنا البشرية. وحقيقةً إنني في هذا الاختبار بالفعل، عندما تقابل روحي الروح القدس، لن تكون الألسنة ضرورية. ويمكن أن يكون هناك لقاء صادق واتصالاً حقيقياً بدون ألسنة. ولكن عندما تلتقي روحي بالروح القدس المبارك ذاته، سيكون لروحي أشياء لتقولها، وأشياء تعبر عنها والتي لا يقدر العقل أن يجد لها نطقاً. الألسنة هي موهبة عجيبة للروح القدس إذ تهب الروح بوسيطٍ لتواصلها.

"لأنه إن كنت أصلي بلسان فروحي تصلي وأما ذهني فهو بلا ثمر" (اكو ١٤: ١٤).

"لأن من يتكلم بلسان لا يكلم الناس بل الله لأن ليس أحد يسمع. ولكنه بالروح يتكلم بأسرار" (اكو ١٤: ٢).

إن أفضل وصف لاهوتي للألسنة سمعته حتى الآن أتاني من صديق لي تجدد وامتلأ بالروح القدس. إنه يصف الألسنة بأنها "قوة دافعة روحية فائقة تمضي رأساً من روحنا إلى الروح القدس، بدون أن تعوقها تروس نقل السرعة التي للعقل." وهذا يكاد يكون الواقع تماماً!

فنحن عندما نفهم أن الألسنة ليست إلا وسيط اتصال، سنرى أيضاً أنه ليس من الضروري أن يكون استخدامها مصحوباً بشعور عظيم من الإثارة.

فأحياناً عندما أتكلم الإنجليزية أشعر بالإثارة. إلا أن أكثر الأحيان، اعتبر الأمر عادياً جداً. وأحياناً عندما أصلي بألسنة أشعر بالإثارة أو أرتفع، لكن أحياناً أخرى يكون لروحي مجرد أشياء عادية لتقولها للرب.

إن موهبة **الشفاء** وموهبة **المعجزات** يمكن أن تُعتبر في نفس السياق كالألسنة، لأن في حالتهما أيضاً، يكون عنصر الاتصال مركزيا، حتى ولو كان اتصالا للقوة، وليس للكلمات. وهناك تطابق أساسي في الكتاب المقدس بين الكلمة والقوة. وقوة الشفاء أعقبت كلمات يسوع، فكلمته كان لها قوةً على الشياطين، لقد عمل الرب مع الرسل مؤكدا كلمته بالعلامات التي تبعتها وهكذا.

وفي عمل مواهب الشفاء والمعجزات هناك احتياج للتوجه إلى الانفتاح في اتجاهين:

١. وصول، بالتوقع الواثق، إلى الروح القدس الذي يشفي أو يقوم بالمعجزات.

٢. انفتاح تجاه من نخدمه،حتى أن ما نقبله من الرب نستطيع أن نعطيه للآخرين.

إن موهبة الشفاء ليست الصلاة من أجل المرضى لكي ما يُشفوا، وإنما هي شفاؤهم. لقد أوصينا أن نبشر بالملكوت، وأيضاً بأن نشفي المرضى.

(متى ١٠ : ٧– ٨) ولهذا، فإن موهبة الشفاء يمكن أن تعمل مستقلة عن الإنسان من جانب الشخص المريض، ولكننا بسبب هذا نحتاج أن نعرف فكر الله لكل موقف بخصوصيته. فشفاء المُقعَد عند بوابة المعبد حالة تقابل هذه النقطة. فالرسل، وربما يسوع ذاته، قد مروا عليه مرات عديدة قبل ذلك، لأنه يبدو أن ذلك كان المكان الدائم لتسوله. ولكن تلك المرة شعر بطرس بروحه بشيء مختلف. وقال إلى الرجل المُقعد الذي، على قدر ما نعلم عنه، لم يكن حتى يفكر في أن يُشفَى،

"ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فإياه أعطيك. باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش." (أعمال ٣ : ٦)

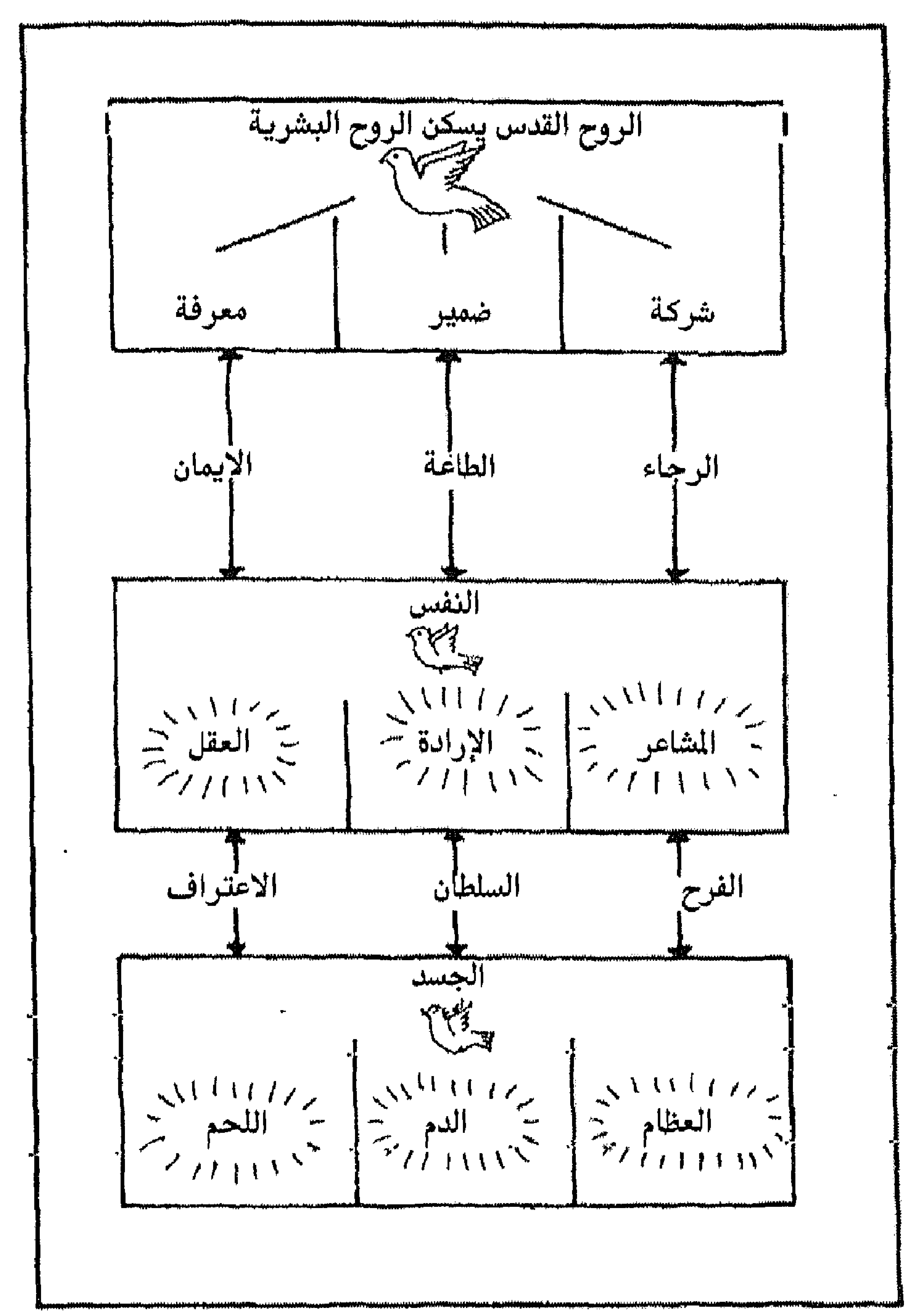
وبهذا الاتجاه الداخلي للانفتاح كان هناك مشاركة وجدانية مع الاحتياجات التي يجب أن تُلبَى. فيسوع إذ رأى المحتاجين، شعر بالتحنن تجاههم. إنني لأشك كثيراً ما إذا كانت خدمة الشفاء ممكنة بدون قلب يحركه الحنان. فالقلب المتحنن في الحقيقة يمكن جداً أن يكون بداية خدمة شفاء.

الفصل الخامس والعشرون

الكلمة صار جسداً

لقد كنا ندرس الاستجابات المختلفة الضرورية لكي ما تُطلَق قوة الروح القدس من روحنا إلى مناطق الذهن، والانفعالات والإرادة. وعلينا أن نحرك تلك المرحلة إلى الأمام. إن غرض الله في خلق الإنسان على صورته، هو مشاركة حقائق العالم الروحي مع عالم الطبيعة. ولهذا، فإن قوة الروح قُصِد لها أن تؤثر ليس فقط على حياة نفوسنا، ولكن أيضاً على حياة جسدنا.

لقد ربطت هذا في البدء مع مسألة الشفاء، ولكن هناك ما هو أكثر من الشفاء: إنها العملية الكاملة لتجسد الكلمة فينا. إلا أننا سنبدأ بالشفاء الجسدي. لأن الروح القدس هو روح الحياة. (رو ٨: ٢)، وكل شيء يلمسه يجب أن يحيا، ففي الحقيقة لقد قيل لنا بالأخص في (رو ٨: ١١) إنه سيعطي حياةً لأجسادنا المائتة. والسؤال الذي أواجهه هو ذلك، إن كنت مريضا، كيف أطلِق قوة الروح القدس، ليس فقط إلى نفسي، ولكن أيضاً إلى جسدي حتى يمكنه أن يشفيه؟ ويجب أن يكون هناك بعض الاستجابة الضرورية من جانبي، لأن الروح القدس لن يقتحم جسدي بدون الموافقة الحرة لإرادتي كما هو الحال في دخوله إلى النفس.



شكل ٢٣ - الكلمة صار جسداً

والمبدأ الذي اكتشفته موضح بشكل ٢٣. تذكر أنه ليس متعلق بالشفاء

فقط، ولكن بكل مسألة الحياة بالروح.

الإيمان والاعتراف

إن الكتاب المقدس يكاد لا يتكلم في الفداء عن الإيمان فقط. على سبيل المثال: في الخلاص يتحدث عن التوبة والإيمان، "*... التوبة إلى الله، والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح*" (أع ٢٠: ٢١).

وفي التقديس يتحدث عن الطاعة والإيمان، "*المُختارين بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح*" (١بط ١: ١-٢).

"*إن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق*" *(٢تس ٢: ١٣)*

في الشفاء يكون الاعتراف والإيمان

المرض هو مشكلة معقدة بالطبع. فالعوامل الداخلة في المشكلة لا تجتمع في شكل واحد بسيط شامل. لذا فكل محاولة، لتطبيق منهج موحد لكل حالة من حالات الشفاء يجب أن تسبب صعوبات. إن يسوع لم يفعل ذلك أبداً، ولذلك نجد صعوبة في فهم السبب الذي من أجله، في حالات خاصة، كان يقول أو يفعل الأشياء التي فعلها. إننا لا نقدر أن نفتح هنا كل موضوع الشفاء. واقتناعي الخالص هو أن معجزات يسوع، لو فُهمت

بشكل صحيح، ستعطينا المفتاح لكل نوعية ممكنة من الظروف التي يمكن أن نواجهها في خدمة الشفاء.

وحيثما كان الإيمان مفتاحاً أساسياً للشفاء، كما هو الحال في أغلب الأحيان، فالعنصر الثاني، الذي يُهمَل غالباً هو الاعتراف. وكلمة homologeo تعني حرفياً "أن تقول نفس الشيء". الاعتراف يعني أنني، انطلاقاً من اقتناع عميق بحقيقة ما يقوله الله، أتكلم من واقع تسليمي أو موافقتي لكلمته. والشرح التقليدي للاعتراف نجده في رومية ١٠.

"لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لان القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص" (رو ١٠: ٨-١٠).

إن الكلمة اليونانية المستخدمة هنا لكلمة "الخلاص" هي SOZO ، والتي تعني أيضاً "أن نُشفى أو أن نصبح مُعافين كاملين". لذا، فهذه الفقرة تقول أنني لكي أُشفَى فأنا أحتاج إلى شيئين: قلب يؤمن (ينتج عنه بر، علاقة صحيحة مع الله)، وفماً ليعترف، (ينتج عنه شفاء). وهناك معنى أساسي آخر للبر في الكتاب المقدس وهو "التوافق مع المقياس". إن الله بار لأن الله هو دائماً ما يجب أن يكونه الله. وفي سفر أيوب، يقول إن الله رد لإنسان بره. وهذا يعني أن الله قد شفاه. الصحة، وليس المرض، هي مقياس الله للإنسان. لذا فإن الإيمان في القلب يستعيد المقياس، الذي هو الصحة،

والاعتراف بالفم يجعله يسري على كل شيء. إننا في أحيان كثيرة لا ننال نتائج إيماننا لأننا لا نعترف بفمنا. لأن التدبير الذي صنعه الله لتلبية احتياجنا يكون في هذه الحالة حقيقياً ولكنه يبقى كامناً فقط، ولن يصبح أبداً فعلياً.

والكتاب يضع أهمية كبيرة على الاعتراف:

"لأني الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له" (مر ١١: ٢٣).

لاحظ أنه يكون له مهما يقول وليس مهما يؤمن.

"فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت. نحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلم أيضاً" (٢كو ٤: ١٣).

لقد تكلم يسوع بكلمة الإيمان عندما قال ليايروس، *"لم تمت الصبية لكنها نائمة"* (مر ٥: ٣٩)، *"فقال له يسوع أبصر! إيمانك قد شفاك"*. (لو ١٨: ٤٢)، وأمام قبر لعازر، *"... أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي ... لعازر هلم خارجاً"* (يو ١١: ٤١– ٤٣).

ما هو سبب هذه الأهمية المعطاة للكلام؟ إنها أكبر من الاعتراف العلني للإيمان الخاص، بالرغم من أن ذلك عنصر هام. إنه مبدأ أهم بكثير، إن

أدركناه، يمكن أن يغير كل حياة إيماننا تغييراً جذرياً.

- ***أولاً:*** لنأخذ في الاعتبار الطريقة التي يخلق الله بها. لقد صنع الله، كل شيء خلقه بكلمته: لقد تكلم بها إلى الوجود.

"وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمةً وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله ليكن نور فكان نور" (تك ١: ٢-٣).

لقد تكلم الله بالكلمة الخلاقة من روحه، فانبثقت كل عجائب الخلق إلى الوجود.

"بالإيمان نفهم أن العالمين أُتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يُرى مما هو ظاهر" (عب ١١: ٣).

- ***ثانياً:*** الإنسان، إذ خُلق على صورة الله، فهو خالق مخلوق. فالحيوان ينغلق في شكل من السلوك الذي يضمن تكيفه مع بيئته. وهذا ما نسميه بالغريزة. ولكن الإنسان يختلف عن الحيوان. فهو يقدر أن يختار سلوكه الخاص ويختار أهدافه. وبعبارة أخرى، يمكنه أن يخلق. إنه يخلق من روحه البشرية بالتكلم بأشياء آتيا بها إلى الوجود. فما يستوعبه في روحه يعبر عنه. إنه يتواصل، ويتكلم بأشياء تأتي إلى الوجود سواءً كانت صالحة أو شريرة.

"فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح

في القلب يُخرج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرج الشرور" (متى ١٢: ٣٤- ٣٥).

إننا لو تساءلنا كيف صار الشر طاغياً في المجتمع الإنساني لهذه الدرجة، سنجد الإجابة هي أن الإنسان تكلم بذلك آتياً به إلى الوجود. كيف وُجد المجتمع الإباحي؟ لقد تم التكلم به ليكون. هل ترى كيف يسعى الشيطان دائماً للتحكم في الإعلام؟ إنه يفهم هذا المبدأ. هل تفهم لماذا يجاهد ليبقي أفواه المسيحيين مغلقة؟ حتى لا يخلقوا. وحقيقةً، أننا نشهد بما نحن عليه، مثلما نشهد بأقوالنا، ولكن هناك عيباً قاتلاً في الشهادة التي تأتي من الحياة فقط وليس من الكلمات: فمثل تلك الحياة نادراً ما تخلق وقلما تتوالد. خطط تحت هذه الحقيقة الأساسية حتى تُحفَر في كل كيانك: الإنسان يخلق بالكلام إلى الوجود ما في روحه.

عندما نتكلم كلمة الإيمان، فنحن نتكلم بإرادة الله وتدبير الله لتأتي إلى الوجود. والعهود التي عقدها الله، لتلبية احتياجاتنا، تتأسس على الحقيقة ولكنها تظل كتدبير كامن فقط. إنها مثل المال المؤتمَن لحسابنا في المصرف. إنه لثروة حقيقية ولكنه في صورة كامنة. فلن يدفع لنا فواتيرنا ولن يشتري رغيف خبزٍ أو زجاجة لبنٍ وهو باقٍ في المصرف. ويمكن أن نموت جوعاً أو نُسجَن بسبب عجزنا عن تسوية فواتيرنا، مع أن المال يمكن أن يكون هناك باسمنا طوال الوقت. إن هذا هو نفس الشيء بالنسبة

لوعود الله. فالإيمان يبلغ وينال التدبير الإلهي والاعتراف يتكلم به ليخرج إلى الحقيقة المادية الفعلية. إن الإيمان، إذا رجعنا إلى تشبيهنا، هو كتابة الشيك، والاعتراف هو تسليم الشيك عبر شباك الصراف للحصول على المبلغ المطلوب.

لقد كان هناك اختبار للشفاء أنار هذه الظواهر بجلاء لي. فلقد كان عندي في فترة ماضية عدوى في الأذن الداخلية أثرت في حس التوازن عندي حتى كنت أصاب بالدوار مراراً. لقد تحسنت هذه الحالة بعد فترة، ولكن الطبيب قال لي إنه ليس هناك ضمان، بالنظر إلى سني، لعدم رجوع تلك الحالة إليّ بعد ذلك. وفي صباح يوم اثنين، بعد ذلك بشهور، قمت من فراشي وذهبت إلى الحمام فوجدت جدرانه تدور حولي. في تلك الأيام كنت أدير سلسلة من الندوات عن الشفاء. وكان أول ما فكرت فيه وأنا في الحمام، "لن أقدر على الذهاب إلى الندوة الليلة". وكان ثاني ما فكرت فيه، "كيف أشرح سبب عدم استطاعتي للذهاب إلى الندوة الليلة؟" وكان ثالث ما فكرت فيه معقولاً أكثر. فلقد بلغت بالإيمان وأمسكت بالرب، ونلت في الإيمان الشفاء الذي احتجته. بعد ذلك بدأت أعترف بما قاله الرب بكلمته، "بجراحاته أشفَى ... بجراحاته أُشفى"

تعلقت بهذا الاعتراف طوال الصباح. كنت مُجبراً في البداية على أن أكون حذراً لأنني لو أدرت رأسي بسرعة يدور كل شيء من حولي، ولكن

في منتصف اليوم كنت قد شُفيت تماماً، ولم يعد هذا الألم أبداً إليّ. لقد كان الشفاء موجوداً في الروح القدس طوال الوقت، لأنه هو روح الحياة. لقد تم البلوغ إلى الإيمان ونوال التدبير الإلهي، حتى أن قوته استطاعت أن تدخل إلى منطقة ذهني، لقد تكلم الاعتراف بهذا ليأتي به إلى الوجود حتى استطاعت قوة الروح القدس أن تدخل إلى جسدي. ولابد أن النتيجة التي في جسدي كانت أمراً إلهياً وشفاءً إلهياً، أو حرفياً: توازنا إلهياً.

فكل من الإيمان والاعتراف بالغ الضرورة. فلو لم يكن خط اتصال الإيمان هناك، فكل ما لديك هو العقل فوق المادة، فلديك قوة التفكير الإيجابي. ولكن هذا ليس ما نتكلم عنه. فأنت لا تستطيع أن تتكلم بما نانه بإيمانك لتُدخله إلى الوجود. فالإيمان يتأسس على اليقين بالمعرفة المُعلنة. إنه "يرى" ما قد أُعطَى و يصل لكي يناله. بعد ذلك يستخدم الإيمان الكلمة الخلاّقة لتتكلم بما قد تم نواله ليدخل إلى الوجود.

الطاعة والسلطان

لقد استكشفنا في موضع آخر مظاهر أخرى للعلاقة بين الطاعة والسلطان ولكن الظاهرة التي تعنينا هنا هي السلطان باعتباره عمل طاعة.

ولكي نبدأ، يجب أن نفهم أن ممارسة الإنسان للسلطان كانت جزءاً من خطة الله.

"وقال الله، نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض" (تك ١ : ٢٦).

إن الله لم يغير أبداً رأيه إزاء ذلك، بالرغم من تمرد الإنسان. حقيقةً، أن الفداء والخلاص أصبحا ضروريين بسبب الخطية، لكنه عندما يكون قد كمل عمله، سيكون أيضاً قد أنهى ما شرع في إنجازه: الإنسان على صورته ومثاله، الذي له حكم على الخليقة.

ولأن السلطان هو ممارسة للقوة المفوضة، فهو يمكن أن يُمارس فقط بواسطة هؤلاء الذين في علاقة طاعة بمصدر القوة. إن قوة الله ليست كياناً منفصلاً عنه حتى يمكن أن يسلمها لشخص آخر. فالقوة *dunamis* تحرك فقط بمشيئته. ولكن الله يريد أن يمارس قوته من خلال البشر المفديين حتى يكون لنا امتياز المشاركة في المبادرة الإلهية. ونحن نقدر على عمل هذا فقط عندما نكون على علاقة طاعة حب تجاه الله حتى نعرف، في أي موقف خاص، أولاً، **ماذا** يريد الله أن يفعل حيال ذلك الموقف، وثانياً، **متى** يريد أن يفعله.

إن قائد المائة الروماني الذي أدهش يسوع بإيمانه فهم ذلك المبدأ تماماً:

"لذلك لم أحسب نفسي أهلاً أن آتي إليك. لكن قل كلمة فيبرأ غلامي لأني أنا أيضاً إنسان مُرتب تحت سلطان. لي جند تحت

يدي. وأقول لهذا أذهب فيذهب ولآخر ائت فيأتي ولعبدي افعل هذا فيفعل" (لو ٧: ٧-٨).

لاحظ إن قائد المائة لم يقل أنه كان رجلاً له سلطان: لقد قال إنه رجل تحت سلطان. ولأنه فقط تحت سلطان كان له سلطان. فرجاله كانوا يطيعون أوامره بدون تساؤل. لا لأنه كان شخصياً أقوى من أي منهم، ولكن لأنهم عرفوا أن قوة رؤساء قائد المائة كانت وراء أوامره، وهكذا رجوعاً بكل التسلسل حتى نصل إلى قيصر في روما. وإذ يبقى قائد المائة تحت السلطان، تكون لديه كل قوة الدولة الرومانية من ورائه.

هل ترى ما يعني هذا بالنسبة للإنسان المسيحي؟ إنه يعني أننا، إذ نواجه مواقف احتياج أو صعوبة، **لا نحتاج لحيازة أي مصادر للقوة في داخلنا**. فكل ما نحتاج إليه هو أن نبقى في موضع الطاعة لربوبية يسوع المسيح، وستكون كل قوة ملكوت الله ظهيراً لنا.

لهذا فإن الغرض من الطاعة هو تمكين الله من تأميننا بالسلطان. فكل دافع مَثل الوزنات في لوقا ١٩ نجده هنا بالضبط. فالغني لم يكن مهتما باستثمار المال بواسطة عبيده، وإنما كان مهتماً بأن يصنع من العبيد حكاماً. لم يكن يستثمر مالاً ولكن حياةً. ولهذا قال لهؤلاء الذين استجابوا لطلبه بالطاعة *"نِعْمَا أيها العبد الصالح. لأنك كنت أميناً في القليل فليكن لك سلطان على عشر مدن"* (لو ١٩: ١٧).

إن السلطان يتناسب تماماً مع الطاعة: عشر وزنات، عشر مدن، خمس وزنات، خمس مدن، وهكذا. إن غرض الله هو أن يأخذ هؤلاء الذين قد كانوا عبيداً للخطية والشيطان، ويعلمهم الاستجابة المُحبة الحرة لإرادته التي هي الطاعة من القلب، حتى يمكن أن يثق بهم لممارسة الحكم والسلطان. ولهذا، فالطاعة يجب أن تسبق السلطان.

ونحن نرى في يسوع الطاعة المطلقة لمشيئة وغاية الآب. ولهذا، فالسلطان الذي مارسه كان أيضاً مطلقاً. لقد كان هذا علامةً مميزةً لكل حياته وخدمته. حتى أن أحد العلامات التي عُرِف بها كانت "الرجل ذو السلطان". انظر إلى هذه الأمثلة:

- **التعليم:** "*... لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة*" (متى ٧: ٢٩)
- **الشفاء:** "*... الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا*" (متى ٩: ٨).
- **إخراج الشياطين:** "*... لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه*" (مر ١: ٢٧).
- **على الطبيعة:** "*... من هو هذا. فإنه يأمر الرياح أيضاً والماء فتطيعه*" (لو ٨: ٢٥).

- على الخطية: *"... أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا"* (لو ٥: ٢٤).

- على الحياة والموت: *"... لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً ... لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها"* (يو ١٠: ١٧- ١٨).

- وفي موته وقيامته، كل السلطان!: *"دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض"* (متى ٢٨: ١٨).

إن المسيح لم يفوض فقط السلطان إلى الكنيسة وإنما قد زودها، في شخص الروح القدس الحال فيها، بالقوة (*dunamis*) لكي تكون ظهيراً لذلك السلطان. وعندما كان يسوع يتكلم، في بشريته، بكلمة السلطان كانت قوة الروح القدس التي في داخله هي التي تدعّم الأمر الذي يتكلم به بهذا السلطان، *"ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله"* (مت ١٢: ٢٨).

> *"يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيرا ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه" (أع ١٠: ٣٨).*

وهكذا فعندما كلم يسوع التلاميذ عن العماد بالروح القدس، استطاع أن يؤكد لهم من اختباره أنهم، أيضاً، سيكون لهم مدخلاً إلى القوة *dunamis*

تماماً كما كان له. إننا غير مطالبين بأن نأتي بأي مصدر للقوة لتلبية الاحتياجات، أو لهزيمة الشيطان، أو لتحرير الناس. فالروح القدس بداخلنا له كل القوة في متناوله. ومسئوليتنا هي أن نسمح للروح القدس بأن يصل إلى الموقف الذي نكون فيه.

لذا **فالسلطان المُنعَم به على المؤمنين** يعتمد على عاملين: أحدهما هو القوة والسلطان اللذان يخصان المسيح كرأس للكنيسة، والآخر هو علاقتنا به كرب مُقام من الأموات. إن السلطان الذي يمتلكه المسيح مطلق. وكرأسٍ للكنيسة فوض السلطان إلى جسده:

١. **على المرض والشياطين:** *"... وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يُخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف"* (متى ١٠: ١).

٢. **على قدرة الشيطان:** *"هاأنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء"* (لو ١٠: ١٩).

٣. **على الظروف المختلفة:** *"... كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء. وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء"* (متى ١٨: ١٨).

كيف نعرف أي سلطان نمارسه ومتى نمارسه؟ إن هذا لسؤال محوري وهو أكثر الأسئلة التي نتجاوز عنها في التعليم عن سلطان المؤمن. ويمكن أن

يكون لدينا انطباعاً بأننا، بسبب أن لدينا سلطاناً على قوة الشيطان، يمكننا أن نخرج، بمشيئتنا، ونصلح كل شيء نعتقد أنه خطأ. وهذا بالطبع هراء.

إذا ما واجهتني ظروف صعبة فهناك دائماً عدد من التفسيرات المكنة. فربما تكون بسبب خطئي أنا، أو خطية معينة، وربما تكون شيئاً سمح به الله ليعلمني كيف أنتصر عليه. وربما يكون شيئاً أرادني الله أن أعبر من خلاله، ويمكن أن يكون شيئاً قد نظمه العدو لكي يهاجمني. وفي بعض هذه المواقف فقط يمكنني أن أمارس السلطان لتغيير الموقف. فإذا، مثلاً، أراد الله أن يعلمني شيئاً بأن أعبر من خلال ظروف صعبة، فهو لن يمدني بقوة تغيير الظروف، حتى ولو حاولت أن أمارس السلطان عليها. لقد عرف يسوع، حتى على الصليب، أنه كان له سلطان أن ينادي اثني عشر جيشا من الملائكة لمساعدته. ولكنه لم يستخدم ذلك السلطان لأن كان له رؤيةً لسلطان أعظم: السلطان الذي سيفوز به، من خلال موته وقيامته، حتى يعطينا الحق في أن نصير أبناء الله.

والإجابة على استخدام السلطان هو **أن نعرف متى نمارس السلطان وكيف نمارسه بإيعاز الروح القدس المميز في ضمائرنا.**

وهناك مثل على ذلك في الإصحاح ١٣ من سفر الأعمال، فعندما عارض عليم الساحر تبشير بولس وحاول أن يحول الوالي سرجيوس عن الإيمان.

ماذا فعل بولس؟ إنه لم يتنازع مع عليم الساحر، مع أنه كان قادراً على ذلك، ولكنه استجاب لإيعاز الروح القدس له:

"وأما شاول الذي هو بولس أيضاً فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه. وقال أيها الممتلئ كل غش وكل خبث يا ابن إبليس يا عدو كل بر ألا تزال تُفسد سبل الله المستقيمة. فالآن هو ذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين. ففي الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً من يقوده بيده. فالوالي حينئذ لما رأى ما جرى آمن مندهشا من تعليم الرب". (أع ١٣ : ٩- ١٢).

وفي أعمال ٩، أتى بطرس إلى القديسين في لدة ورأى هناك إينياس الذي كان على فراشه منذ ثمانية أعوام لأنه كان مشلولاً. لم يُصل بطرس من أجل إينياس لكي يُشفَى، لكنه شفاه مباشرة.

فقال له بطرس، *"يا إينياس يشفيك يسوع المسيح. قم وافرش لنفسك. فقام للوقت. ورآه جميع الساكنين في لدة الذين رجعوا إلى الرب"* (أع ٩: ٣٤- ٣٥)

إن مثل ذلك السلطان، مع انطلاق القوة التي تسبب النتائج، يمكن فقط أن يأتي عندما يُمارَس بطاعةٍ يحثها توجيه الروح القدس.

والوسائل هي الطاعة والسلطان، وكلاهما ضروريان. فإن كنا لا نحيا في الطاعة، يمكن أن نأمر بأعلى صوتٍ أردنا ولأطول وقت شئنا، ولن يحدث

شيء لأنه لن يكـون هنـاك قـوة تدعـم كلمتنـا.

ومن جهــة أخـرى، فـإن لم نمـارس السـلطان الـذي فـوض لنـا، لـن يحـدث شـئ: لا لأنـه ليس هنـاك قـوة وراءنـا، ولكـن لأن السـلطان لم يـأت ليتدخـل في الموقـف. فعندمـا يعمـل خطـا الاتصـال معـاً تنطلـق قــوة الـروح القـدس لتشـفي وتخلـص، لـتربط وتحـل، ولتغـير ولتسـود علـى الظـروف والمواقـف المختلفـة.

الطبيعة الروحية للسلطان

هنـاك ظـاهرة هامـة جـداً لموضـوع السـلطان بأكملـه نتجـاوز عنـها عمومـا. ولكنـها تُوضَـح بجـلاء في شـكل ٢٢. وهـي، **أن السـلطان الحقيقـي دائمـاً مـا يكـون روحيـاً في أصلـه**. ولهـذا السـبب، فإنـه يعمــل مـن روح الشـخص الذي يمارسـه ويصـل إلى روح الشـخص الـذي يُمـارَس عليـه. ولهـذا، فإنـه سـيؤثر علـى الأخـير في ضمـيره: وسـيكون هنـاك "وجـوب" للأمـر أو التوجيـه. إلا أن إرادة الشـخص ستُترك حـرةً لتطيـع أو تعصـي. لـذا فالطاعـة هـي اختيـار حـر ولها التأثـير المُحـرِر للطاعـة الحقيقيـة تمامـاً.

ومـع هـذا، فلـو كـان الشـخص الـذي يمـارس السـلطان لا يحيـا في الطاعـة، فما يـأتي منـه لا يكـون سـلطاناً روحيـاً وإنمـا قـوة النفـس. إن غطيـت الطاعـة في شـكل ٢٣، سـترى أن مـا يظـهر لم يعـد مصـدره في الـروح ولكـن في النفـس. ومـا

سيأتي من ذلك في أغلب الأحيان سيكون قوة الإرادة، ولكن يمكن أن يكون أيضاً هناك ضغط عاطفي قوي أو معارضة قوية. ولأن السلطان مؤسس على النفس، فسيلمس نفس الشخص الآخر. وسيكون هناك صراع ناشئ عن تصادم إرادتين، صراع أو معارضة أو مشاعر متضاربة. والإنسان الذي يُعطَى الأوامر أو التوجيهات سيفسح الطريقة لقوة أعلى (ولكنه سيشعر بالغضب والتمرد في نفس الوقت)، أو أنه سوف "يقف لذاته" وسيكون هناك صراع مفتوح.

وعندما أطيع السلطان الحقيقي، لا أشعر بالضآلة أو الصغر، لأن السلطان الحقيقي هو روحي ويحترم حريتي المعنوية. أما السلطان الذي هو غير شرعي (ولكنه من وضع إرادة أو أفكار إنسان آخر) فلن يحترم حريتي الأخلاقية. إنه يسعى ليجبر أو يستغل، وأنا إما أتوافق أو أتمرد. وإنني أكون في خطر أقل في حالة التمرد.

من الأهمية البالغة للوالدين أن يفهموا هذا المبدأ، وهو هام بالمثل لقادة الكنيسة. وكما قال منو سيمون منذ أكثر من أربعمائة سنة: ليس على السلطة الروحية في الكنيسة أبداً أن تجعل المتمرد متفقاً معها، وإنما عليها أن تُمّكن المطيع من أن يحيا حياةً مقدسةً.

التوقع والفرح

من ملامح حركة مواهب الروح القدس (الكاريزماتية) في كل العالم اليوم هو رجوع الفرح إلى شعب الله. لقد كتب هلموت تيليكي، المبشر الألماني العظيم، أن المسيحيين إذ يخرجون من الكنيسة صباح يوم الأحد، بدلا من أن يظهروا كأنهم خارجين من وليمة الرب، عادةً ما يبدون وكأنهم قد خرجوا لتوهم من مزاد على خطاياهم، ويتمنون أن يستعيدوها مرةً ثانية. سبحا لله أن هناك كثيراً من اجتماعات القديسين اليوم يكون هذا الانطباع فيها مستحيل الحدوث.

إن الخلق نفسه وُلد في الفرح. فعندما وُضعت أساسات الأرض، يقول لنا سفر أيوب، *"عندما ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بني الله."* (أي ٣٨: ٧)

مرة أخرى، نقرأ في نص العهد القديم الذي يتكلم عن المسيح باعتباره الحكمة:

"لما رسم أسس الأرض، كنت عنده صانعاً، وكنت كل يوم لذته، فرحةً دائماً قدامه. فرحةً في مسكونة أرضه، ولذتي مع بني آدم" (أم ٨: ٢٩- ٣١).

إن الإنسان له احتياج لاختبار الفرح مخلوق فيه، وإن قلنا احتياج

للنشوة لن يكون ذلك مبالغاً فيه. لقد خُلق بذلك الجوع الذي في قلبه لمعرفة الفرح العلوي فمنذ رأت حواء في شجرة معرفة الخير والشر وعد البهجة، كان الإنسان يبحث دائماً عن هذه الاختبارات. إنه اليوم يبحث عنها من خلال الجنس، والمخدرات المنشطة للخيال، والبحث الروحي في الغيبيات والخوارق، وأساليب التأمل وما إلى ذلك. وبعض هذه الطرق ضار وخطر في نفس الوقت، والبعض الآخر يمكن أن يكون أكثر إيجابية، ولكنها كلها ليست مسيحية، ولهذا تفشل إلى أقصى درجة في أن تؤدي إلى نتائج تدوم.

هناك شيئان نحتاج لأن نعرفهما بالنسبة للبحث عن الفرح. الأول هو أن **الفرح دائماً ناتج ثانوي**. فهو لا يمكن أبداً أن يكون موضوعاً أو غايةً في ذاته. إنه دائماً ما يكون، لو صدق، المنتج المصاحب لخبرة أخرى. أن بحثنا عن الفرح كفرح، مثلما نبحث عن السعادة لأجل السعادة، فهذا يضمن لنا على الفور إننا لن نجده. البحث هو، في الحقيقة معارض لتوليد الفرح. فيمكن أن تصير أكثر تعاسة، وأنت تبحث عن الفرح، عن ما بدأت.

والثاني هو طبيعة الاختبار الذي يكون الفرح هو ناتجه الثانوي. إن الكتاب المقدس يعلن بوضوح شديد أن الفرح العلوي يأتي من أجل الإنسان من خلال اختبار واحد فقط: **اختبار المقابلة الشخصية مع الله الحي**.

"فآتي إلى مذبح الله إلى الله بهجة فرحي وأحمدك بالعود يا الله

إلهـي" (مـز٤٣: ٤).

"تعرفني سبيل الحياة. أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبـد"
(مـز١٦: ١١).

"ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً. بل هو بر وسلام وفرح في الروح القـدس" (رو ١٤: ١٧).

"الذي وإن لم تروه تحبونه. ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد" (١بط ١: ٨).

إن ذلك العدد الأخير كان أول ما جعلني أدرك أنه لو قصدت الكلمات ما تبدو أنها تعنيه، فسأكون بعد ربع قرن من اختبار الحياة المسيحية قد فقدت شيئاً غاية في الحيوية لأنني خلالها لم أكن أقدر حتى أن أتخيل ماذا كان يعني *"يبتهج بفرح لا يُنطق به"*.

كنت أقرأ الكثير من الكتب عن تجديد الحياة. فاستنتجت أنه إذا ما قابلني الله حقاً، كما اشتقت كثيراً أن يفعل ذلك، لكان أدانني من رأسي إلى أخمص قدميّ على طبيعتي الخاطئة المتزايدة. لقد طرحت شجاعتي لمجرد أنني كنت مستميتاً للحقيقة. ولكن ما حدث كان مختلفاً كليةً عن كل توقعاتي. ففي عمق روحي، لمست الله الروح القدس وانبثق من داخلي ينبوع من فرحٍ نقي لا يُوصَف. وبعد كل شكوكي ومخاوفي وجدت أن الله كان حقيقياً، لقد كان عجيباً وكان بداخلي. لقد ضحكت فرحاً، صحت

بالفرح. وفي النهاية اضطررت أن أقول للرب أن يتوقف. فلقد كان لديّ أكثر مما استوعبه في تلك المرة. هليلوليا. والشيء العجيب هو أنه بعد أكثر من عشرين سنة، لم يزل الاختبار متجدداً، جديداً، مثيراً ومفرحاً اليوم كما كان دائماً وأكثر.

والآن هل تقدر أن ترى خط الاتصال بين الرجاء والفرح؟ إنه التوقع الذي يُمكّننا من اختبار حضور الروح القدس ويجد تحقيقه في الفرح، *"وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس"* (رو ١٥: ١٣). إن ثمر الروح القدس يبدأ بالفرح. والتلاميذ الأوائل، كما نقرأ، كانوا، *"يمتلئون من الفرح والروح القدس"* (أع ١٣: ٥٢)

ويمكن أن تسبب في الجسد المشاعر السلبية، مثل الخوف والغضب، اضطرابات وظيفية وحتى عضوية، ولكن الفرح علاجي. إنه يعطي الحياة، *"القلب الفرحان يجعل الوجه طلقاً وبحزن القلب تنسحق الروح"* (أم ١٥: ١٣)

"القلب الفرحان يُطيب الجسم والروح المُنسحقة تجفف العظم" *(أم ١٧: ٢٢).*

"اسمعني سروراً وفرحاً. فتبتهج عظام سحقتها" (مز ٥١: ٨).

"ولا تحزنوا لأن فرح الرب هو قوتكم" (نح ٨: ١٠).

لقد كُتب عن أحد مبشرين جون ويسلي المسنين، أنه عندما جاء إلى فراش الموت، "كان فرحه لتوقع رؤية مخلصه وجهاً لوجه أقصى ما يكون، فأبقاه حياً لأسبوعين آخرين" إنني أحب ذلك. أيمكنك أن تتخيل المحارب القديم، الذي انتشى بالفرح لأنه في النهاية سيمضي ليرى يسوع؟ فتسبب الفرح في تدفق الأدرينالين في جسده الواهن الهرم مُبقياً عليه حياً يوماً بعد يوم.

وأخيراً، الفرح، بطبيعته الفعلية، يجب أن يُعَبر عنه. إنه لمن الأهمية الكبيرة أن نرى كَم الفرح الذي في الكتاب المقدس. فلتستخدم أي مقارنة وانظر على عدد المرات التي تظهر فيها كلمات مثل الفرح، والابتهاج والسرور وانظر بماذا تم ربطها: الترنيم (مز ٧١: ٢٣)، الهتاف (إش ٣٥: ١٠)، الرقص (إر ٣١: ١٣)، التهليل (لو ٦: ٢٣)، التصفيق (مز ٤٧: ١)، الموسيقى (١أخ ١٥: ٢٨)، وهكذا.

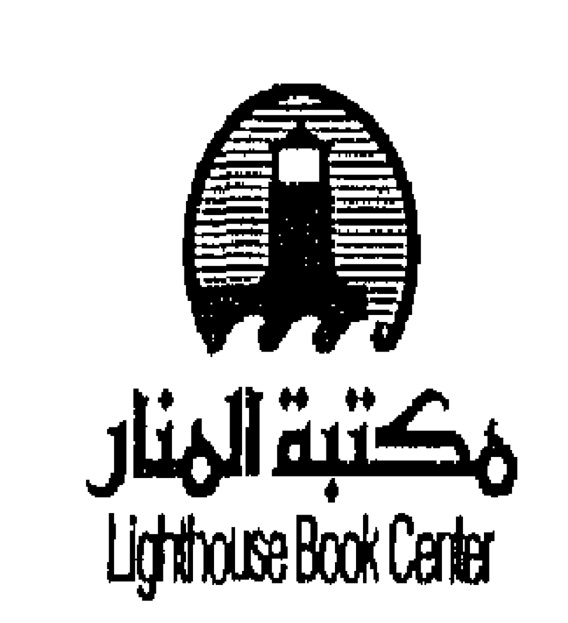
إن الفرح هو سر التبشير الحقيقي، لأن المسيحيين الفرحين هم إعلان مُلزِم للإنجيل. الفرح في الروح القدس لا يمكن أن يخبو ولا يخضع لأية ظروف، لأن الظروف لا يمكن أن تسببه، ولا يمكن أن تنتزعه منا. لقد قال يسوع لتلاميذه، "... *سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم*" (يو ١٦: ٢٢).

في روحنا البشرية يسكن مصدر الفرح: الله الروح القدس. فعندما نحيا

باتجـاه التوقـع المنفتـح (أو الرجـاء) إزاءه، سيكون الفـرح هـــو نصيبنـا. وبـــالفرح سننهل دوماً مـــاءً مـن ينـابيع الخـلاص.

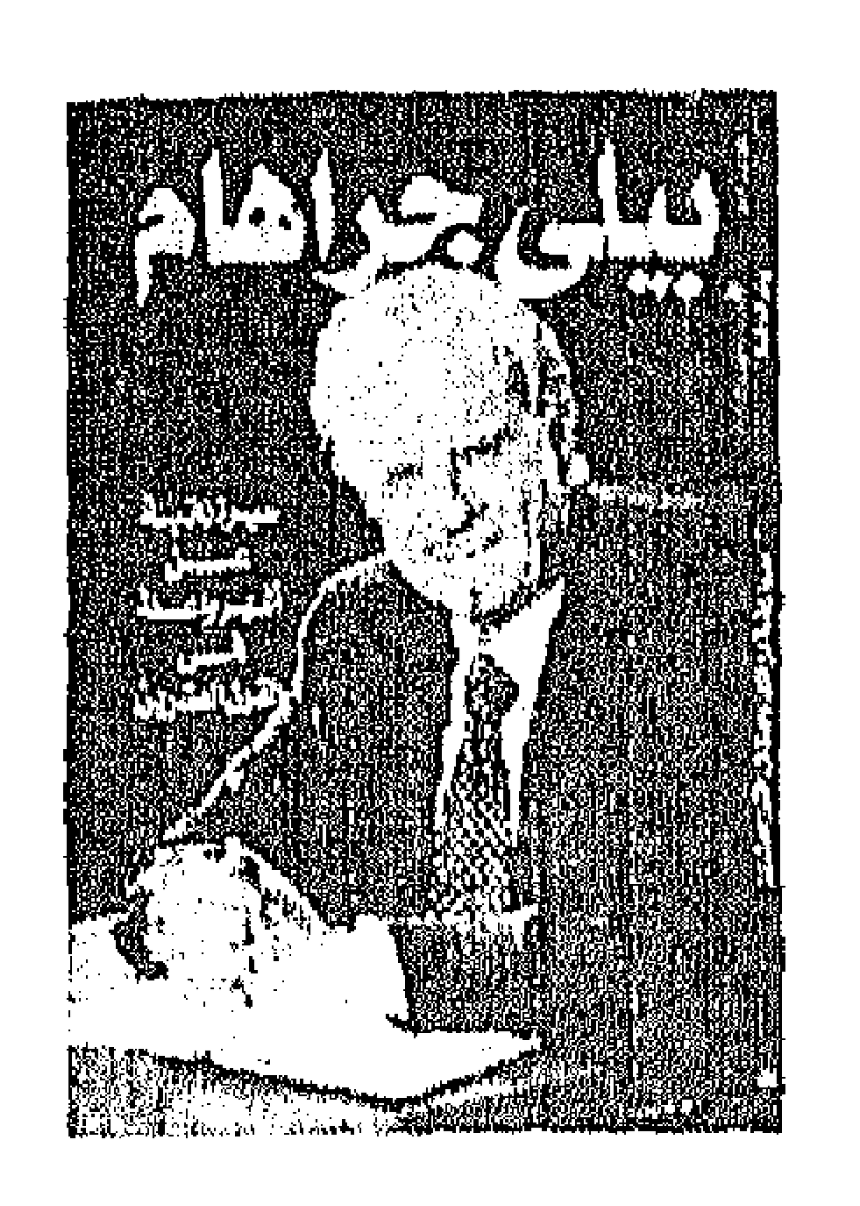
إصدارات مكتبة المنار

١- هل حقاً تكلم الله
٢- جوني
٣- أنهض وحارب
٤- لكي أربح
٥- العلاقة الحميمة مع الله
٦- رحلة في دروب الحياة
٧- أعماق نفسي
٨- ترس الصلاة
٩- لمسة رحمة
١٠- نسل إبراهيم(جـ١)
١١- نسل إبراهيم(جـ٢)
١٢- الحرب الروحية
١٣- مع المسيح فوق الآلام
١٤- روعة الحياة بالإيمان
١٥- يشفي نفسي
١٦- القيادة
١٧- العهود السبعة
١٨- كيف تنتصر على الخطية
١٩- المحبة حينما تبدو مستحيلة
٢٠- أين أجد الوقت
٢١- أكتشاف المصير
٢٢- العلاقات الصحيحة
٢٣- سر القط الضاحك(أطفال)
٢٤- المسيح يحررك(كتيب)
٢٥- أسرار النجاح الروحي
٢٦- مصر المباركة
٢٧- بالحقيقة أحرار
٢٨- أسس خدمة الشفاء
٢٩- حنان الآب
٣٠- رؤية المدينة بعيني الله
٣١- دعوة إلي الطهارة
٣٢- لغات المحبة الخمس عند الأطفال
٣٣- بيلي جراهام (سيرة ذاتية)



بيلي جراهام

Biography of Billy Graham



سيرة ذاتية عن أشهر واعظ في القرن العشرين.

كتاب يتحدث عن مراحل نضال وكفاح بيلي جراهام في حقل الكرازة بإنجيل (يسوع المسيح). وكيف استجاب لصوت (الروح القدس) وتوجيهاته في كل خطوة من خطوات حياته وفي كل الأعمال العظيمة التي استخدمه فيها الرب يسوع من أجل نجاح ونمو الكنيسة.

٥ جنيه ١٤٤ صفحة

لغات المحبة الخمس عند الأطفال

The Five Love Languages of children
(Gary Chapman & Ross Campbell)



هذا الكتاب يركز على أهمية المحبة في تربية الأطفال ويشجع الآباء على تنشئة أولادهم بطريقة صحيحة. ويتضمن هذا الكتاب، لغات المحبة الخمس (الوقت القيم، كلمات التعضيد، الهدايا، تقديم الخدمات، التلامس الجسدي).

١٠ جنيه ٣٨٤ صفحة

بالحقيقة أحرار

Free Indeed
(Tom Marshall)



هذا الكتاب يساعدك على أن تتحرر من القيود: قيود الخوف والحزن والخطية والإدمان والعادات الشريرة وكل القيود الأخرى التي تجعلك عبداً ذليلاً. إنه كتاب يتحدث عن الحرية التي لنا في المسيح يسوع، ويتحدث عن الذهن والمشاعر والإرادة.

٨ جنيه ٣٠٨ صفحة

حنان الآب

The Compassion of the Father
(How God heals emotional wounds)
(Floyd McClung)

كلمات بسيطة عميقة تحتوي على محبة غير مشروطة من الآب السماوي تستطيع أن تكتشفها من خلال صفحات هذا الكتاب – إننا نحتاج لهذه المحبة والعطف والحنان لكي نستطيع أن نكمل مسئولياتنا في الحياة – هذا الكتاب يوضح لك صورة الآب السماوي دون تشويه.

٢.٥ جنيه ٦٤ صفحة



هل حقا تكلم الله؟

(طبعة ثانية منقحة)

Is that really you God
(Hearing the voice of God)
(Loren Cunningham)

إن أردنا أن يستخدمنا الله في خدمته، علينا أن نستمع إليه جيداً ونطيعه، وهذا هو الأمر الصعب ... لكن هذا هو الأمر الذي جذب لورن كننجهام للعمق.

هذا الكتاب يُعد مرجعاً يتعلم فيه الشخص كيف يسمع صوت الله.

٨ جنيه ٣٢٨ صفحة

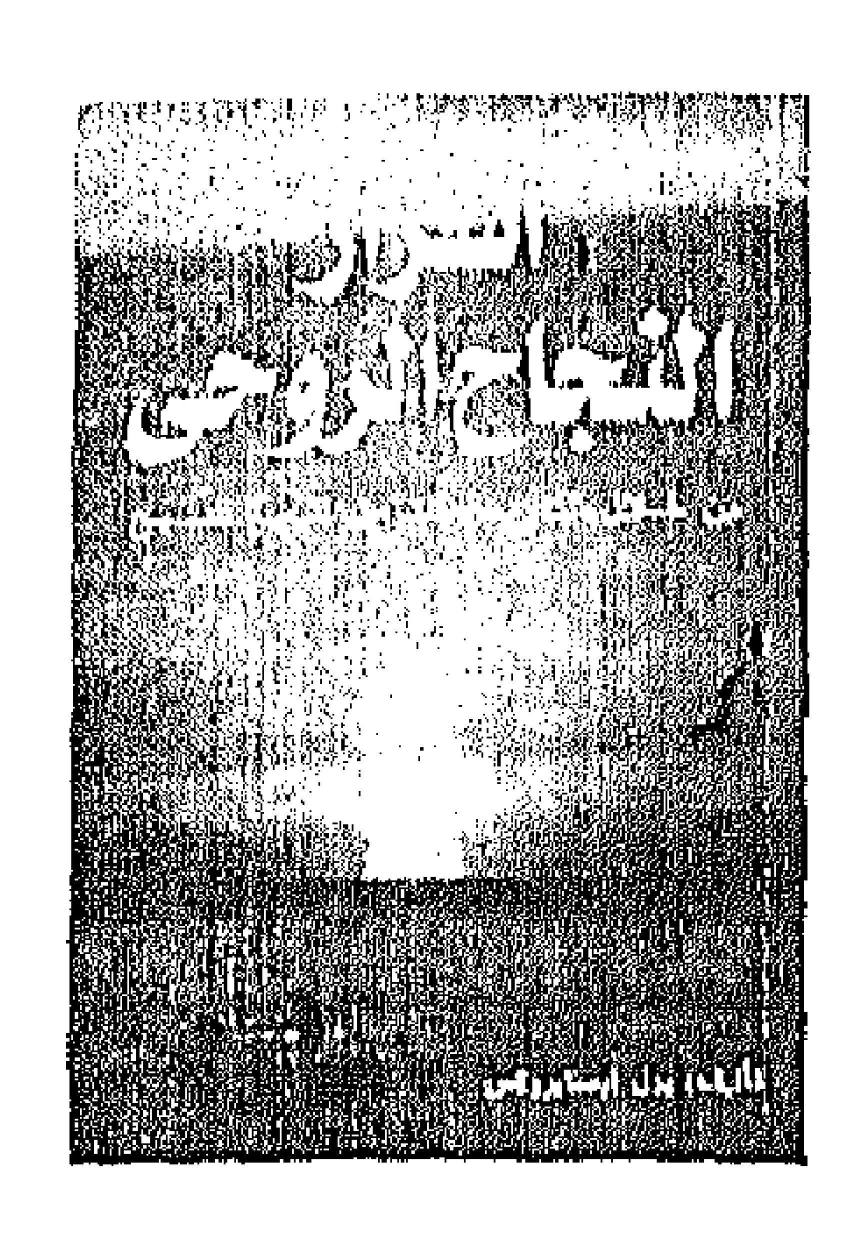


سر القط الضاحك

Le Mystere du chat rieur
(Translated by Christina Magdy Saber)

كتاب يعلم الأطفال الوصايا العشرة في صورة لغز يحاول حله الـ ف. أ. ث. (فريق الأقارب الثلاثة ... مارك، فيليب، آن صوفي) عندما سرق أحدهم قطعاً نقدية نادرة في السوق، وبحثت امرأة أخرى عن نفس القط الضاحك الذي تحمله آن صوفي ...

١.٥ جنيه ٦٠ صفحة



أسرار النجاح الروحي

The Secrets to Spiritual success
(Paul Estabrooks)

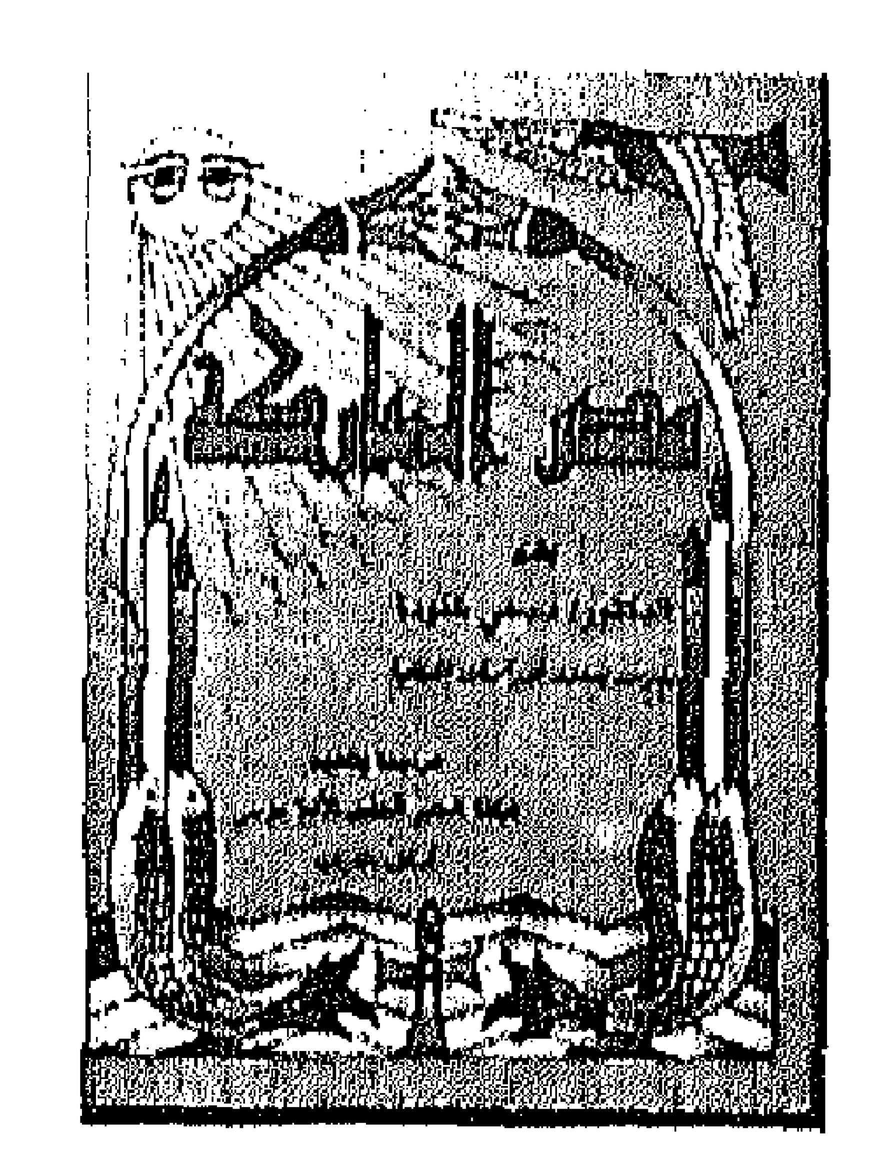
كتاب يحتوي على اختبارات روحية وأمثلة حية لأشخاص دفعوا ثمناً غالياً مقابل إيمانهم إنهم سحابة الشهود.

٦ جنيه ٢٨٠ صفحة



Blessed be Egypt my people

د/ صبحي شنودة تقديم/ الأنبا موسى



يعرفنا بجذور الشعب المصري ولماذا صار شعبا لله. وأنبياء العهد القديم الذين جاءوا إلى مصر. والترجمة السبعينية للكتاب المقدس في مدينة الإسكندرية ورحلة العائلة المقدسة وتلاميذ السيد المسيح وكرازة مارمرقس فضلا عن مصرية الرهبنة وانتقالها إلى العالم المسيحي كله.

٧ جنيه ٢٠٨ صفحة



مع المسيح.. فوق الآلام

Overcoming pain in Christ

يوضح لنا أنواع الآلام وحقيقتها، والآلام والجروح النفسية التي تصيبنا ولماذا يسمح بها الله وهل تنشغل بالأمتاع الحاضرة أم بالمجد الأبدي الذي ينتظرك؟

٣.٥ جنيه ١٠١ صفحة



بالحقيقة أحرار

«فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً»
(يوحنا ٨:٣٦)

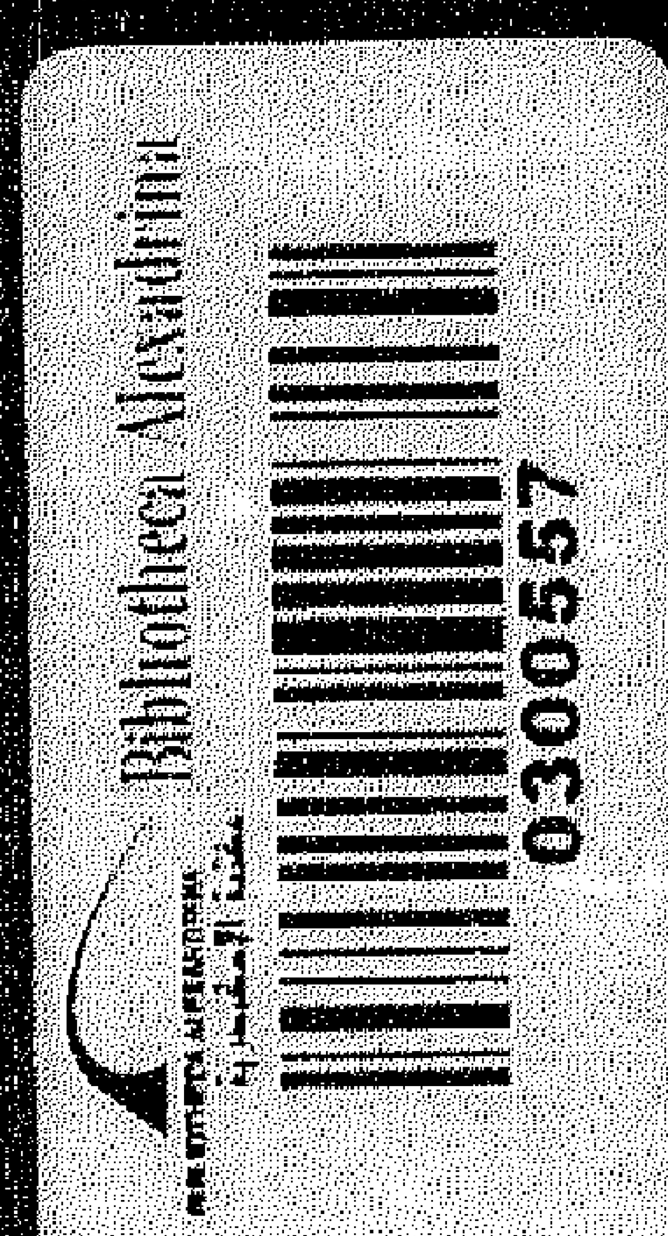
المسيح جاء ليحرر الإنسان، والمسيحية فى جوهرها دعوة للحرية.
الرب يسوع المسيح يحرر الإنسان من القيود:
قيود الخوف والحزن والخطية والإدمان والعادات الشريرة. وكل القيود الأخرى التى تجعل الإنسان عبداً ذليلاً.
المسيح يحرر المنسحقين، المتضايقين، المجروحين، المكسورين، المضطهدين، والمُداس عليهم بالأقدام.

• وهذا الكتاب يحدثنا عن الحرية التى حررنا بها المسيح
أنه يتحدث عن: الذهن والمشاعر والإرادة
وكيفية تجديد الذهن؟ وشفاء المشاعر الجريحة، ويشرح كيفية اختيار حرية العهد الجديد الذى صنعه المسيح بدمه؟

• يشرح المؤلف مفهوم الجسد والروح وما بينهما من ص
نعمة المسيح.

إنه كتاب عميق جديد، يتطلب تركيز وصلاة من أجل
الرب كلماته لتتمتع بالحرية فى المسيح يسوع.

من خلال صفحات الكتاب تستطيع أن تكتشف كيف
بالروح؟





مكتبة المنار
Lighthouse Book Center